



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير والأساليب التربوية المقترحة لتنميتها لدى الطلبة

متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية

تخصص: (التربية الإسلامية)

إعداد: منيرة عايش سعود كليب

الرقم الجامعي: ٤٢٩٨٠١٦٥

إشراف سعادة الدكتور

د. أ / خالد محمد يوسف التويم

الأستاذ المشارك بقسم التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي

١٤٣٤ - ١٤٣٥ هـ



ملخص الدراسة

عنوان الدراسة: القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير ، والأساليب التربوية المقترحة لتنميتها لدى الطلبة (رسالة ماجستير).

اسم الباحثة: منيرة عايش سعود كليب.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى:

- ١ - التعريف بالقيم الإسلامية، وبيان علاقتها بالشعر العربي.
- ٢ - دراسة نصوص كعب بن زهير الشعرية وتحليلها، وبيان ما تتضمنه من قيم إسلامية، وتصنيفها إلى قيم إيمانية، وأخلاقية، ووجدانية، واجتماعية، وثقافية، ومن ثم بيان النتائج، وعرض وتحليل هذه القيم.
- ٣ - إبراز دور الشعر الإسلامي في تنمية القيم لدى الطلبة.
- ٤ - إيضاح أبرز الأساليب التربوية التي يمكن من خلالها تنمية القيم الإسلامية لدى الطلبة.

منهج الدراسة: المنهج الوصفي أسلوب تحليل المحتوى "الكيفي" والمنهج الاستنباطي.

فصول الدراسة: لقد جاءت هذه الدراسة في سبعة فصول، الأول: الإطار العام للدراسة، الثاني: التربية الإسلامية والشعر، الثالث: القيم الإسلامية وعلاقتها بالشعر العربي، الرابع: شعر كعب بن زهير، الخامس: إجراءات الدراسة (تحليل المحتوى)، السادس: القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير ومجالاتها (العرض والتحليل)، السابع: الأساليب التربوية المقترحة لتنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة.

من نتائج الدراسة: ١- لقد أضفى الدين الإسلامي على الشعر العربي حلة التهذيب، وقنن الكلمة، وجعل للمعنى قيمةً وهدفًا، شرّفت بذلك منزلة الشعر، وزادت من أهميته دوره التربوي، جعلت منه مصدرًا للقيم الإسلامية ، ومنهلاً من مناهلها.

٢- إن العديد من أبيات كعب بن زهير الشعرية لا تخلو من أداء وظيفة تربوية، فإنك إن لم تجد في البيت الشعري الواحد قيمةً يريد الشاعر تنميتها، فإنك ستجد قيمةً ينهى الشاعر عن التحلُّق بما وامتثالها.٣-لقد احتوى شعر كعب بن زهير على العديد من القيم الإسلامية في المجالات التالية: المجال الإيماني، والأخلاقي، والوجداني، والاجتماعي، والثقافي.

من توصيات الدراسة: ١- إبراز موضوع القيم الإسلامية المتضمنة في الشعر من قِبَل الإعلام، وتبسيط الضوء على الدواوين الشعرية، وما احتوته من قيم ومثُلٍ عليا.٢- إجراء بحوثٍ ودراساتٍ علميةٍ حول موضوع الأساليب التربوية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، فقد أجاد الشاعر في استخدام العديد من الأساليب التربوية المستمدّة من القرآن الكريم والسنة النبوية في شعره.

-Study Summery-

❖ **Study Title:** The Islamic values included in Ka'ab Bin Zohair poetry and the educational methods suggested to develop them among students (Master Thesis).

❖ **Researcher Name:** Mounira Ayesh Saoud Kleb.

❖ **Study Goals:** this study aims at:

- 1) Defining the Islamic values, and showing how they are related to Arabic poetry.
- 2) Studying and Analyzing Ka'ab Bin Zohair's scripts, showing what Islamic values they include and sorting them into: Fiducial, Ethical, Spiritual, Social, and Cultural values.
And then Stating these values' presentation and analyzing results.
- 3) Highlighting the role of Islamic poetry in developing the values among students.
- 4) Clarifying the most prominent educational methods, through which the Islamic values can be developed among students.

❖ **Study Method:** Description method, 'qualitative' contentanalysis style, and the Deductive method.

❖ **Study Chapters:** this study has 7 chapters:

- 1) The study mainframe
- 2) Islamic Education and poetry
- 3) Islamic values and their relationship to Arabic poetry
- 4) Ka'ab Bin Zohair's poetry
- 5) Study procedures (content analysis)
- 6) The Islamic values included in Ka'ab Bin Zohair's poetry and their domains (Presentation and Analysis)
- 7) The educational methods suggested to develop the Islamic values included in Ka'ab Bin Zohair's poetry among students.

❖ **Some of this study's results:**

- 1) Islamic religion has added the trait of politeness to Arabic poetry, Rationed the word and gave the meaning a value and goal, which honored Poetry and increased the importance of its educational role.
- 2) Many of Ka'ab Bin Zohair's verses aren't devoid of practicing an education role, so if you can't find in each and every verse a value the poet want to develop, you will most certainly find a value the poet forbids and disgraces.
- 3) Ka'ab Bin Zohair's poetry included many Islamic values in the following domains: The Fiducial, Ethical, Spiritual, Social, and Cultural.

❖ **Some of the study's recommendations:**

- 1) Highlighting **the** subject of Islamic Values included in poetry by media, as well as highlighting the poems and what values and principals they included.
- 2) Conducting scientific studies and researches about the educational methods included in Ka'ab Bin Zohair's poetry, since the poet mastered the use of many of the educational methods derived from Holy Quran and Sunnah in his poetry.

الشكر والتقدير

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، المتفضل بالنعمة، وأشهد أن محمداً-عليه الصلاة والسلام- عبده ورسوله النور المستضاء به المتمم لمكارم الأخلاق و القيم.

أما بعد .. وانطلاقاً من كلام العزيز الحكيم : ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت: ١٧)، فأني أحمد الله تعالى وأشكره على ما رزقني من إتمام هذا البحث وإنجازه شكلاً وهيئة حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأسأل الله أن يتمه مضموناً ومحتوى، وأن يجعل هذه الرسالة مباركة نافعة .

واعترافاً بالفضل وأهل الفضل .. فإنه من واجب كل ذي لب .. رد الجميل والعرفان من القلب .. لكل من عاون وساعد وساهم في إتمام هذه الرسالة ولكل من خصني بدعوة في العلن أو في ظهر الغيب ..

أحب أن أتقدم بشكري وتقديري إلى هذا الصرح التعليمي المقدس في البقعة المقدسة، ممثلاً بقائد مسيرتها معالي الدكتور/ بكرى بن معتوق عساس، وعميد كلية التربية الدكتور/علي بن مصلح المطرني، وأخص بالشكر رئيس قسم التربية الإسلامية سعادة الدكتور/ خالد بن محمد يوسف التويم، الذي أعاد الحياة لهذه الرسالة بعد الله عز وجل والذي وقف بجانبني إلى هذه اللحظة .. فلأشكرنك معروفاً هممت به إن اهتمامك بالمعروف معروف .. آدامك الله وحزاك عني وعن طلبة العلم خير الجزاء، والشكر موصول كذلك إلى سعادة الدكتورة/ حنان بنت صالح حكيمي .. حفظها الله . ولا أنسى شكر المعلم والمشرف الأول على رسالتي الدكتور/ صالح بن سليمان العمرو .. رحمة الله تعالى عليه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وأنه ليقف قلبي عاجزاً عن التعبير، عن عظيم الشكر والامتنان والتقدير لسعادة الدكتورة / أمال بنت محمد حسن عتيبة، والتي أعطت ولم تقصر، وكانت بعد الله عز وجل من ردت علي ريشي وأنبئت القوائم في جناحي .. أجبرت ماتم كسره .. وأطلقت ماتم أسره .. فلا أملك إلا الدعاء لك، والثناء عليك ما حييت وما بقيت، امثالاً لقوله - صلى الله عليه وسلم- " من أعطي عطاء فوجد: فليجز به، فإن لم يجد فليئن به، فمن أتى به فقد شكره، ومن كتبه فقد كفره" [سنن أبي داود، حديث ٤٨١٣].

والشكر والتقدير موصولان لمحكمي الخطة سعادة الدكتور/نايف همام الشريف، وسعادة الدكتور/حازم علي بدارنة، على ما بذلاه من جهد في إبداء الملاحظات والتوجيه والإرشاد - وفقهما الله -

ووأفر الشكر أزجيه لسعادة الدكتورة/ جواهر أحمد قناديلي، وسعادة الدكتورة/ أسماء علي الفضل، لقبولهما مناقشة رسالتي، وسألتزم بإذنه تعالى بتوجيهاتهما وملاحظتهما القيمة والسديدة.

كما أشكر نبع الحنان وصمام الأمان والدي أطال الله في عمرها، ورزقها ما يبهج صدرها ويسرها، وأشكر أفراد عائلتي كافة وأخوتي وأخواني وأرحامي وأدعو الله أن يكتب أجرهم ويسبغ عليهم من نعمائه وجزيل عطائه. وأن يجعل ما وفق للصواب من هذا العمل في ميزان حسنات والدي رحمه الله وغفر له.

ولا أنسى أن أشكر رفيقات دربي في دراستي ، أخوتي المخلصات ، والاتي كن لي خير معين بعد الله عز وجل
- حفظهن الله ورعاهن وزادهن من فضله نوراً وعلماً-

وفي الختام..

أَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ أَثْوَابِ رَحْمَتِهِ سَتْرًا جَمِيلًا عَنِ الزَّلَّاتِ مَشْتَمَلًا

وَأَنْ يَيْسِرَ لِي سَعْيًا أَكُونُ بِهِ مُسْتَبْشِرًا جَزَلًا لَا بَاسِرًا وَجَلًا

فلك الحمد يا الله مقرونًا بشكرك دائمًا، لك الحمد في الأولى لك الحمد في الأخرى.

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوعات
أ	البسمة
ب	ملخص الدراسة باللغة العربية
ج	ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية
د	الشكر والتقدير
و	قائمة المحتويات
الفصل الأول: الإطار العام للدراسة	
٢	المقدمة
٥	موضوع الدراسة
٦	أسئلة الدراسة
٦	أهداف الدراسة
٧	أهمية الدراسة
٨	منهج الدراسة
٩	حدود الدراسة
٩	مصطلحات الدراسة
١٠	الدراسات السابقة والتعقيب عليها
الفصل الثاني: التربية الإسلامية والشعر	
١٩	تمهيد
١٩	المبحث الأول: الشعر في التصور الإسلامي
٢٤	المبحث الثاني: الوظائف التربوية للشعر في صدر الإسلام
٢٧	المبحث الثالث: الأهداف التربوية للشعر في صدر الإسلام
٣٤	المبحث الرابع: الخصائص الموضوعية والفنية لشعر صدر الإسلام
الفصل الثالث: القيم الإسلامية وعلاقتها بالشعر العربي	
٤٠	المبحث الأول: مفهوم القيم الإسلامية وأبجهاها
٤٤	المبحث الثاني: أهمية القيم الإسلامية ووظائفها
٥١	المبحث الثالث: مصادر القيم الإسلامية
٦٥	المبحث الرابع: خصائص القيم الإسلامية

الصفحة	الموضوعات
٧٦	المبحث الخامس: القيم الإسلامية وعلاقتها بالشعر
الفصل الرابع: شعر كعب بن زهير	
٨٠	تمهيد
٨٠	المبحث الأول: نسب كعب بن زهير ونشأته
٨٧	المبحث الثاني: مكانة كعب بن زهير الشعرية
٩٠	المبحث الثالث: مميزات وخصائص شعر كعب بن زهير الفنية والجمالية والفكرية وموضوعاته الشعرية
الفصل الخامس: (إجراءات تحليل المحتوى)	
١٠٦	المبحث الأول: مجتمع الدراسة
١٠٨	المبحث الثاني: وحدة التحليل
١١٠	المبحث الثالث: بناء أداة التحليل
١١٤	المبحث الرابع: صدق أداة التحليل
١١٥	المبحث الخامس: ثبات أداة التحليل
١١٥	المبحث السادس: قواعد التحليل
١١٦	المبحث السابع: فئات التحليل
الفصل السادس: القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير ومجالاتها	
١١٩	المبحث الأول: عرض وتحليل القيم الإيمانية المتضمنة في شعر كعب بن زهير
١٣٠	المبحث الثاني: عرض وتحليل القيم الأخلاقية المتضمنة في شعر كعب بن زهير
١٥١	المبحث الثالث: عرض وتحليل القيم الوجدانية المتضمنة في شعر كعب بن زهير
١٥٨	المبحث الرابع: عرض وتحليل القيم الاجتماعية المتضمنة في شعر كعب بن زهير
١٦٨	المبحث الخامس: عرض وتحليل القيم الثقافية المتضمنة في شعر كعب بن زهير
الفصل السابع: الأساليب التربوية المقترحة لتنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة	
١٨٤	تمهيد
١٨٤	المبحث الأول: أسلوب التربية بالقُدوة الحسنة
١٩١	المبحث الثاني: أسلوب التربية بالقصة
١٩٥	المبحث الثالث: أسلوب التربية بضرب المثل
١٩٨	المبحث الرابع: أسلوب التربية بالحوار
٢٠٣	المبحث الخامس: أسلوب التربية بالترغيب والترهيب
٢٠٧	المبحث السادس: أسلوب التربية بالموعظة الحسنة
٢١٢	المبحث السابع: أسلوب التربية بالأحداث والمواقف

الصفحة	الموضوعات
٢١٥	المبحث الثامن: أسلوب التربية بالإقناع العقلي
خاتمة الدراسة	
٢٢٦	خاتمة الدراسة
٢٢٧	النتائج الدراسة
٢٢٨	توصيات الدراسة
٢٢٩	مقترحات الدراسة
٢٣٠	قائمة المصادر والمراجع
٢٤٣	الملاحق

الفصل الأول الإطار العام للدراسة

- المقدمة.
- موضوع الدراسة.
- أسئلة الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- حدود الدراسة.
- منهج الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.
- الدراسات السابقة والتعقيب عليها.

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

مقدمة الدراسة:

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فإنَّ مسؤلية الكلمة مسؤلية عظيمة، وأمانة جسيمة، فقد خلق الله - سبحانه وتعالى - الإنسان، وأعانه على النطق، ومكّنه منه، وهو مع ذلك مسؤل عن كلامه ومحاسن ومؤاخذ بما يقول، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. ولئن كان كلام الله تعالى هو أعظم الكلام، ثمّ كلام نبيه محمّد - صلوات الله تعالى وسلامه عليه - الذي قال عنه تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣-٥]، فإنَّ من أكثر الكلام تأثيراً في النَّفس والوجدان الشعر، فللشعر قوّة السحر في الاستمالة والإمتاع؛ بما يشتمل عليه من أدوات قادرة على التأثير في النَّفس، وتشكيل الوجدان، بضروب الصياغة والإبداع، فقد روى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قدّم رجلان من المشرق فخطبا؛ فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - : (إنَّ منَّ البيان لسحراً، أو إنَّ بعض البيان سحر) ^(١). والشاهد من الحديث: الدور التأثيري للشعر في استمالة النَّفس، ومن ثمَّ القدرة على التعديل إذا ما وُجّه نحو البناء الهادف وهو بناء الفرد والمجتمع، فقد شبّهه الرسول - صلى الله عليه وسلّم - بالسحر؛ لما للسحر من سلب للأذهان واستمالة العقول والأنفس.

وإنَّ أوّل ما يلفت نظر الباحث في الشّع الإسلامي ذلك الأثر الواضح للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فيه، فمن هذا المعين الذي لا ينضب، اغترف الشعراء والأدباء والخطباء، وإن كان ما اغترفوه أو تأثروا به في ألفاظهم وأساليبهم نقطة بالنسبة إلى بحر، بل محيطٍ ممّا حوى الكتاب العزيز والسنة المطهرة. وإذا بألفاظه وأساليبه ومعانيه تركّز في ذاكرتهم، وتبدو في أفكارهم التي تحمل قيم الإسلام ومثله العليا ^(٢).

ولمّا كانت قضية النَّفس والجيل والمجتمع وتطوير الإنسان وتهدية هي القضية الأولى التي تشغل تفكير التربية الإسلاميّة وتورّقها؛ فقد سخّرت جميع طاقاتها بهدف تربية الفرد المؤمن والمجتمع المسلم، الذي تتحقّق فيه عبودية الله وحده، وتتحقّق بتحقّقها كلّ فضائل الحياة الاجتماعية من تعاونٍ وتكافلٍ وتضامنٍ ومحبة؛ كان لا بدّ من توظيف الشّع

(١) الإمام أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الجزيرة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ٢٠٠٨ م، كتاب: الطب، باب أن من البيان لسحراً، رقم الحديث: ٥٧٦٧، ص ٧٢٤.

(٢) مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في صدر الإسلام، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٨ م، ص ٦٩.

العربي لخدمة أغراض التربية؛ لما للشعر من مهمة تربية لا توجد في النثر، وله تأثير على النفس الإنسانية " لذلك كان الإسلام حريصاً على رعاية الشعر وتأكيد دوره لإيمانه بمهمته، وطبيعة مكانته في النفوس، فصار دوره لا يقل عن دور السيف في الميدان، فقد روي عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يضع لحسان منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً، يُفاخر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو قالت: يُنافح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ويقول رسول الله - عليه الصلاة والسلام - "إنَّ الله يؤيِّد حسان بروح القدس ما يُفاخر، أو يُنافح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -".^(١)، لذلك كان على الشعر التعبير عن المحتوى الفكري الإسلامي، وعن التصوُّر الإسلامي، وعن القيم الإسلامية، فهو رسمٌ لحياة الإنسان من منظور الكتاب والسنة المطهرين.

ولمَّا كان للشعر هذا الدور التأثيري؛ فقد "كانت قضية توجيه الشعر إلى القيم التربوية محلَّ اهتمام الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -، والخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم -، وبعض الحكماء والفقهاء؛ إذ كانوا حريصين على تربية النشء تربيةً فاضلةً، ولقد حظي الشعر بمنزلة رفيعة بين مواد تأديب الناشئ المسلم منذ أن كان هناك تعلم بأي شكل من أشكاله، وظلَّ الأمر مرعياً على مرَّ الأزمان؛ لفائدته العظيمة في تشكيل وجدان المتأدِّب، وتوجيه سلوكه"^(٢).

فللشعر دورٌ بالغ الأهمية في تثبيت القيم الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية، وترسيخها في النفس البشرية؛ فإنه لا تكاد تخلو قصائد الشعراء من تلك التوجيهات التي من شأنها دعم الموروث الديني والأخلاقي في الأمة، والسمو بالإنسان للحياة وفق القيم النبيلة. وكان من أبرز هؤلاء الشعراء الشاعر كعب بن زهير، الذي تضمَّنت قصائده مجموعة من القيم الإسلامية السامية، والناجحة عن تأثره الشديد بالقرآن الكريم، الذي كان خير مؤدِّب لألفاظ شعره ومعانيه، هذا التأثير الذي "رَقَّ من نفوسهم القاسية، فسلبت طباعهم وألسنتهم وملكاتهم، ولم تقبل إلاَّ السماح المهذَّب من الأساليب، ولعلَّ شعر كعب بن زهير خير شاهدٍ على رقة طباع الشعراء؛ نتيجةً للتأثر بأساليب القرآن الكريم"^(٣).

فالمتتبع لسيرة كعب بن زهير، يجد أنه كان شاعراً عالي الطبقة في تاريخ الأمة الإسلامية في صدر الإسلام، وله مكانته المرموقة بين شعراء عصره - إن لم يكن ممن تفوق عليهم -؛ لما تضمَّنه شعره من خصائص وسماتٍ فنيَّة وجمالية، إلى غير ذلك من قيم تربية إسلامية جديدة، جاء بها هذا الدِّين إلى الجزيرة العربية، وأثرها كبير في بناء شخصية الإنسان وبناء المجتمع وحضارته، وهناك العديد من الأبيات الشعرية التي أثَّرت الأدب العربي، وما زالت مرجعاً يُستقى منه في جميع النواحي التربوية على اختلافها وتعدُّد أشكالها.

-
- (١) الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، ط ٢، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، ١٤٢٩هـ، كتاب: الأدب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، باب: ما جاء في إنشاد الشعر، رقم الحديث: ٢٨٤٦، ص ٦٣٦.
- (٢) حسن عبد الله القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مكَّة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ٢٠٠٨م، ص ١٨.
- (٣) محمد عبد القادر أحمد، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، ط ٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠١م، ص ٢٢.

ولكعب بن زهير على وجه الخصوص منزلة رفيعة، ومكانة عظيمة بين شعراء عصره؛ لما يمتاز به شعره من ملامح القوة والأصالة إلى غير ذلك من كونه شاعراً مفطوراً على الشعر، ويرجع ذلك إلى أن كعباً كان سرّاً أبيه وعلى مذهبه، فقد كان زهيراً من شعراء الصنعة والتحبير، ومن الذين يتفرغون لقصائدهم ويتعهدونها بالتنقيح والتهديب قبل إخراجها للناس، ويبدو أن زهيراً كان يبالغ في مراجعة شعره قبل إعلانه، حتى اشتهر بقصائد الحوليات، التي يزعم الرواة أنه كان يصنع الواحدة منها في حول كامل، وقد ورث كعب هذا التروّي من أبيه، وتعلّمه على يديه، وتشربته من رواية شعره، فحاء شعره كشعر أبيه، وفيه ما فيه من سمات الكمال والقوة والإحكام الفني^(١). إلى جانب كونه شعراً يحمل في طياته العديد من القيم الإسلامية، والتي تناولت شخصية الإنسان من جوانبها المختلفة؛ الإيمان والخلق والوجداني والاجتماعي والتقاني، والتي ما إن وُظفت بالشكل السليم على أرض الواقع؛ لأصبحت أمراً مؤثراً في تشكيل الناشئة وتقويمهم. ويروي شوقي ضيف أن^(٢) "لأثر الإسلام في نفس كعب بن زهير وشعره الشّيء الكثير، وديوانه يدلّ - كما يدلّ تأخره في إسلامه - على أنه كان فيه شرٌّ كثيرٌ، إذ نراه دائماً في شعره الجاهلي مفاخرًا متوعداً مهدداً، حتى إذا أسلم، أخذت نفسه تصفو، وأخذ يستشعر معاني الإسلام الروحية، وما دعا إليه من الخلق الفاضل، حتى نراه في هجاء نفسه يعلن لهاجيه أنه يصفح الصفح الجميل، سائفاً له، لا من الشتم والسباب، بل من الحكم، ما يحاول به أن يكفّ أذاه عنه يقول:

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْهَبُ ذَمِّي لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ
فَاخْشَ سَكُوتِي إِذَا أَنَا مُنْصَتٌ فَيْكَ لِمَسْمُوعِ خَنَا الْقَائِلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَأ أَسْرُعُ مِنْ مُنْحَدِرِ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

فهو ينهاه أن لا يجعل الصفح عنه سبباً إلى سوء القول، حتى لا يجني على نفسه ما هو أقيح أثراً وأبقى سماً، ويقول: إن الذين يسيطون ألسنتهم بالهجاء سرعان ما يرتدّ عليهم هجاءً أفدع وأمرّ، هجاءً بالحق والباطل، وهو في ذلك كله يأخذ بأداب القرآن ورسوله - عليه الصلاة والسلام - من العفو والصفح، ومن التقريع لمن يهجوهُ بدلاً من الطعن في الأعراض سنّتهم القديمة"، وهذا ممّا يوضّح الدور التهذيبي الكبير الذي قام به الإسلام في تغيير مسار العديد من الشعراء، وتحويل مسار سلوكهم إلى الاتجاه القويم.

ولقد جاءت أبيات كعب بن زهير، والكثير من قصائده مشتملةً للقيم التربوية العقدية، إضافةً إلى القيم الأخلاقية؛ كالشجاعة، والمروءة، والنصرة، والمنافحة عن الدين، والتأهّب المستمر للدفاع عنه وإعلاء كلمته. فعن طريق

(١) مصطفى السيوطي، تاريخ الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٢) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ط ٧، مصر، دار المعارف، (د: ت)، ص ٨٨.

القيَم الإسلاميَّة المتضمَّنة في شعر كعب بن زهير، يتعلَّم من يتبعني الارتقاء إلى المعالي، والسموُّ بالأخلاق الطَّريقة التي يسلكها في ذلك، وإلى الكيفية التي تمكَّنه من الارتقاء بقيمه، كما تضمَّن شعره أيضاً قيماً وجدانيةً واجتماعيةً وثقافيةً.

ومن هنا جاءت دراسة الباحثة لأحد قادة الشَّعر التربوي في عصر صدر الإسلام؛ وهو كعب بن زهير، الذي يعدُّ رمزاً من رموز الشعراء المسلمين الذين نافحوا عن الإسلام بشعرهم، ومن ثمَّ دراسة شعره الذي يعدُّ ميداناً من ميادين القِيَم الإسلاميَّة، ولاستنباط القِيَم الإسلاميَّة المتضمَّنة فيه، واقتراح الأساليب التربويَّة التي تُستخدَم في تنمية هذه القِيَم لدى الطَّلبة.

موضوع الدِّراسة:

تعدُّ القِيَم من الموضوعات الإنسانيَّة التي تشغل بال الكثير من التَّربويين والعلماء والمهتمين بالعلوم الإنسانيَّة والتَّربويَّة والاجتماعية، تزامناً مع ما يتعرَّض له مجتمعنا العربي من غزوٍ فكريٍّ وثقافيٍّ "وتدويبٍ قِيَميٍّ، أفقده القدرة على المقاومة والمغايرة أو المسابرة الهادفة، فاهتزَّ كيانه، واضطرب سلوكه، واختلَّت معاييرهِ. القِيَم التي تُوزَن بها الأمور، فحقيقةً إنَّ المجتمع العربي يعيش أزمة قِيَم، تتجلَّى مظاهرها في صراع القِيَم الذي يتبدَّى في حيرة الإنسان العربي بين الأخذ بقيمه الأصيلة أو القِيَم الوافدة، فهو يعيش مُذبذب الانتماء بينهما، وقد ترتَّب على هذه الأزمة أزمة ثانية هي المفارقة القِيَمية التي تبثدي في التناقض، وعدم اتِّساق بين القول والعمل، والأزمة الثالثة تتمثَّل في اضطراب النسق القِيَمي للإنسان العربي واحتلاله، والعجز عن تشكيل منظومة قِيَمية مستقبلية، تجسَّد هويَّتنا العربيَّة الإسلاميَّة، وتحفظ لنا ذواتاً تحقِّق لنا وجوداً متميزاً فاعلاً على الساحة العالميَّة."^(١)

وهذا العجز عن تشكيل منظومة قِيَمية تجسَّد هويتنا ربما كان نتاجاً لبعدها عن البحث والتحليل في كافة مصادر القِيَم الإسلاميَّة، وإهمال البحث في العديد من المصادر التي تحتوي على القِيَم بشكل كبير، إلى جانب محاولة استقطاب القِيَم من فلسفاتٍ ونظرياتٍ تربويَّةٍ أخرى، وهي نظرياتٌ وصلت إلينا من خلال المؤثِّرات الخارجية، من خلال تأثُّرنا بحركة العولمة السريعة، وتقارُب الثقافات المختلفة في هذا العصر، ففي الآونة الأخيرة وجدنا أنَّ العديد من أبنائنا من المؤيِّدين لقيَم دخيلة لا تتمُّ لمصادرنا القِيَمية بصله، وهم يتمسِّكون بها بشكلٍ كبيرٍ مع إثبات فشلها وإخفاقها بشكلٍ مُسبقٍ؛ كونها وضعية تعتمد في صنعها على البشريَّة وأهوائها، وهذا يزيد من أهميَّة البحث عن القِيَم الإسلاميَّة وترسيخها في أبناء المجتمع، وإثبات قدرتها على البقاء والخلود والصلاحية لكلِّ مكانٍ وزمانٍ، على عكس القِيَم الوضعيَّة الأخرى؛ لذلك كان من الضروري البحث في التَّربية الإسلاميَّة عن كلِّ ما هو مصدر للقيَم.

والشَّعر العربي يستحقُّ الالتفات لاحتواءه، والاهتمام بما احتواه من قِيَم إسلاميَّة؛ لما له من مكانة خاصة، ومنزلة محببة

(١) يوسف محمَّد عبد الرحمن السقاف، القِيَم الأخلاقيَّة المتضمَّنة في مقررات العلوم الشرعيَّة للمرحلة المتوسطة بنين في المملكة

العربيَّة السعوديَّة، رسالة ماجستير، جامعة أمِّ القري، كليَّة التَّربية، قسم التَّربية الإسلاميَّة والمقارنة، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ، ص ٥٠.

ومقرّبة من نفس الفرد العربي، ناهيك عن "عظّم المزية، وشرف الأبيّة، وعزّ الأنفة، وسلطان القدرة."^(١) جعلت منه وسيلةً تربيويّةً قادرةً على التأثير في النّفس وتعديل السلوك وتقويمه، وتوظيف المادّة الشعريّة التي أوصى بها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في قوله: "مُرْ مَنْ قَبْلَكَ بتعلّمُ الشّعْر؛ فإنّه يدلّ على معالي الأخلاق وصواب الرّأي"^(٢)، في ترسيخ القيم وتنميتها لدى الأبناء إنّما هو ضرورة ملحة؛ لكون هذا الشّعْر هوية الفرد العربي المسلم. وإعادة الهوية العربيّة الإسلاميّة، والتراث أمر ذو أهميّة لتخليد هذه الهوية وتمجيدها، واستغلال الموروث القيميّ الضخم الذي "يعدُّ وسيلةً تربيويّةً ناجحةً في إكساب القيم للطلاب وتنمية استعداداتهم، وعلاج عيوبهم."^(٣)

وبالتعرّف على هذا المخزون الشعري، نجد العديد من الشعراء الذين ساهموا في إشعال جذوة الشّعْر الإسلامي من أمثال كعب بن زهير، والذي تضمّن شعره قيماً إسلاميّة إيمانيّة وأخلاقيّة ووجدانيّة واجتماعيّة وثقافيّة؛ لذلك تجلّت فكرة هذه الدّراسة والمعونة بالقيم الإسلاميّة المتضمّنة في شعر كعب بن زهير، والأساليب التربيويّة المقترحة لتنميتها لدى الطّلبة.

أسئلة الدّراسة:

تبلور مشكلة الدّراسة في السؤال الرئيس التالي:- ما القيم الإسلاميّة المتضمّنة في شعر كعب بن زهير؟ وما الأساليب التربيويّة المقترحة لتنميتها لدى الطّلبة؟
وللإجابة على هذا السؤال وضعت الباحثة الأسئلة الفرعية التالية:

- ١- ما مفهوم القيم الإسلاميّة؟
- ٢- ما العلاقة بين الشّعْر الإسلامي والتّربية؟
- ٣- ما أبرز القيم الإسلاميّة المتضمّنة في شعر كعب بن زهير، من الجانب الإيماني، والأخلاقي، والوجداني، والاجتماعي، والثقافي؟
- ٤- ما أبرز الأساليب التربيويّة المقترحة لتنمية القيم الإسلاميّة المتضمّنة في شعر كعب بن زهير لدى الطّلبة؟

أهداف الدّراسة:

تتحدّد أهداف الدّراسة على النحو التالي:

- ١- تعريف القيم الإسلاميّة، وبيان علاقتها بالشّعْر.
- ٢- إيضاح العلاقة بين الشّعْر العربي والتّربية، وبيان مدى عناية الشّعْر بالقيم.
- ٣- دراسة نصوص كعب بن زهير الشعريّة وتحليلها، وبيان ما تتضمّنه من قيم إسلاميّة، وتصنيفها إلى قيم إيمانيّة، وأخلاقيّة، ووجدانيّة، واجتماعيّة، وثقافيّة، ومن ثمّ بيان نتائج عرض وتحليل هذه القيم.

(١) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج ١-٢، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ - ص ٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٣) حسن بن عبد الله القرني، القيم التربيويّة المتضمّنة في النصوص الشعريّة المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ٣٢٣.

٤ - إيضاح أبرز الأساليب التربوية التي يمكن من خلالها تنمية القيم الإسلامية لدى الطلبة.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة في كونها تتناول موضوعاً حيوياً؛ وهو قضية القيم التربوية الإسلامية في الشعر العربي، حيث إنَّالقيم من الجوانب الرئيسة في التربية الإسلامية. وتنقسم أهمية الدراسة إلى جانب نظري، وجانب تطبيقي توضّحهما الباحثة على النحو التالي:

أولاً- أهمية نظرية:

١ - تمثّل الدراسة دعوةً للعودة بالمجتمع العربي إلى الموروث الشعري العربي العظيم، ومحاولةً لتذوق الشعر والالتفات إلى ما يحويه من قيم إسلامية ذات أهمية بالغة في عملية التربية والتهذيب وتعديل السلوك من جهة، وإثراء المخزون الفني للفرد من حيث البلاغة والفصاحة من جهة أخرى.

٢ - تنبثق أهمية الدراسة من أهمية موضوع القيم بحدّ ذاتها؛ لأنها تشكّل نظاماً يتحكّم بسلوك الفرد ويقرّره ويوجّهه، والتي من شأنها إحداث تغييرات إيجابية راسخة في النفس، بحيث تتجّه بها نحو العمل الصالح.

٣- تكمن أهمية الدراسة في تناول موضوعات ذات أهمية في بناء الأفراد والمجتمعات، فهي تدرس شاعراً ضارباً بجذوره المعرفية في أرض تراث إسلامي شديد الغنى والخصوبة، شاعراً ربط بين عصرين شعريين عظيمين بمثلان أقوى عصور الشعر العربي، ألا وهما: العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام، حيث تشرب شاعرنا منهما فته وفكره وسلوكه، وانعكس ذلك جلياً في حياته وشعره، ممّا زاد هذا الشعر نفوساً وتميّزاً.

٤- ترجع أهمية الدراسة إلى أهمية شعر كعب بن زهير، باعتباره نموذجاً للشعر الذي يتضمّن القيم الإسلامية بشكل واضح، إلى جانب كون شعره وسيلةً مهمّةً وأسلوباً فعّالاً من أساليب تنمية الجوانب الروحية والفكرية والخلقية لدى الطلبة؛ لما يتضمّنه هذا الشعر من قيم تربوية إسلامية، والتي تمثّل دوافع السلوك الأساسية.

٥- توضّح الدراسة إبراز دور الشعر العربي في غرس القيم الإسلامية، وتنميتها في نفوس الطلبة.

ثانياً- أهمية تطبيقية:

١- قد تفيد الدراسة بما تتوصّل إليه من نتائج المسؤولين عن العملية التعليمية، ومتّخذي القرار، وواضعي المناهج الدراسية في الالتفات إلى أهمية المحتوى الشعري، وما يتضمّنه من قيم، ومدى تأثيره ودوره الذي يؤديه في عملية تنمية القيم لدى الطلبة.

٢- تبرز هذه الدراسة الأساليب التربوية الفعّالة في تنمية القيم الإسلامية لدى الطلبة من خلال الشعر العربي، والتي يمكن للمربيين تفعيل دور هذه الأساليب في تنمية العواطف والدوافع الإيجابية نحو السلوك الأخلاقي المتميّز.

منهج الدراسة:

لقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي، حيث إن: "كلّ منهج يرتبط بظاهرة معاصرة بقصد وصفها وتفسيرها بعدّمنهجاً وصفيّاً".^(١)

ويُعرّف المنهج الوصفي بأنه: المنهج الذي يختصُّ بجمع الحقائق والبيانات الكمية أو الكيفية عن الظاهرة المحدّدة، مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيراً كافياً".^(٢)

ولقد دعمت الباحثة دراستها باستخدام أسلوب تحليل المحتوى أو تحليل المضمون "content Analyses"، حيث يُعرّف (بيرلسون) تحليل المحتوى بأنه: "أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظّم والكمّي للمضمون الظاهر للمادّة"^(٣)، فأسلوب تحليل المحتوى أسلوبٌ منظّم يتمّ وفق خطوات إجرائية محدّدة يتبّعها الباحث، "ويتصدّى تحليل المحتوى عادةً لكلّ من مضمون المادّة اللفظية وطريقة عرضها، وفي العادة فإنّ الباحث يتصدّى لظاهر المحتوى، ولا يعني نفسه كثيراً بدراسة الأمور التي تقف وراء النص؛ من مثل نوايا الكاتب ومقاصده الحقيقية وما شابهه، لأنّ ذلك يجعل من عملية التّحليل أمراً معقّداً وصعباً، كما أنّه يقلّل من عملية مصداقية عملية التّحليل ومستوى ثباتها؛ نظراً لكونه يفتخ المجال للاجتهادات الفردية والتأويلات الخاصة"^(٤).

كما استخدمت الباحثة أيضاً الطّريقة الاستنباطية، والتي تُعرف بأنّها: "الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهدٍ عقليّ ونفسيّ عند دراسة النّصوص؛ بهدف استنباط مبادئ تربوية مُدعّمة بالأدلة الواضحة."^(٥) لاستنباط بعض القيم التربويّة المتضمّنة في شعر كعب بن زهير؛ ولتحقيق ذلك، فقد قامت الباحثة بما يلي:

- ١- تصميم أداة لتحليل وتصنيف مجالات القيم الإسلاميّة المتضمّنة في شعر كعب بن زهير.
- ٢- عرض أداة التّحليل على عينة من السادة المحكّمين.
- ٣- إعداد الأداة في صورتها النهائية في ضوء نتائج التحكيم.
- ٤- تحليل محتوى ديوان الشاعر كعب بن زهير؛ لاستنباط ما يتضمّنه من القيم الإسلاميّة الإيمانية، والأخلاقية، والوجدانية، والاجتماعية، والثقافية.

(١) صالح حمد العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ط٤، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ١٨٩.

(٢) فاطمة عوض صابر، مرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي، الاسكندرية، مطبعة الإشعاع الفنية، ٢٠٠٢م، ص ٩١.

(٣) ذوقان عبيدات، وآخرون، البحث العلمي، مفهومه، أدواته، أساليبه، الرياض، دار أسامة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص ١٩٣.

(٤) المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٥) عبد الله فودة وآخرون، المرشد في كتابة البحوث التربوية، ط٢، جدة، دار الشروق، ١٤٠٨هـ، ص ٤٣.

حدود الدّراسة:

تقتصر الدّراسة على القِيم الإسلاميّة الظاهرة والصريحة المتضمّنة في شعر كعب بن زهير، والتي تشتمل على القِيم الإيمانية، والقِيم الأخلاقية، والقِيم الاجتماعية، والقِيم الوجدانية، والقِيم الثقافية، من خلال الدّواوين التي جمعت فيها قصائد كعب بن زهير، والتي قام بشرحها الإمام أبو سعيد بن الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري، وعددها خمس وثلاثون قصيدةً شعريّةً، تناولت العديد من الموضوعات كالفخر، والحماسة، والمديح، والغزل وغيره.

إلى جانب كلّ من ديوان كعب بن زهير من تحقيق وشرح الدكتور يوسف نجم، وديوان كعب بن زهير من تحقيق وشرح الأستاذ علي فاعور، وكتاب الدكتور شوقي ضيف، حيث احتوى على قصيدةٍ واحدةٍ لكعب بن زهير.

مصطلحات الدّراسة:

تحدّد مصطلحات الدّراسة على النحو التالي:

١- القِيم:

القِيم في اللّغة: "جمع قيمة، قَوْم الشيء تقويماً فهو قوم أي مستقيم وقيمة الشيء قدره".^(١) ويذكر ابن منظور: "أنّ القيام يأتي بمعنى المحافظة والملازمة، كما يأتي بمعنى الثبات والاستقامة، فيقال: أقمْتُ الشيء وقومته فقام بمعنى استقام.. والقيمة ثمن الشيء بالتقويم".^(٢)

القِيم اصطلاحاً: "مفهوم يدلّ على مجموعة من المعايير والأحكام، تتكوّن لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تمكّنه من اختيار أهداف وتوجيهات لحياته، يراها جديراً لتوظيف إمكانياته، وتحسّد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العلمي أو اللفظي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة".^(٣)

والقِيم الإسلاميّة "معايير جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ودعا إليها الإسلام، وحثّ على الالتزام والتمسك بها، وأصبحت محلّ اعتقاد وأتفاق واهتمام لدى المسلمين، وتؤدّي إلى سلوكيات إيجابية في المواقف المختلفة، وتصبح هذه القِيم ترويةً كلّما أدّت إلى التّمو السوي لسلوك المتلقّي، واكتسب بفضل غرسها في ذاته مزيداً من القدرة على التمييز بين الخير والشر".^(٤)

وتعرّف الباحثة القِيم الإسلاميّة بأنّها: "صفات إنسانية إيجابية راقية مضبوطة بضوابط الشريعة الإسلاميّة،

(١) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٨م، ص ٢٣٢.

(٢) جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، ط ٣، ج ١١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٣م، ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٣) علي خليل مصطفى أبو العينين، القِيم الإسلاميّة والتربية، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حلي، ١٩٨٨م، ص ٣٤.

(٤) فايز عبد الله الحارثي، القِيم التربوية الإسلاميّة المتضمنة في بعض برامج الشّباب بقناة المجد الفضائية، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى، كلفة التربية، قسم التّربية الإسلاميّة والمقارنة، ١٤٢٨هـ، ص ١٠.

تؤدّي بالمتعلّم إلى السلوكيات الإيجابية في المواقف المختلفة، والتي يتفاعل فيها مع دينه ومجتمعه وأسرته في ضوء معيار ترتضيه الجماعة لتنشئة أبنائها، وهو: الدّين والعرف وأهداف المجتمع، وتصبح هذه القيم تربوية كلّما أدّت إلى التّمو السويّ للمتعلّم".

٢- الأسلوب التربوي:

الأسلوب في اللّغة: يذكر ابن منظور بأنّ: "الأسلوب الطّريق والوجه والمذهب يُقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب، والأسلوب الطّريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم الفن، يُقال: أخذ فلان في الأساليب من القول؛ أي: أفانين منه".^(١)

وفي الاصطلاح يُعرّف الأسلوب على أنّه: "وسيلةٌ علميةٌ هدفها السّلك أو السلوكيات التي يتميّز بها الشّخص الأكثر فاعلية من غيره في مجال مهني معيّن من خلال ما يراه الآخرون ويحكمون عليه".^(٢)

ومن هذه المعاني، يحصل مراد الباحثة بالأساليب، وهي: الطرق التي يمكن استخدامها في تنمية القيم الإسلاميّة لدى الطّلبة. كما يقصد بالأساليب التربويّة الإسلاميّة في الدّراسة بأنّها: كلّ وسيلةٍ أو طريقةٍ يستخدمها المرثي، بغرض توجيه السّلك الإنساني، أو تقويمه للوصول بالفرد إلى الشخصية السوية التي دعت إليها مصادر الشريعة الإسلاميّة.

ومن أبرز هذه الأساليب: أسلوب القدوة الحسنة، أسلوب القصة، أسلوب ضرب المثل، أسلوب الحوار، أسلوب الترغيب والترهيب، أسلوب الموعظة الحسنة، أسلوب التّربية بالأحداث والمواقف، أسلوب الإقناع العقلي.

٣- شعر كعب بن زهير:

وتقصد الباحثة بشعر كعب بن زهير: تلك القصائد التي تضمّنها ديوان الشاعر، والذي جمعه وشرحه الإمام أبو سعيد بن الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري، وغيره من الدواوين الشّعريّة والكتب المتفرّقة، وهي حصيلة ما نظم كعب بن زهير في كلا العصرين الجاهلي و صدر الإسلام، والمشمّلة على قيم إسلاميّة أصيلة.

الدّراسات السابقة:

بالاطّلاع على البحوث والرسائل الجامعية، وجدت الباحثة عدداً من الدّراسات المتعلّقة بموضوع الدّراسة، والتي تمسّ هذا الموضوع من بعيدٍ أو قريبٍ، وقد قسّمت هذه الدّراسات إلى المحاور التالية:

المحور الأول: دراسات تتعلّق بالمبادئ والقيم الإسلاميّة.

المحور الثّاني: دراسات تتعلّق بالأساليب التربويّة.

وفيما يلي تعرض الباحثة الدّراسات التي أمكن الحصول عليها بحسب المحورين السابقين، وفقاً للترتيب الزمني، من

(١) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج١، بيروت، دار صادر، باب (سلب)، ص ٤٧١.

(٢) ذوقان عبيدات، البحث العلمي، د.ط، جدة، اشراقات، ١٤٢٤هـ، ص ١٨١.

الأقدم إلى الأحدث، وذلك على النحو التالي:

المحور الأول: دراسات تتعلّق بالمبادئ والقيم الإسلامية:-

الدراسة الأولى: بعنوان: (مبادئ تربوية من ديوان الإمام الشافعي)^(١). هدفت الدراسة إلى التعرف نماذج من آراء الإمام الشافعي التربوية كما جاءت في ديوانه، وتعرف نواحي الاستفادة من آراء الإمام الشافعي التربوية في عصرنا الحاضر في مجال التربية والتعليم. كما هدفت أيضاً إلى التعرف على ظروف العصر التي عاش فيها الإمام الشافعي - رضي الله عنه-. ولقد استخدمت الباحثة المنهج التاريخي متمثلاً في إعطاء لمحة عن عصر الإمام الشافعي، وأسلوب تحليل المحتوى متمثلاً في تحليل النصوص، واستخلاص النتائج.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- أن عصر الشافعي يعتبر من أنضر عصور الإسلام نشاطاً في التشريع، وأكثرها عدداً من الفقهاء المجتهدين، ولقد أدى ذلك إلى ظهور المذهب الشافعي الذي انتمى إليه الكثير من المسلمين منذ القرن الثاني إلى وقتنا الحاضر.
- أن مبادئ الشافعي التربوية تلتقي في كثير من الآراء التربوية في العصر الحاضر، مثل: مفهوم الفكر والسلوك، والآداب التربوية، والمنهج التعليمي، واليوم الدراسي، وأهمية الإنسان في هذا كله.

وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في كونها تتناول أدب وشخصية شاعرٍ من شعراء العصر الإسلامي، والبحث في ديوانه الشعري عن كل ما هو تربوي من خلال تحليل النصوص والاستنباط، ولكن الدراسة الحالية تتناول القيم الإسلامية، في حين تتناول الدراسة السابقة فكر وآراء شاعر ومفكرٍ مسلم، استمدتها من التربية الإيمانية المستخلصة من الكتاب والسنة. وتمت الاستفادة من الدراسة السابقة من بعض آراء وفكر الإمام الشافعي المستمدة من التربية الإيمانية.

الدراسة الثانية: بعنوان: (القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في برامج الشبّاب بقناة المجد الفضائية)^(٢). هدفت إلى بيان مفهوم القيم وعلاقتها بالشباب، وتقديم تصوّرٍ مقترحٍ لغرس القيم الإسلامية التربوية في نفوس الشبّاب من خلال برامج قناة المجد الفضائية. ولقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، كما اعتمد على أسلوب تحليل المحتوى.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- تؤكد الدراسة على أن جميع القيم التي اتفق عليها المحكّمون قد دعا إليها الإسلام، وطبّقها المسلمون في حياتهم، فهي قيمٌ يمكن تحقيقها وتطبيقها في واقع الأفراد والمجتمعات اليوم.

(١) زينب جمال الدين فلمبان، مبادئ تربوية من ديوان الإمام الشافعي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٠٨ هـ.

(٢) فايز بن عبدالله الحارثي، القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في برامج الشبّاب بقناة المجد الفضائية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٢٨ هـ.

— ليست القيم الإسلامية أفعالاً يَبْنُها الإعلام ويستقبلها المشاهد فحسب، بل سلوك عملي يُطبَّق تطبيقاً عملياً مرتبطاً بالحياة التي يعيشها الفرد.

— بناء القيم الإسلامية ليس مسئولية الإعلام فحسب؛ بل مسئولية مشتركة بين جميع مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية.

وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في أنها تتناول قضية القيم، وإبراز دور القيم الإسلامية في التربية، إلى جانب أن الدراساتين مُتَّلان دعوةً إلى غرس وتنمية القيم لدى الطلبة، والبحث الحالي اقتصر على شعر كعب بن زهير - على وجه الخصوص-، في الوقت الذي تناولت الدراسة السابقة برامج الشباب في قناة المجد الفضائية. وتمت الاستفادة من الدراسة في التعرف على ماهية القيم الإسلامية، وتصنيف مجالاتها.

الدراسة الثالثة: بعنوان: (قيم العمل الواردة في ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم من المنظور الإسلامي وآلية تفعيلها لدى المعلمين)^(١). هدفت إلى التعريف بقيم العمل وتصنيفها. وبيان مفهوم قيم العمل من المنظور الإسلامي. وكذلك وضع آلية مقترحة لتفعيل قيم العمل لدى المعلمين، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

— أن القيم الإيجابية تساعد في بناء حياة الفرد وتشكل شخصيته، وتحدد غاياته وأهدافه.

— يعود الاختلاف في تصنيفات الباحثين لقيم العمل إلى اختلافاتهم البيئية.

— أن المعلم المتمثل للقيم يستطيع أن يسهم في زيادة الترابط بين أفراد المؤسسة التربوية.

وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في كونها تتناول موضوع القيم وطبيعتها بشكل عام، والاختلاف في كون الدراسة السابقة تتناول قيم العمل لدى المعلمين ووضع آلية مقترحة لتفعيل قيم العمل للكادر التعليمي، ولقد اقتصرَت الدراسة على قيم العمل الواردة في ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم الصادرة عن وزارة التربية والتعليم عام ١٤٢٧هـ. وتمت الاستفادة من الدراسة فيما يخص القيم الأخلاقية والاجتماعية.

الدراسة الرابعة: بعنوان: (القيم الأخلاقية المتضمنة في مقررات العلوم الشرعية للمرحلة المتوسطة بنين في المملكة العربية السعودية)^(٢). هدفت إلى التعرف على مفهوم القيم الأخلاقية، والقيم الأخلاقية المتضمنة في مقررات العلوم الشرعية ' بالمرحلة المتوسطة بنين في المملكة العربية السعودية. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، وأسلوب تحليل

(١) عبد الله بن أحمد غيثان القرني، قيم العمل الواردة في ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم من المنظور الإسلامي وآلية تفعيلها لدى المعلمين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٢٩هـ.

(٢) يوسف محمد السقاف، القيم الأخلاقية المتضمنة في مقررات العلوم الشرعية للمرحلة المتوسطة بنين في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣١هـ.

المحتوى.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- أن للقيم إسهاماً أساسياً في حياة الأفراد والجماعات، جعلت من القيم قضية التربية الأولى.
- تولّف القيم الإطار الأخلاقي لكل نشاط إنساني.
- مراعاة المقررات الدراسية الشرعية في المملكة العربية السعودية للتنظيم المنطقي والنفسي، ومبدأ الاستمرار، والتكامل والتدرّج في التعليم.

وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في إحدى مجالات القيم الإسلامية، ألا وهي القيم الأخلاقية، والتعرّف على خصائص هذه القيم. والاختلاف كان في المحتوى المراد تحليله؛ فالدراسة الحالية تبحث في القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير في المجال الإيماني، والأخلاقي، والوجداني، والاجتماعي، والثقافي، بينما الدراسة السابقة تبحث في محتوى كتب العلوم الشرعية بالمرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية؛ للتعرف على ما احتوت عليه هذه الكتب من قيم أخلاقية على وجه الخصوص. وتمت الاستفادة من بعض القيم الأخلاقية والدور الذي تقوم به هذه القيم في توجيه وتعديل السلوك.

الدراسة الخامسة: بعنوان: (القيم التربوية في قصص الصحابة من كتاب البداية والنهاية _دراسة تحليلية)^(١). هدفت إلى توضيح مفهوم القيم من وجهة نظر التربية الإسلامية، وترجمة عن ابن كثير، وعرض موجز عن حياته، ومشائخه، ومؤلفاته، منهجية كتابته، وعصره الذي عاش فيه. كما هدفت أيضاً إلى تحليل محتوى قصص الصحابة -رضي الله عنهم، واستنباط مابه من قيم. وقد استخدم الباحث المنهجين الوصفي والاستنباطي، وأسلوب تحليل المحتوى.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- أن قصص الأنبياء مصدرٌ أساسيٌ للتحليل واستخراج القيم منه، ولقد تمّ التوصل من خلال الدراسة إلى مجموعة من القيم التربوية، ظهرت في التحليل في ثماني فئات وهي: قيم عقدية، قيم تعبدية، وقيم خلقية، وقيم اجتماعية، وقيم عقلية، وقيم سياسية، وقيم انفعالية، وقيم اقتصادية.
- غلبة القيم الضمنية على القيم الصريحة؛ مما يؤكد أهمية القيم الضمنية.

وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في كونها تتناول موضوع القيم من وجهة نظر التربية الإسلامية، إلى جانب تناولها لترجمة عن الشخصية المراد تناول قيمها بالتحليل، من خلال سرد موجز عن حياته، ومؤلفاته، وعصره الذي عاش فيه، والاختلاف إنما هو في المحتوى المتناول بالتحليل، فالدراسة السابقة تبحث في النصوص القصصية من كتاب

(١) رهام محمد عمر بادويلان، القيم التربوية في قصص الصحابة من كتاب البداية والنهاية (دراسة تحليلية)، جامعة أم القرى/كلية الآداب والعلوم الإدارية، قسم التربية وعلم النفس، ١٤٣١هـ.

البداية والنهاية لابن كثير، وتحليل قصص الصحابة - رضي الله عنهم - الواردة فيها. وقد تمت الاستفادة من هذه الدراسة من خلال التعرّف على سمات القيم وخصائصها، والتعرّف على بعض من القيم الاجتماعية عن طريقها.

- المحور الثاني: دراسات متعلّقة بالأساليب التربوية:

الدراسة السادسة: بعنوان: (أساليب التربية النبوية للجنّد من خلال غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم-، وتطبيقاتها المعاصرة)^(١). هدفت إلى إيضاح أساليب التربية النبوية للجنّد من خلال غزواته - صلى الله عليه وسلم - . وتقدّم تطبيقات تربوية لأساليب التربية النبوية في مراكز إعداد الجندي المسلم المعاصر. ولقد استخدم الباحث المنهج التاريخي، والطريقة الاستنباطية.

وكان من أبرز النتائج التي توصّلت إليها الدراسة:

- تعدّد الأساليب التربوية التي مارسها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في إعداد الجندي من خلال ميدان الغزوات النبوية، وشمولها لجميع جوانب شخصية الجندي تنميةً وصقلًا.
- سعت الغزوات النبوية إلى تحقيق أهداف متعدّدة من أهمّها حماية حرية نشر الدّعوة، وتوطيد أركان الإسلام، والدفاع عن النفس، وتأديب الخائنين والمتأمّرين على الإسلام.
- مارس الرسول - صلى الله عليه وسلم - العديد من الأساليب التربوية في إعداد الجندي؛ كالقدوة، والموعظة الحسنة، وأسلوب الثواب والعقاب، وأسلوب الأمثال، وأسلوب الحوار، وأسلوب القصص والمنافسة، والممارسة والعمل وغيرها.

وتتفق الدّراسة الحالية مع الدّراسة السابقة في كونها تناولتا الأساليب التربوية النبوية القادرة على غرس وتنمية القيم الإسلامية في المجتمع بشكل عام. والاختلاف يكمن في كون الدّراسة السابقة حاولت الوصول إلى تطبيقات تربوية للأساليب النبوية في مراكز إعداد الجندي المسلم المعاصر. وتمت الاستفادة من الدّراسة في الاطلاع على تعدّد الأساليب التربوية التي مارسها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تربية الجندي، وإعدادهم للغزوات كالقدوة، والموعظة الحسنة، وأسلوب الثواب والعقاب، وغيرها من الأساليب.

الدراسة السابعة: بعنوان: (مجالات وأساليب التربية المستنبطة من حياة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، وتطبيقاتها التربوية)^(٢). هدفت إلى استنتاج مجالات وأساليب التربية المستنبطة من حياة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه

(١) مشعل بن سيف عطية الجعيد، أساليب التربية النبوية للجنّد من خلال غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتطبيقاتها المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤١٨ هـ.

(٢) فيصل بن مجاد محمّد السبيعي، مجالات وأساليب التربية المستنبطة من حياة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٢٨ هـ.

- في المجال الإيماني والعقلي والاجتماعي والأخلاقي، ثم توضيح كيفية الاستفادة منها في إصلاح الأسرة والمدرسة. ومعرفة بعض جوانب التربية في حياة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، وكذلك التعرف على جوانب التربية عند أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، والأساليب التربوية التي استخدمها - رضي الله عنه. وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والطريقة الاستنباطية.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- استخلص الباحث من بعض رسائل وأقوال الخليفة الراشد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بعض وسائل التربية التي من خلالها يمكن تهذيب النفوس، وترسيخ الخلق الحسن في نفوس المترئين.

- أظهر البحث اهتمام الصديق - رضي الله عنه - بالعقل، وإعماله وأثره في تكوين الشخصية المسلمة التي تميّزها عن غيرها.

- تميّزت التربية الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - باتصالها بالعهد النبوي، وتسمّى هذه المرحلة مرحلة البناء والتأسيس، وهي من أصعب المراحل؛ لأنها تعتبر اللبنة الأولى لبناء الفكر الإسلامي.

وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في كونها تناولت فكر شخصية إسلامية، وتحليل واستنباط القيم الإسلامية من موروث كل منهما، على اختلاف هذا الموروث، وتناول طبيعة هذه الشخصية ومكانتها، والعوامل التي أثرت في تكوينها. إلى جانب تناول الدراساتين للأساليب التربوية التي تحقّق أهداف التربية الإسلامية، والاختلاف في كون الدراسة السابقة تناولت جوانب التربية عند أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، إلى جانب وضع تطبيقات تربوية يمكن الاستفادة من خلالها في محيط كل من الأسرة والمدرسة. وقد تمت الاستفادة من الدراسة في معرفة بعض الجوانب التربوية التي تُسهم في استنتاج مجالات وأساليب تربوية لتنمية القيم الإسلامية لدى الطلبة.

الدراسة الثامنة: بعنوان: (الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك، وكيفية تفعيلها مع

طلاب المرحلة الثانوية بنين - تصور مقترح) ^(١). هدفت إلى التعرف على أهم الأساليب التربوية النبوية المستفادة من السنة النبوية في مجال التوجيه وتعديل السلوك، وكذلك الاستشهاد ببعض المواقف المشرفة للرسول - صلى الله عليه وسلم - مع أصحابه - رضي الله عنهم - في مجال التوجيه وتعديل السلوك. وتقدم المساعدة لصنّاع القرار التربوي، والمهتمين بشؤون التوجيه والإرشاد، وتعديل السلوك على بلورة فكرة التطبيق الفعلي للأساليب النبوية في التوجيه، وتعديل السلوك بالمرحلة الثانوية بنين. واستخدم الباحث المنهج الوصفي مع طريقة الاستنباط من الأحاديث النبوية.

(١) فواز بن مبريك حماد الصعدي، الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة الثانوية بنين (تصور مقترح)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٠ هـ.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- الهدف الأسمى والأول من أهداف الإرشاد والتوجيه في مدارسنا هو توجيه الطالب المسلم، وخاصةً في مرحلة المراهقة إلى المنهج التربوي الإسلامي القويم، وذلك من خلال الاعتماد على العقيدة الصحيحة والأخلاق الحسنة، وهي أهم أساليب الوقاية والعلاج لمشكلات الطالب في هذه المرحلة.
- إنَّ التوجيه والإرشاد الطلابي عمليتان مرتبطتان ببعضهما البعض، ومكملتان لبعضهما.
- مساهمة أساليب التربية النبوية في تنمية الجانب النفسي في شخصية الطالب المسلم بالمرحلة الثانوية، وذلك من خلال إشباع رغباتهم، ورفع روحهم المعنوية، وتحملهم المسؤولية، وإشراكهم في النشاطات الطلابية، وبرامج التوعية الإسلامية.

وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في كونها تناول موضوع تعديل السلوك، وتوجيهه عن طريق الأساليب التربوية النبوية، وكيفية الاستفادة من هذه الأساليب في تنمية القيم. والاختلاف إنما يكمن في كون هذه الدراسة أعدت تصوراً مقترحاً، تحاول من خلاله توضيح كيفية استخدام الأساليب النبوية في التوجيه، وتعديل السلوك لطلاب المرحلة الثانوية بنين. وقد تمت الاستفادة من هذه الدراسة في الاستشهاد على بعض المواقف المشرفة للرسول - صلى الله عليه وسلم - في مجال تنمية القيم من خلال التجارب الحياتية اليومية، والتي مارس فيها الأساليب التربوية مع أصحابه - رضوان الله عليهم - بهدف تنمية القيم وتعديل السلوك.

الدراسة التاسعة: بعنوان: (الأساليب التربوية لتنمية خلق العفة لدى الشباب، وتطبيقاتها في ضوء التربية الإسلامية)^(١). هدفت إلى التعرف على التدابير الوقائية لانحراف الشباب عن خلق العفة. والتعرف على التطبيقات التربوية لأساليب تنمية العفة لدى الشباب في الأسرة. واستخدم الباحث المنهج الوصفي مع طريقة الاستنباط.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- أنَّ العفة خلقٌ وجدانيٌّ شاملٌ لا يقتصر على العفة عن الفاحشة، بل يشمل عدداً من المعاني والأخلاق الكريمة، فهي خلقٌ جامعٌ للكف عن كلِّ ما حرمَّ الله تعالى.
- أنَّ أسلوب المراقبة الذاتية والمحاسبة يعتبر من أهمَّ الأساليب التي تساعد الشاب على تقويم ذاته، وإصلاح عيوبه، وترقية أخلاقه، وترك سبيل المفساد، والعودة إلى سبيل الهدى والصالح.
- أنَّ أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي تنمي العفة لدى الشباب؛ لأنه يضع النفس البشرية بين الرجاء في الثواب، والخوف من العقاب.

(١) عبد الباري بن مبارك القرشي، الأساليب التربوية لتنمية خلق العفة لدى الشباب وتطبيقاتها في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٠هـ.

وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في تناولها موضوع الأساليب التربوية، وإبراز دورها في غرس القيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة، وتنميتها في النفوس وتقوم السلوك. والاختلاف إنما يكمن في أن الدراسة السابقة قد ركزت على تنمية خلق العفة لدى الشباب، والوقوف على الأسباب التي تؤدي إلى انحراف الشباب عن هذا الخلق. وتمت الاستفادة من هذه الدراسة من خلال التعرف على أهمية الأساليب التربوية، وما هو الدور الذي تؤديه هذه الأساليب في صلاح الفرد والمجتمع عن طريق تنميتها للقيم الإسلامية.

الدراسة العاشرة: بعنوان: (بعض المشكلات السلوكية لدى طالبات المرحلة الثانوية بالمدينة المنورة، ومعالجتها في ضوء التربية الإسلامية)^(١). هدفت إلى إلقاء الضوء على طبيعة وخصائص المرحلة العمرية لدى طالبات المرحلة الثانوية. وعرض الأسباب التي تؤدي إلى المشكلات السلوكية لدى طالبات المرحلة الثانوية. وإبراز دور التربية الإسلامية في مواجهة المشكلات السلوكية لدى طالبات المرحلة الثانوية.

واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي، وقامت بإعداد استبانة طبقت على عينة من المعلمات، بلغ عددهن (٢٠٠) معلمة في مدارس التعليم الثانوي العام الحكومي بالمدينة المنورة.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- أن من أهم الأسباب الأسرية للتشبه بالرجال لدى طالبات المرحلة الثانوية من وجهة نظر المعلمات في المدارس الحكومية في المدينة المنورة؛ هي غياب الرقابة الأسرية بنسبة (٧٨,٩%)، وغياب الحوار الأسري بنسبة (٧٤,٥%).
- أن دور التربية الإسلامية في مواجهة مشكلتي الغش والتشبه بالرجال لدى طالبات المرحلة الثانوية من وجهة نظر المعلمات في المدارس الحكومية بالمدينة المنورة؛ هي تقوية الوازع الديني بنسبة (٩٨,٨%)، وتوفير القدوة الحسنة بنسبة (٩٧,٥%)، والعدل في المعاملة بين الذكر والأنثى بنسبة (٩٦,٣%)، وتفعيل دور المرشدة الطلابية وتوسعة مجال عملها في المدرسة بنسبة (٩٤,٤%)، وتفعيل دور لغة الحوار البناء في الأسرة والمدرسة بنسبة (٩٣,٢%).

وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في كونها تتناول جانب معالجة المشكلات الاجتماعية في ضوء التربية الإسلامية؛ أي من خلال الأساليب التربوية المتنوعة، والتي هي نقطة الاتفاق بين الدراستين. والاختلاف في كون الدراسة السابقة دراسة ميدانية تبحث في محاولة معرفة بعض المشكلات السلوكية لدى طالبات المرحلة الثانوية بمنطقة المدينة المنورة. ولقد تمت الاستفادة من تنوع الأساليب التربوية الإسلامية التي تم طرحها، والتعرف على أهمية هذه الأساليب.

(١) منى بنت سعد حضيض البلادي، بعض المشكلات السلوكية لدى طالبات المرحلة الثانوية بالمدينة المنورة، ومعالجتها في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٢ هـ.

الفصل الثاني

التربية الإسلامية والشعر

المبحث الأول: الشعر في التصور الإسلامي.

المبحث الثاني: الوظائف التربوية للشعر في صدر الإسلام.

المبحث الثالث: الأهداف التربوية للشعر في صدر الإسلام.

المبحث الرابع: الخصائص الموضوعية والفنية لشعر صدر الإسلام

الفصل الثاني

التربية الإسلامية والشعر

تمهيد:

تعدُّ فترة صدر الإسلام من أفضل فترات التاريخ الإسلامي، ولها في نفوس المسلمين مكانةٌ ساميةٌ فضلى؛ ذلك لأنَّها فترة الوحي والرسالة المحمدية، وهي بمثابة النقطة الكبرى لحياة العرب في شتى النواحي وخاصةً الأدبية، فمن عهدٍ راكِدٍ طغى عليه الطابع الجاهلي إلى عهدٍ متحضَّرٍ فيه الهدى والإيمان، والذي نتج عنه بناءُ حضارةٍ إسلاميةٍ عريقةٍ لها مكانتها العظيمة بين حضارات العالم ونُظْمه أجمع، "فقد جاء الإسلام بدعوةٍ وثورةٍ قلبت المفاهيم السائدة، وغيَّرت المثل الرديئة الضارة، وأقام مكان ذلك عقيدةً وسلوكاً ونظام حياة، فنقل الإسلام العرب من عهدٍ وثني راكِدٍ إلى عهدٍ إسلاميٍّ فيه حيوية وإيمان وتفكير، ممَّا أدَّى إلى التقاء التراث الجاهلي التليد، بالتراث الإسلامي الطَّريف، وامتزج كلٌّ منهما بالآخر، وتأثَّر بعضهما ببعض"^(١)، فكوَّن لنا الموروث الخالد من حضارة، وفكر، وعقائد، وقيم، وتقاليد راسخة متينة في الفرد المسلم.

وعندما دخل الإسلام، جعل العرب ينظرون إلى الحياة برؤيةٍ أخرى، ويتعاملون مع بعضهم البعض بمرجعيةٍ وخلفيةٍ مختلفة غير تلك التي كانوا يتعاملون من خلالها فيما بينهم، مكوِّناً في أنفسهم قيماً جديدة، ومعايير ساميةٍ للتعامل، أثَّرت عليهم تأثيراً إيجابياً كبيراً، بل نقلهم ونقل شعرهم نقلةً نوعيةً تامَّة، والفصل الحالي يوضح كيفية هذا الانتقال، ومدى تأثر الشعر بالإسلام من خلال المباحث التالية.

المبحث الأول: الشعر في التصوُّر الإسلامي:-

إنَّ الحديث عن موقف الإسلام من الشعر حديثٌ ليس بجديد، إذ تناوله العديد من الكُتَّاب في عصر صدر الإسلام بالبحث والاستقصاء، فقد ذهب "أكثر الباحثين إلى أنَّ الإسلام شجَّع الشعر وأدكى جذوته، وذهب البعض الآخر إلى أنَّ الإسلام أضعف الشعر وحاربه"^(٢)، والحجَّة التي استند إليها كلا الفريقين هي النهج القيمي الذي دعا إليه الدين الإسلامي "فما اتَّفَق وخلق الإسلام ووائم روح الدِّين كان من الشعر في الصِّدْارة، وما خالفه وخرج عليه كان شراً وهو كالتحج الذي يفسد القلب"^(٣)، ولقد جاء الإسلام ليحدِّد موقفاً مبدئياً من كلِّ الأحوال والقضايا التي كانت تشغل الإنسان، وبالأخص العربي الذي نزل القرآن بلسانه، وفي ذروة تلك القضايا الشعر الذي هو جماع دروس حياة العرب، وسجل أمجادهم.

(١) يحيى الجبوري، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ٥، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٣٥.

(٢) أيهم عباس القيسي، شعر العقيدة في صدر الإسلام، بيروت، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٦ هـ، ص ٦٤.

(٣) يحيى الجبوري، الإسلام والشعر، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٤ م، ص ٧٥.

أولاً: موقف القرآن الكريم من الشعر:-

لقد وردت في القرآن الكريم آيات تناولت الشعر والشعراء حملها بعض الباحثين على غير ما وضعت له، وبنوا على تصوّرهم لها أحكاماً واهية، حيث رأوا أنّ القرآن الكريم وقف من الشعر والشعراء موقف العداة والمناجزة، ممّا أدّى إلى انحسار الشعر، أو ضعفه في فجر الإسلام، ويمكن أن نرصد الآيات التي ذكرت الشعر والشعراء، والآيات التي تعرّضت للشعر من خلال قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمَ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [٣٢٤] أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٣٦﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْرُكُوا إِلَهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا نُنْمِئُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]، أمّا الآية التي ذكرت الشعر فهي قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]، وبالرجوع إلى استقراء الآراء التي أدلى بها المفسّرون في هذه الآيات، نجد أنّها تنفي أن يكون القرآن الكريم شعراً، وهي منصبّة على نفي الشاعرية عن الرسول الكريم-صلي الله عليه وسلم-، يقول سيد قطب - رحمه الله - معبراً تعبيراً نفيساً عندما تعرّض للآية الكريمة "وما علّمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبين" فيقول: وهنا ينفي الله - سبحانه وتعالى - أنه علّم الرسول الشعر. وإذا كان الله تعالى لم يُعلّمه، فلن يُعلّم. فما يعلم أحد شيئاً إلا ما يعلمه الله. فللشعر منهج غير منهج النبوة، الشعر انفعالٌ وتعبيرٌ عن هذا الانفعال، والانفعال يتقلّب من حالٍ إلى حال، النبوة وحيٌّ على منهجٍ ثابتٍ على صراطٍ مستقيم، يتبع ناموس الله الثابت الذي يحكم الوجود كله، ولا يتبدّل ولا يتقلّب مع الأهواء الطارئة، تقلّب الشاعر مع الانفعالات المتجدّدة التي لا تثبت على حال، فطبيعة النبوة وطبيعة الشعر مختلفتان. هذه في أعلى صورها أشواق تصعد من الأرض، وتلك في صميمها هداية تنزل من السماء." (١)

نخلص إلى أنّ الآيات التي عُيّنت بالموضوع إنما أرادت نفي صفة الشعر عن القرآن العظيم، وصفة الشاعرية عن الرسول الكريم، لينتقل إلى إبراز موقف الرسول من الشعر، ذلك الموقف الذي لا يتزحزح قيد أتملة عن موقف القرآن، ثمّ إلى مواقف الصحابة - رضوان الله عليهم -، والتابعين وعلماء الأمة، منتهياً إلى التوفيق بين من لفظ الشعر واعتبره باب شر، ومن حفظه ورآه وعاء قيم وفناً من القول لا يحظره الإسلام لذاته، وإنما يحظر منه ما شجّع على الغواية والفتون.

"فالقرآن لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر، إنما هاجم شعراً بعينه كان يؤذي الله ورسوله، وهو نفسه الذي قال

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ٥، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٨هـ، ج ٥، ص ٢٩٧٥.

فيه الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- : [لأن (لئن) يمتلئ جوف أحدكم فيحاً يريه خير له من أن يمتلئ شعراً]"^(١)، أما بعد ذلك، فإنّ الرسول -صلي الله عليه وسلم- كان يُعجب بالشعر، ويقول حين يسمع بعض روائعه: (إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشعر لحكماً أو حكمة)"^(٢)، والإسلام عندما حارب منظومة القيم والأخلاق الجاهلية التي يعتبر الشعر حاضنها الأول فقد حُيِّلَ للبعض أنّه حارب الشعر كذلك، إلاّ أنّه يتّضح أنّ الدّين لم يحارب الشعر لذاته، وإنما رفض له أن يكون مزمراً إبليس يشدو بالغواية، ويمجّد الفتون، ويدكي نار العصبية، ويلعُ في الأعراض.

ومن هنا نتوصّل إلى أنّ الشعر إذا ما كان يخدم العملية التربوية، ويُؤسّس الأفراد على مجموعة من القيم الإسلاميّة التي من شأنها تهذيب النّفس وتقومها، فهو ضرورةٌ ملحّة للاستخدام وللتعديل وللتطوير في الفرد والمجتمع، لأنّ الدين الإسلامي يحاول جاهداً استثمار جميع الوسائل المتاحة لخدمة الفرد، وخدمة الفرد تبدأ في توعيته وإصلاحه، ممّا يساعد على إصلاح المجتمع أكمل.

والأدب الإسلامي عامّةً، والشعر بشكل خاصكفيل" بتأسيس أفراد هذا المجتمع بالشكل الصحيح. والمخزون الأدبي للعرب والمسلمين يزخر بالقيم التربويّة الكفيلة ببناء شخصية المتعلم، وخدمة القرآن والسنة " فالمتخصّصون يرون أنّ أدب الطفولة ذو شأن عظيم في التربية، وأنّ من الخطأ تقليل العناية به وإهماله."^(٣)، وأنّه إذا ما تمّ التركيز في اختيار الأدب والشعر للمتعلّمين عن طريق معايير تربويّة سليمة، واستنباط قيم تربويّة من الحصيلة الشعرية الإسلامية، والتي من شأنها تطوير شخصية الطفل المسلم، وتكوين معايير وأنماط صحيحة من خلال الانطباعات السليمة التي يستطيعون التوصل إليها من المضمون الجيد، والتي أصلها الدواوين الشعرية والأدب العربي الإسلامي العريق، " فهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يكتب إلى أبي موسى الأشعري: مُر من قبلك بتعلّم الشعر، فإنّه يدلّ على معالي الأخلاق و صواب الرأي، ومعرفة الأنساب. وقال معاوية -رحمه الله- : يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب."^(٤)، وهذا إن دلّ إنّما يدلّ على قيمة الشعر العربي، ومدى أهميته في حياة الفرد والمجتمع.

وهذا يوضّح أنّ الشعر كان وسيلةً تربويّةً مقننةً وموجهةً، والقرآن الكريم وضّح مكانة الشعر الإيجابي " واستثنى من الدّم أولئك الشعراء المؤمنين المدافعين عن دين الله بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ وَسِعَعَهُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿[الشعراء: ٢٢٧]؛ والمعروف أنّ قول الحق

(١) سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ٢، ط ٢، الرياض، المعارف للنشر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م، أول كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، رقم الحديث: ٥٠٠٩، ص ٩٠٥.

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مرجع سابق، ص ١٧.

(٣) نعمة عبد الله إسماعيل حويجي، تحليل محتوى أدب الأطفال في ضوء معايير الأدب وفق التصور الإسلامي، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤١٦هـ، ص ٨-٩.

(٤) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مرجع سابق، ص ١٩.

والانتصار وردّ العقوبة يمثلها أمورٌ ليست مذمومةً في الإسلام، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، والشعر يُفترض فيه أن لا يخرج عن هذه القاعدة.^(١)

ثانياً: موقف السنة النبوية المطهرة من الشعر:-

لقد جاءت السنة النبوية والهدي الشريف مؤيِّدةً للقرآن الكريم، وكان لها دورٌ مهمٌ في رسم الطريقة السليمة لاستغلال الشعر، وتوجيهه الوجهة الصحيحة، فقد وقف النبي - صلى الله عليه وسلم - موقفاً حازماً من الشعر الذي لا يحترم حقوق المسلم، أو يلهي المسلم عمّا هو أهمّ منه من ذكر الله تعالى والعبادة، فقد رسم - عليه الصلاة والسلام - المنهج والطريقة التي يُستخدَم فيها الشعر، وجعله تحت مظلة الدين، وفي رحاب القيم الإسلامية الراقية، واهتم به أشدّ الاهتمام، واستمع لقائليه ومنشديه وكان خير موجّه لهم. "حيث يروى عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت: مرّ الزبير بن عوام - رضي الله عنه - بمجلس لأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وحسّان ينشدهم وهم غير أذنين لما يسمعون من شعره، فقال: مالي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة؟ لقد كان ينشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيحسنن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه إذا أنشده"^(٢)، فالشعراء في ذلك الوقت وبتعاليم من المعلم الأول محمد - صلى الله عليه وسلم -، إنّما كانوا ينظمون الشعر في الدفاع عن رسولهم، والإشادة بالإسلام، وتبيان محاسنه، وبثالقيم التربوية والأخلاق الحميدة في الأنفس، وترسيخها فيها والإرشاد إلى الفضائل بالحكمة والموعظة الحسنة.

فالرسول - عليه الصلاة والسلام - شجع الشعراء على المناقحة والجهاد، والدفاع عن الدعوة الجديدة. "ولا بأس في الإسلام إذا خرجت من المسلم كلمةٌ يدافع بها عن عرضه وشرفه، والرد على شعراء قريش، وتفنيد مزاعمهم، وإبطال حججهم؛ لأنّ اللسان وسيلةٌ من وسائل الجهاد، فانطلق حسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك - رضوان الله عليهم جميعاً - يذودون عن حياض الإسلام، وعن شرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعرضه بكل ما أوتوا من فصاحة وبلاغة."^(٣)، وهذا من منطلق قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، فقد رخص الله للمؤمنين النطق ببعض الكلمات التي تحقّق الحقّ وتبطل الباطل في لحظات الدفاع عن النفس وعن نصرة الإسلام، وكان الشعر من أقوى أسلحة المسلمين في ذلك الوقت.

فالرسول الكريم - صلوات الله عليه وسلامه - يتخذ من القرآن الكريم منهجاً وإماماً في تحديد موقفه من الشعر،

(١) حمود محمد الصميلي، مفهوم الصدق في النقد العربي القديم، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى، كلية اللغة العربية، فرع الأدب، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٥٤.

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مرجع سابق، ص ١٨.

(٣) محمود دسوقي خليفة - عصام عيد فهمي، الأدب في صدر الإسلام، الرياض، دار اشبيليا للنشر، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ، ص ١٠٢.

فهو يفرق بين الشعر الصالح المفيد، وبين الشعر الطالح المدموم، إذ إنه كان يؤيد الشعر المفيد ويقره، وخاصة الشعر الذي ينافح عن الدين الإسلامي وعن رسالته - صلوات الله وسلامه عليه - . وتلك معان سامية ينصفها الجاد ويحترمها، فقد كان يستزيد من الشعر المفيد، ويحث الشعراء على قوله، ويستمتع بسماعه، "عن الشريد قال: استنشدني النبي - صلى الله عليه وسلم - شعر أمية بن أبي الصلت. وأنشدته، فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: "هيه؛ هيه" حتى أنشدته مئة قافية، فقال: إن كاد ليسلم"^(١)، ولهذا الحال قد ساعد على دفع عزم الشعراء المسلمين، وأدكى همهمهم في كتابة الشعر الفصيح، وكانت تزيد لديهم الحماسة في كتابة الشعر الذي يساعدهم على نشر الدين الإسلامي، وبهتئ لهم فرصة الدفاع عنه، إلى جانب إعمار حياتهم بالقول النافع المفيد.

"وإنَّ اشتغال صحيحا: البخاري، ومسلم على نماذج شعرية موثقة، ليدلُّ دلالة واضحة على موقف الإسلام من الشعر، وما صدر عنه هذان الصحيحان من توثيق الرواية في حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وما ثبت عنه عليه السلام من تأييد لأولئك الشعراء، فهو كما يتضح من النصوص السابقة كان - صلى الله عليه وسلم - يردد مع أصحابه الأراجيز التي كانوا يتمثلون بها، ويذكرون بها حماسهم في روح واثقة تعتدُّ بالإسلام، وتمثّل قيمه ومعانيه، بل تصدر عن منهجه ومبادئه، ممّا يحقّق أهمية هذا الشعر، ويُعلي من منزلة شعرائه، فالحق أنّه قيّم بالاهتمام جدير بالجمع والدراسة"^(٢).

ولما كان الشعر بهذه الأهمية؛ إلى جانب كونه من أهم فنون الأدب التي عرفتها الأمم منذ القدم، واستخدمتها للتربية والترفيه، لما يميّز به الشعر عن باقي الفنون من سجع وإيقاع ونغم، والذي يجذب انتباه الصغار قبل الكبار، لهذا اكتسب الشعر منزلة خاصة، ومكانة كبيرة حتى أصبح الفن الأدبي الأقوى تأثيراً في النفوس، لهذا كان من المهم استخدامه كموجّه من أهم موجّهات الناحية التربوية في الأفراد، فالقيم التربوية الكامنة في الشعر قادرة على توجيه الأفراد نحو الممارسات السلوكية الحميدة، كما أنّه يُعدّ وسيلة من وسائل التعلّم، وخصوصاً في المراحل المبكرة من حياة الطفل، حيث إنّ الشعر العربي يسهم في زيادة حصيلة الطفل اللغوية، ويدرّبه على استخدام اللغة السليمة لغة القرآن الكريم، لذلك اهتم الإسلام بالشعر لإيمانه بمهمته، ومعرفته لدوره في ترسيخ القيم، فأراد أن يؤدّي الأدب الإسلامي دوره في تنشئة الجيل المسلم التنشئة السليمة، كما يعينهم على التعامل مع الحياة تعاملًا سويًا بناءً، ولعل اختيار المفضليات لتعليم المهدي وتربيته خير شاهد، فقد " طلب المنصور من المفضل الضبي أن يدرس ابنه المهدي الشعر فاختر له المفضليات."^(٣).

(١) الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد الجامع للأدب النبوية، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٣٦٢.

(٢) عبد الله محمد أبو داهش، شعراء حول الرسول - صلى الله عليه وسلم -، الدمام، إصدار نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ١٤١٧هـ، ص ٢٠.

(٣) أبو علي إسماعيل القاضي، الأمالي، ط ٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٢٤هـ، ص ٥٦.

والمفضليات عملٌ أدبيٌّ راقٍ يحتوي على العديد من القيم الحميدة التي من شأنها غرس القيم، وتنمية الذوق الأدبي. ولما كان للشعر هذه الأدوار المهمة في التأثير في النفس، كان من المهم التطرُّق إلى الوظائف التربويَّة للشعر في صدر الإسلام، والتي نستطيع من خلالها أن نستشفَّ علاقة التَّربية الإسلاميَّة بالشعر، وكيف سخَّر هذا الشعر لخدمة التَّربية، وهذا ما سيعرضه المبحث الثاني.

المبحث الثاني: الوظائف التربويَّة للشعر في صدر الإسلام:-

تختصر الباحثة المبحث التالي في ذكر أبرز الوظائف التربويَّة لشعر صدر الإسلام، وهي الوظائف الحيويَّة التي كان يؤدِّيها الشعر في ذلك العصر أكثر من غيرها، للتعرف من خلالها على الدور الذي يؤدِّيه الشعر، وهو ما يوضِّح أهميَّة البحث في الشعر عن القيم والمبادئ الإسلاميَّة، ومن أهمِّ الوظائف ما يلي:

١- الشعر وسيلة لإيصال الرسائل الإعلامية كالدفاع عن الدين:

فقد انطلق الشعر الإسلامي في شتى الميادين يبني، ويدعو، ويوجِّه في المسجد، وفي ميادين القتال، وكان الإسلام حريصاً على رعاية الشعر، وتأكيد دوره لإيمانه بمهمته، فصار دوره لا يقل عن دور السيف في الميدان، فقد نُقِلَ عن الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه كان يقول لحسان بن ثابت: " اهجهم - يعني قريشاً -، فوالله لهجاؤك عليهم أشدَّ من وقع السهام، في غلس الظلام، اهجهم، ومعك جبريل روح القدس. والقرأ بأ بكر يعلمك تلك الهنات."^(١)

٢- الشعر وسيلة من وسائل الحفاظ على الهوية العربيَّة والإسلاميَّة:

"فقد عرف العرب منذ القدم كثيراً من فنون القول الشعريَّة والنثرية، بيد أنَّ شهرتهم في الشعر هي التي فاقت، حتَّى قيل:(الشعر ديوان العرب)، وما ذلك إلاَّ لأنَّ الشعر هو السجِّل الحقيقي لحياة العرب العامة والخاصة، إذ يجد الباحث في النصوص الشعريَّة التي وصلتنا في ذلك العصر وصفاً دقيقاً للحياة العامة، مثل: أيام العرب وحروبهم، وظروف معيشتهم، أمَّا بالنسبة للحياة الخاصة، فكان الشعر العربي يحمل نماذج رائعة من التعبير الصادق للأحاسيس، وخلجات النفوس في ظروف الحياة المختلفة، وهذه الأسباب جعلت العلماء يعتمدون على الشعر العربي مصدراً مهماً من مصادر التاريخ."^(٢) فهو بمثابة صندوق أسرارها، ومفاخرها، وأحزانها، وأفراحها، فلا عجب إنَّ وجدنا حياة البدوي واضحة المعالم في الشعر الذي وصلنا، فهذا الشعر يصفه، ويصف هويته الاجتماعيَّة والمكانيَّة والزمنيَّة، ويصف قبيلته وأبطالها وانتصاراتها، وظروف حياته كاملة.

فلكل حقبة زمنيَّة شعراؤها الذين أثروا الأدب بالقصائد والدواوين، والتي كانت تعكس ملامح شخصياتهم

(١) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مرجع سابق، ص ٢١.

(٢) عمر الطيب الساسي، دراسات في الأدب العربي على مَرِّ العصور، ط٢، جدة، دار الشروق، ١٩٩٣م-١٤١٣هـ، ص ١٧.

وبيئتهم، فكل قصيدة تُؤرّخ فترةً زمنيةً في حياة الشاعر، فتصف حالته فيها، وترسم لنا مشاعره وإحساسه، إلى جانب رسمها للواقع والظروف من حوله.

"وقد امتاز شعر كعب بن زهير -والذي يعدّ أحد الشعراء المخضرمين- بأنّه مثل العصر، وأرّخ الأحداث، فقد كانت الحربُ الدائرة بين المسلمين والمشركين شديدةً عنيفةً، وكان الشعر من أسلحة تلك الحرب، وكان النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوجّه شعراء المسلمين ليلبوا بلاءهم في الحرب الكلامية، وكان الشعراء فيها يتردّدون بقصائدهم"^(١)، والتي خُلّدت على مرّ السّنوات يفتخر بها المسلمون، ويُردّدونها في محافلهم تعاضماً بأنفسهم وقومهم، وإيمانهم وجهادهم في سبيل الله، ولولا دواوين الشعر والتمسك بها، ومحاولة تخليدها وبقائها من قبل العديد من القائمين على إحياء التراث الإسلامي في جميع المجالات التعليمية والتربوية والثقافية؛ لما وصلت لنا هذه الأبحاث، خاصّةً مع مرور هذا التراث بالعديد من الأحداث الكبرى الكفيلة بطمته وإخماد نوره منذ الأزل من حروبٍ، وهجرةٍ، وضياعٍ ثقافاتٍ وأديباتٍ عظيمةٍ كانت كفيلةً بإحداث تغييرٍ كبيرٍ في هوية الفرد الثقافية.

٣ - الشعر وسيلة لغرس القيم والمبادئ الإسلامية:

لقد أتى الشعر العربي مؤيداً لما في الكتاب والسنة جارياً على ألسن الشعراء بشكلٍ سلسٍ أقرب إلى المفاهيم، وأميل إلى النفس، مؤيداً النقاط التربوية العظيمة التي أراد الله تعالى من أمته انتهاجها، والسير وفق خطاها، فعندما يقول الله - عزّ وجلّ -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، ويقول تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وتأتي السنة النبوية وتؤكد على هذه القيم التربوية الإسلامية، فيقول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"^(٢)، ويأتي الشعر العربي المتأثر بمعاني القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فيقول الشاعر:

احفظ لسانك لا تقول فثبتلى
إنّ البلاء مؤكل بالمنطق

وقال آخر:

إنّ اللسان صغير جرّمه وله
جرّم كبير كما قد قيل في المثل

فجميع الشواهد جاءت موضحةً لقيمة إسلامية مهمة، ألا وهي أنّ الخوض في الكلام سبب الهلاك، وصون اللسان طريق النجاة.

وهذا الاتّحاد العميق والترابط بين مصادر التربية الإسلامية، وترابطها وتكميلها لبعضها البعض، وإتمام كل مصدر

(١) يحي الجبوري، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مرجع سابق، ص ٣٥١.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جارة، رقم الحديث: ٦٠١٨،

منهم للآخر من كتاب الله، وهدى رسوله الكريم - صلوات الله عليه -، وتراث شعري أصيل إنما تساعد في إيصال القيم الإسلامية بشكل كبير، وبصورة أرسخ وأبقى في النفس، فتوضّح معالم الطريق الصحيح، والمنهج القويم لتربية الأجيال التربية الإسلامية.

فاحتواء الشعر على هذه الكمية من القيم تجعل منه وسيلة من أهم وسائل تعليم الأخلاق وإكسابها، ومن أهم أدوار المعلم تعزيز هذه الأخلاق وتطويرها في نفس المتعلم، ومحاولة غرس هذه الأخلاقيات لتكون مرجعاً للطالب في تعاملاته مع علاقاته الاجتماعية من حوله، وذلك من خلال ممارسة المعلم القدوة لتلك الأخلاقيات، "فالأفراد يمارسون القيم اعتماداً على مجموعة من المبادئ الأخلاقية التي يؤمنون بها."^(١)

ولما كان الشعر العربي يمتاز بقوة التأثير في النفس الإنسانية، وقبول واستقبال كبيرين لدى العديد من الناس، وله إمكانية الوصول إلى مسامع الكثير والتأثير فيهم ولو بالشيء اليسير؛ لأنّ الناس تتفاوت في مدى الإحساس بجمال الشعر وتدوّقهم له، "فبعض الناس يتأثرون بالشعر أكثر من بعض، مع وجود أصل التأثر عند كلّ الناس إلّا نادراً"^(٢)، وهذا ما أعطى الشعر القوة والرسوخ والخلود.

٤ - امتياز الشعر بخاصية الجذب والتشويق يصب في خدمة التربية:

"فاختلاف مواضيع الشعر العربي في كلّ مكان لمؤثرات مختلفة: بيئية وحضارية وثقافية واقتصادية"^(٣) يجعل من الشعر وجبةً دسمةً لإكساب القيم الإسلامية، والتجارب السلوكية التي مرّت بها الأسلاف السابقة، والاستفادة من خبرات وتجارب العصور القديمة في شتى المواقف الحياتية، والتعلّم من ماضٍ عريق ازدهرت فيه الأمة الإسلامية ازدهاراً بالغاً، بل كانت فيه سيدة الأمم أجمع.

إلى جانب تلوّن الشعر واختلاف بحوره وأوزانه، وتنوّع موسيقاه، يجبر الفرد على الاستماع له، والغوص في معانيه، وما يحتمل في طياته من قيم وحكم وعبر، فهو يمتاز بخاصية سلب العقول والأذهان، والإبحار معه بدون سأم وملل، فيترك السامع له أو القارئ ينتقى أفضل القيم من كلّ موضوع شعري، أو لون من ألوانه فيترك المجال للأفراد بالأخذ منه ما طابت لهم نفساً، وما توافقت مع شخصياتهم وفكرهم.

هذا ما جعل الإسلام أكثر حرصاً على رعاية الشعر، وتأكيد دوره إيماناً بأهميته وقدرته على التغيير والتأثير، إلى جانب قدرته على إيصال الدروس التربوية، والقيم الإسلامية إلى الأنفس بأسهل الطرق وأكثرها فاعلية وتقبل، ولا شك أنّ دخول الإسلام إلى أرض العرب " أحدث في فنون القول الشعري أعظم تغييرٍ بمبادئه السامية، خصوصاً من الناحية

(١) ماجد زكي جلاّد، تعلّم القيم وتعليمها، ط٣، عمان-الأردن، دار المسيرة، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م، ص ١٩١.

(٢) حسن عبد الله الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٣) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦.

الموضوعية، إذ اختفت العصبية التي حرّمها الإسلام بعد أن آخى بين المسلمين في محبة الله ورسوله، وجعل التقوى أساس التفاضل، واختفى الهجاء المقذع بعد أن حرّم الإسلام قول الزور وباطل القول، واختفى شعر الفسق والمجون، فأصبح الأدب في عهد النبوة صورةً من صور العفاف والطهر في التعبير الجميل.^(١)

وإذا كان الشعر يحتوي على العديد من القيم التربوية والأخلاق الفاضلة، وله التأثير الكبير على حياة الفرد والمجتمع، فلا بد أن يكون له مهمة ودور في الحياة، ويرى البعض أن مهمة الشعر لا تعدو نطاق الأُمُرن التاليين:

أ - التطهير: إذ يخلص المتلقّي من ضغط العواطف بالتعبير عنها عندما يمر بالتجربة نفسها .

ب-يقدم لنا الحقيقة بطريقة شعرية أو فنيّة، وتختلف نظرة النقاد لهذه الحقيقة.^(٢)

أو بمعنى آخر أنه يمكن لهذا الشعر التربوي "أن يلبي الاحتياجات النفسية، ويسهم في إشباع الاهتمامات العقلية، ويربي الأذواق، ويصقل المشاعر والأحاسيس، ويكُن من التصدي للحياة ومتغيّراتها بإيجابية ووعي، في ظل عقيدة سليمة، ووازع ديني قوي"^(٣).

وعلى هذا فهمة الشعر التعبير عن المحتوى الفكري الإسلامي، وعن التصوّر الإسلامي وعن القيم الإسلامية، فهو رسم حياة الإنسان من منظور الكتاب والسنة^(٤).

المبحث الثالث - الأهداف التربوية للشعر في صدر الإسلام:

قد يبرز الشعر التربوي الملتزم بمصادر التشريع الإسلامي، كوسيلة حضارية إنسانية، للوصول بالفرد والمجتمع إلى الصورة المطلوبة للمجتمع الإسلامي، فالشعر الذي تميّز بوظيفة مهمّة كخدمة التربية لا بد أن يكون شعراً غنياً بوسائل التأثير، وجذب المتعلّم؛ لأنّ "أهمّ ما يدور حوله الشعر التربوي هو بناء شخصية المتعلّم، وغرس الفضائل الرفيعة فيها"^(٥)، وإذا كان الأمر كذلك، نستطيع أن نقول: إنّ بناء شخصية الفرد المسلم بشكل عام، والمتعلّم على وجه الخصوص تعتبر الغاية من الشعر التربوي. أمّا أهداف الشعر التربوي، فهي:

١ - ترسيخ العقيدة الإسلامية في النفوس:

إنّ الغاية للتربية الإسلامية هي تحقيق العبودية لله تعالى وحده، والهدف الأسمى لها توطيد العلاقة بين الفرد وربه،

(١) عمر الطيب الساسي، دراسات في الأدب العربي على مرّ العصور، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٢) إحسان عباس، فن الشعر، بيروت، دار الأمانة، ١٩٩٧م، ص ٣٥-٣٦.

(٣) سعاد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال أهدافه، مصادره، رؤية إسلامية، عمان، دار البشير، ١٤١٤هـ، ص ٥.

(٤) حسن عبد الله الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ١١٢.

(٥) علي شواخ الشعبي، ملامح تربية في الشعر الجاهلي والإسلامي، الرياض، دار الرفاعي، ١٤٠٦هـ، ص ٥٢.

وتدعيم البناء العقدي في نفس المسلم، " والمتعلم يتساءل عن الدين وعن العقيدة، ويحتاج إلى إجابات، لذا فمن أهداف الشَّعر التربوي أن يُوَعِّزَ إلى المتعلم بأنَّ قوَّةَ العقيدة وسلامتها مصدر الخير في الدنيا والآخرة، وهي سبب النجاح والتوفيق والسلامة، وأنها الغاية من الوجود، وإرضاء الله واكتساب جنته في الآخرة." (١) لذلك توجَّه على التربويين والقائمين على العملية التعليمية استثمار دور الشَّعر في تكوين شخصية المسلم على العقيدة الإسلاميَّة، ومحاولة الاستفادة من النماذج الشَّعرية، وما تحويه من قيِّمٍ إسلاميَّةٍ تمثَّلت في نماذج وشخصيات الأمة المسلمة وقاداتها، فالإسلام أمدَّ هؤلاء الشعراء بزادٍ ثريٍّ من المعاني والأفكار؛ فأصبحوا بمثابة الشجرة المثمرة التي لا تطرح إلَّا خيراً إذا ما احتدي بها، وبما تمارس من سلوكياتٍ أخلاقية عظيمة، فمن الضروري تعزيز العلاقة بين المتعلم وبين تراثه الشعري الأصيل؛ حتى يستطيع استنباط القيم التي تصلح أن تكون قواعد ومبادئ يعتمد عليها في حكمه على ما يعتنق من قيِّمٍ، وما يختاره ليكون منهجاً له يطبقه في حياته، ويقتدي به من حوله.

فتربيُّة المتعلِّمين على ترسيخ العقيدة في نفوسهم منذ الصغر من خلال الشَّعر الإسلامي أمرٌ في غاية الأهمية؛ لما يتميِّز به الشَّعر عن غيره من بعض وسائل التربيَّة - فيما عدا القرآن الكريم والسنة النبويَّة - في كونه جامعاً وملماً بالأساليب التربويَّة الإسلاميَّة، فالمتأمِّل في الآيات الشَّعرية يجد أتمَّ تربيُّ الفرد بأسلوب القدوة الحسنة، والضرب بالأمثال، وبالتوجيه والموعظة الحسنة، وبأسلوب الترغيب والترهيب، والإقناع العقلي والسردي القصصي، إلى غير ذلك من الأساليب التربويَّة التي لا يكاد يخلو منها بيتٌ شعري، وهذا ما يزيد من أهميَّة الشَّعر وما يجعلنا أمام مسؤولية تبسيطه للمتعلِّم أولاً، ثمَّ ترسيخه في قلبه وعقله وجوارحه.

٢- ترسيخ القيم الإسلاميَّة في سلوك الأفراد:

إنه إذا ما تمَّ تأصيل العقيدة الإسلاميَّة في الشَّعر العربي - كما أسلفنا -؛ فإنَّ الشَّعر تلقائياً سوف يعتبر مصدراً رئيساً ومنهلاً يعين القرآن الكريم والسنة النبويَّة على ترسيخ القيم الإسلاميَّة في المتعلِّمين، فمن المعروف " أنَّ أسلوب المخاطبة الشَّعرية، أسلوبٌ لتعلُّم الجميع، فمن أهمِّ ما يميِّز الشَّعر تناقله بين النَّاس بكثرة، فيلمس شغاف القلب والعقل، ولغة المخاطبة بين النَّاس يؤخذ منها الحكمة والموعظة، وهناك العديد ممن انتهجوا نهج التربيَّة بالشَّعر، ومن أهمهم الإمام الشافعي -رحمه الله- (٢) الذي يرى أنَّ الشَّعر ما هو إلَّا انفعالٌ وجدائيٌّ يدفع إلى العمل المباشر، أراد من خلاله نصح النَّاس خاصة؛ لأنَّه يؤمن بأنَّ الشَّعر تعبيرٌ مباشرٌ أقرب ما يكون إلى الاستجابة الحسية، فهو يؤدِّي الفكرة أو المعنى، ويحرِّك

(١) حسن عبد الله الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) الشافعي: هو الإمام محمد بن إدريس بن عثمان أبو عبد الله الشافعي المكي، ولد في منتصف القرن الثاني للهجرة، من أهمِّ علماء الإسلام في الفقه والمناظرة والأدب وغيرهم، وله ديوان شعري عظيم المسمى بديوان الشافعي، ومن أهمِّ مؤلفاته كتاب الرسالة - كتاب الأم.. الخ

التنفس للعمل بها." (١)

وإن هذه القيم الإسلامية الحميدة منتشرة في الشعر العربي، فتشكّل حديقة جميلة، وما أغنى هذه الحديقة! فالقارئ يجد نفسه معجباً ومشدوداً لتلك الدعوات الحميدة للتحلي بالقيم التي صاغوها شعراً وبطولة، فهذا كعب بن زهير يقول في برده (٢):

لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَأَلَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا مُجَازِعًا إِذَا نِيلُوا

وهذه الأبيات هي كناية عن قيم المسلمين في الحرب، فهم لا يشمتون في أعدائهم عند النصر، ولا يصيبهم الجرع والخوف عند الهزيمة، وإن هُزموا فهم لا يجزعون من لقائهم لمن هزمهم مرة أخرى؛ لأنهم على ثقة تامة بفوزهم ونصرهم عليه؛ لأنهم يعرفون أنّ الأيام دُول، وأنّ الصبر على البلاء قوة، وفي البيت مقابلة تُبيّن حال المسلمين في الموقفين النصر والهزيمة. وهذا بيت آخر لكعب بن زهير يقول فيه (٣):

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرَضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

ويقصد بالخنا الفحش.

إذن فالشعر يعتبر من أغنى مصادر القيم الإسلامية التي استقاها الشاعر من دينه وأخلاقه، وتوارثها عن آبائه وأجداده، وهو معتز بها وغيور عليها.

٣ - توجيه السلوك الأخلاقي والاجتماعي لدى المتعلم بالشكل الصحيح:

يمتاز الشعر بقدرته على تصحيح الإشكاليات الأخلاقية، وحل المشكلات الاجتماعية من خلال ما يطرح من قضايا، وقدرة التحويل والتبديل موحودة في الشعر الإيجابي الذي يدفع الأنفس إلى سبيل الرشاد، وأجّاه الخير والعلو بما نحو أهداف يسعى إلى تحقيقها المفكرون والأدباء، "فالأدب لديه القدرة على إظهار السلوكيات على اختلافها من خلال سرده للخلق ماء، إما عن طريق محاولة إظهاره، أو إضماره وتربته، أو أماتته عن طريق صياغة وتصوير ذلك الخلق في صورة محبة يستريح لها القلب، ولا تأبأها النفس، أو يحجها الذوق السليم، هذا إذا كان الخلق فاضلاً، أمّا إذا كان ذميماً، فإن تلك الصياغة وذلك التصوير تجسده تجسداً قبيحاً؛ حتى يكرهه الناس فيجتنبوه، ليس غير الأدب بما فيه من صياغة وتصوير يتولّى ذلك؛ فهو القناة التي تعبرها صورة الخلق أيّاً كانت؛ لتصل إلى ذهن المتلقّي في صورة أدبية رائعة." (٤) عندها

(١) زينب جمال الدين فلمبان، مبادئ تربوية من ديوان الإمام الشافعي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٠٧ - ١٤٠٨ هـ، ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٦٧.

(٣) شهاب الدين محمد الأبيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٢٦٢.

(٤) محمد عبد الله الغامدي، الجانب الخلفي في المعلقات العشر - القيم والقضايا الأخلاقية وأثرها في التشكيل -، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ١٨.

يكون الشَّعر قادراً على تأديب سلوكيات المتعلمين، وتوجيه أخلاقياتهم؛ ممَّا يساعد على تحسين الحياة الاجتماعية، والتي لا يستقيم عمادها إلا من خلال استقامة الناحية الأخلاقية للفرد، وهنا يتضح لنا جلياً مدى العلاقة بين الأدب - وخاصة الشَّعر - والسلوك إلى جانب المسؤولية التي تقع على عاتق الشاعر الذي يتطلب منه احتواء القيم الإسلامية، والمبادئ التربوية في شعره؛ حتَّى يتمَّ نقلها إلى المتعلم؛ فيستطيع من خلال ذلك الشَّعر القيام بدوره التربوي في توجيه السلوك الأخلاقي والاجتماعي لدى المتعلم على أكمل وجه.

٤ - فهم الحياة وتفسير سلوكيات أفراد المجتمع:

إنَّ الشَّعر يطرح لنا مواقف وتجارب عاش فيها من سبقنا من الأمم، وهي لا تختلف كثيراً عن مواقف حياتنا، وظروف معيشتنا، وتغيُّرات الأحداث في عصرنا، ونحن في حاجةٍ إلى فهم هذا التراث الشعري، وفهم طريقة حل من كان هذا المخزون القيمي؛ نتيجةً لصراعهم مع الحياة وتعايشهم معها، وهو كفيلاً لتوضيح لنا تصرفاتهم وسلوكياتهم، وفهم طبائعهم وأساليبهم، وتفسير العديد من سلوكياتهم، " فالشَّعر إنما يفصِّل من قلوب شعوبه وأفئدتها في مختلف العصور، فهو دائماً يصوِّر حياتها وآمالها وآلامها، سواء في عصور الابتهاج أو في عصور الابتئاس، إلى جانب أنَّه هو المترجم لمشاعر الشعوب العربية وأحاسيسها المختلفة، وهو المشارك في الحياة السياسية، والاجتماعية، والوجدانية، والدينية مشاركةً كبيرةً." (١)

ومن الجدير بالذكر أنَّ الشَّعر إذا ما أراد القيام بمهمته التربوية على أكمل وجه؛ فإنَّه لا بدَّ له أن ينضج ويمتق فهم الحياة، لا بدَّ عليه من مساعدة الأفراد من الاندماج مع المجتمع والتجاوب معه بشكلٍ إيجابي، وتفاعل أعضائه مع بعضهم البعض، وأنَّ يوجههم نحو فهم الحياة، ومعرفة الغاية منها، وأنَّ يسعى بهم إلى تحقيق هذه الغاية.

" كما يعدُّ من مهام الشَّعر تفسير السلوك، إذ يزيدنا فهماً لطبائع البشر، ويكشف الغطاء عمَّا لا تراه العين العابرة من طبائع الناس، والشَّعر يغوص إلى أعماق النَّفس؛ ليُخرج رواسبها من حالة اللاشعور المبهم الغامض إلى حالة التصوير الواضح." (٢)، إذن فالشَّعر وسيلةٌ تربويةٌ لفهم تفاصيل الحياة، ولفهم تصرفات الأفراد فيمن حولنا، وسلوكياتهم وطبائعهم؛ ممَّا يتيح الفرصة لمعرفة طرق التعايش السليمة معهم، للوصول إلى تكوين مجتمعٍ إسلاميٍّ أكثر تناغمًا.

٥ - توسيع المدارك وزيادة آفاق المتعلم:

إنَّ ديننا الإسلاميُّ يحثُّنا على الاطلاع والثقف، وصقل النَّفس البشرية بالعلم والمعرفة، والتزوُّد بكل ما هو نافع للعقل ومثمر، إذ بدأت الرسالة السماوية بقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، "فالمسلم مدعوٌّ إلى زيادة

(١) شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مَرِّ العصور، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م، ص ٥ - ٦.

(٢) حسن عبد الله الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص

العلم والمعرفة، والأدب العربي هو وعاء الأخلاق العربيّة^(١) والتي حرص الدّين الإسلامي على التزوّد منها والتحلّي بها، وجعلها الغاية العظمى من الاطلاع والتثقيف. وقد سُخّر الشّعْر لهذه الوظيفة؛ لكونه من أهمّ وسائل التأثير وجذب الانتباه، وله القدرة على تهيئة المتعلّم لاستقبال القيم الإسلاميّة، أو الرسائل التربويّة من خلاله بالشكل القوي المؤثّر.

ولما كان الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - من أكثر الصحابة معرفةً وعلماً بدور الشّعْر التربوي في توسيع مدارك المتعلّم، وزيادة آفاق المتلقي، فقد كانوا لا يغفلون عن توظيفه في خطبهم، ويستشهدون بالآيات الشعريّة في العديد من المواقف الحياتية التي تطلب إعطاء دروسٍ تربويّة تبقى راسخةً في أذهان متلقيها، " فهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقد لبس برداً جديداً فنظر إليه النَّاس - وقد روى لورقة بن نوفل في أبيات"^(٢):

لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَاهُ تَبَقَى بِشَاشَتُهُ يَبْقَى الْإِلَهُ وَيَفْنَى الْمَالُ وَالْوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدَ قَدْ حَاوَلْتَ عَادُ فَمَا خَلَدُوا

والبيت كناية عن أنّ بقاء الحال من الحال، وأنّ كلّ شيء ماعدا الله زائل..

و"هذا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - حينما بنى داراً يستشهد بيّتين من الشّعْر، فيقول"^(٣):

تَوَقَّدَ بِنَارٍ أَيْنَمَا كُنْتَ وَاشْتَعَلَ فَلَسْتَ تَرَى مِمَّا تُعَالِجُ شَافِيَا
تَشِطُّ فَيَقْضِي الْأَمْرَ دُونَكَ أَهْلُهُ وَشَيْكَاً وَلَا تُدْعَى إِذَا كُنْتَ نَائِيَا

والبيت كناية عن عدم الأهمية، وضعف المكانة، وانخفاض القدر..

وهذا إنّ دلّ إنّما يدلّ على أنّ الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - كانوا من أكثر النَّاس درايةً بأهمية الشّعْر التربوي، ودوره الحيوي في تثقيف العامة، وغرس القيم الإسلاميّة فيهم، لأنهم يؤمنون تماماً بأنّ القيم السامية إنّما تستمد من طبيعة الإسلام وجوهره، وهذه القيم إنّما رسخت في ألسنتهم شعراً ونثراً، وأنّها من أهمّ الوسائل التي يمكنهم من خلالها حل العديد من المشكلات، ممّا يساعدهم على بناء الشخصية المسلمة المتكاملة الجوانب في كلّ فرد من أفراد المجتمع، وهذا ما كان عليه المجتمع المسلم في السابق، وما نأمل أن تعود له الأمة الإسلاميّة من خلال تفعيل دور الشّعْر التربوي في الواقع التعليمي، وتنمية ما فيه من قيمٍ إسلاميةٍ في نفوس المتعلمين..

٦ - خدمة المجتمع وإشباع حاجات أفرادهِ النفسية بصورة وظيفية:

ويتمّ ذلك من خلال غرس القيم التربويّة التي تتناسب مع حاجات المتعلمين، وما يريده المجتمع منهم، فالشّعْر

(١) محمد عبد الله الغامدي، الجانب الخلق في المعلقات العشر - القيم والقضايا الأخلاقية وأثرها في التشكيل - مرجع سابق، ص ٣٠.

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٣) محمود دسوقي خليفة - عصام عيد فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٩٢.

التربوي له هدف وغاية، ووظيفة وقيمة في حياة المتعلم، والتي تصب جميعها في إعداد الفرد الصالح والمجتمع القويم، ولا يتم ذلك إلا عن طريق تدريب الطلاب على النواحي العلمية والنفسية، وإشباع حاجاتهم النفسية لتنمية قدراتهم ومواهبهم وتطويرها، ومن ثم ترك المساحة للفرد لتحديد اتجاهاته أولاً قبل اختيار مسيرته الحياتية، وإعطائه المزيد من الثقة وتحمل المسؤولية؛ ليعلم مدى حاجة مجتمعه له، ويدرك الفراغ الذي يمكنه إكماله وإتمامه، ويسعى لتحقيق حاجة مجتمعه بأفضل الطرق، وعندها يتمكن من إثبات نفسه في المجال الذي يجب أن يكون فيه، مما يجعل من المواطن أكثر فاعليةً، لأنه تهيأ للعمل أولاً، وأصبح لديه مخزونٌ من الخبرات ثانياً، وتكوّن لديه ما يُسمّى بالوعي الإيجابي الذي سيكون له بمثابة النور والهداية إلى خير السبل، كما أنّ العديد من الأبيات الشعرية تتناول الحديث عن الوطن والوطنية، وحبّ الأرض والبلد، وعن الفرد الذي يعيش في هذا الوطن، وعن واجبه تجاهه من صون كرامته، والدفاع عنه، والذود عن مقدساته، والاعتزاز بتراته؛ مما يُنميّ حسّ الوطنية، والانتماء في نفس المتعلم، ويقوّي من إخلاصه لبلده، ولأرضه ولولادة أمره.

٧- تزويد المتعلمين بشروة لغوية من المفردات والتراكيب والأساليب وحسن الأداء وجودة النطق والإلقاء وتمثيل المعنى:

يتميّز الشعر عن غيره من الفنون الأدبية باستمالة القلوب والعقول، فهو يستهوي الجميع؛ لما فيه من إيقاع وسلاسة تطرب لها المسامع، وتتهافت عليها الأنفس، وهذا الفن الذي يمتاز بكل تلك المميزات والإغراءات في القبول عليه، والإقبال على سماعه، لا بدّ له من القدرة على التغيير والتطوير واستثمار هذه الميزات في إثراء حصيلة المتعلمين اللغوية أمر في غاية الأهمية، وخاصةً كون الشعر "من الوسائل الناجحة في تزويد التلاميذ باللّغة السليمة، وعن طريقها تتهدّب لغتهم ويسمو أسلوبهم"^(١)، إلى جانب أنّ الشعر يساعد المتعلم على الإجادة في القراءة والنطق، وإخراج الحروف من مخرجها الصحيحة ولفظها بالشكل السليم، كما يساعده على التعرّف على كلمات جديدة، والتطرّق إلى معانيها مما يُثري قاموس المتعلم اللغوي، فأنّصال المتعلم بالبيئة الشعرية وتعرّفه على ما يكمن فيها من أساليب وتراكيب لغوية وتصوّرات وأخيلة يجعله قادراً على الاقتباس من تلك الحصيلة كلّ جديد ومفيد، وتتيح له إمكانية التخييل وطلاقة التعبير.

٨ - إدراك المتعلمين للخصائص الفنيّة للنص الأدبي والقدرة على التذوّق الفني والنقد البناء:

إنّ قراءة الشعر تعتبر من أهمّ وسائل توسيع أفق الإنسان في سير غور المعرفة وعالم الأفكار، وإنّ قراءة الشعر وتأمل النص الأدبي يبيح الفرصة لتنمية الملكة التي يمكن من خلالها تقدير الأدب الإنشائي والحكم عليه، والمفاضلة بين شواهد ونصوصه، إلى جانب حصول ملكة البلاغة للسان، وتحصّل هذه الملكة من خلال ممارسة كلام العرب، وتكرار سماعه والتفنّن لخواص تراكيبه، والموازنة بينه وبين كلام غيره؛ مما يساعده على استجابة المتلقّي للنص الأدبي، وتفاعله معه

(١) جابر عبد الحميد وآخرون، الطرق الخاصة بتدريس اللّغة العربية وأدب الأطفال، القاهرة، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، ١٩٧٧م، ص ٧٨.

بكل جوارحه، والإقبال على إدراك جمالياته، والحكم على فنياته، والانغماس في تجربة الشاعر، بحيث يستطيع المتلقي تقدير النص الأدبي والحكم عليه حكماً موضوعياً.

وهذا التحليل الموضوعي للنصوص الأدبية إنما يتيح الفرصة للقارئ بأن ينتقي القيم الإسلامية والمبادئ التربوية، ونقد ما يراه يستحق النقد، لذلك كان من الضروري على المربين والمعلمين أن يجعلوا الشعر مساعداً على التربية، وغرس القيم الحمودة في نفوس المتعلمين للاستفادة، وتفعيل أهداف الشعر التربوية على الوجه السليم.

٩- تنمية ملكة الخيال والتفكير الإبداعي:

إن التراث الشعري يعتبر نتاجاً للتراكم الثقافي والفكري المستمر، وتعود جذوره إلى خبرات طويلة للشعوب منذ الأزل؛ جسّد فيه الإنسان معاناته وأحلامه وطموحاته المشروعة، وارتباطه الكبير بأرضه واستقراره، ودفاعه المستميت عن حاضره ومستقبله، وهو مادة خصبة للإبحار والتفكير فيما كان قائماً في ذلك الوقت، وفيما جرى فيه من حوادث ومواقف كان لها الفضل وأبلغ الأثر فيما نحن عليه في الوقت الحاضر، والإنسان منذ القدم وهو يحاول الوصول إلى صورة تعيد له تشكيل الماضي، وترتيبه أو على الأقل تقريبه. ولم يتوقّف عن إعطاء تفسيرات لكل ما قرأ عنه. فصاغ لها في خياله الخصب المبررات والتفسيرات التي تتناسب مع ما يتوقّف لديه من مواد، ويبدو أنّ الخيال من الأمور المهمة في الميدان التربوي؛ لكون "الخيال ضرورة يتمثّل ذلك فيما قام به عباس بن فرناس عندما وضع لنفسه أجنحة، وحاول الطيران فسقط جريحاً، ثمّ يمتد حتى يشمل المحاولات الأولى لصنع الطائرة، ويبلغ مدى بعيداً في سفن الفضاء؛ فالخيال إذن ضرورة ألهبت خيال الشعراء والعلماء والفلاسفة والمصلحين، وما أكثر ما تحوّل الخيال إلى حقيقة ربما يمكننا القول: إنه بداية الإبداع الفني والعلمي."^(١) وفي محاولة استحضار الماضي وملاساته، وما قد حصل فيه وما لم يحصل، ومحاولة المتعلّم للوصول بفكره وخياله إلى العالم الذي لم يره ولم يصله فرصة عظيمة في توليد أفكار جديدة، ممّا يساعد إلى الوصول إلى التفكير الإبداعي وغير التقليدي من خلال التأمل في الأبيات الشعرية، والوقوف على أحداثها، فالتأمل في معاني كل من الشعر والتفكير، يجد بينهما علاقة تبادلية، فكلّ منهما يؤدي وظيفة حيوية للآخر، فلمّا كان الغرض من الشعر "انفعال النفس بالترغيب والتنفير"^(٢)، وكان التفكير "مصباح الاعتبار، ومفتاح الاختيار"^(٣)، أي إنّ الشعر يحتوي على حصيلة كبيرة من القيم التي تتباين نظرة القارئ والمستمع لها، فهناك من يحكم على قيمة معينة بالإجادة، وآخر يراها عكس ذلك، كل حسب رؤيته، والشعر يطرح تلك القيم يرغب في بعضها، ويحث على اعتناقها، وينفر من أخرى، ويأمر بالابتعاد عنها واجتنابها،

(١) حسن عبد الله الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٢) علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، لبنان، دار المعرفة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ١١٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٢.

والتفكير هو بمثابة الميزان الذي يزن الأمور، وهو المصباح المنير الذي يوضح الصورة للقارئ، فيختار ما يراه جيداً وما يتفق مع عقله وفكره، ويحكم عليه هذا العقل بالإيجاب والقبول.

١٠ - بناء شخصية المتعلم من جميع النواحي الخلقية والوجدانية والنفسية والاجتماعية والجسمية والعقلية:

يستطيع الشعر المساهمة في بناء شخصيات المتعلمين وصلها عن طريق إسهامه في نموهم الخلقية، والوجدانية، والنفسية، والاجتماعية، والجسمي، والعقلي في سبيل تطويرهم، وإعداد الإنسان المتكامل المتوازن العابد الصالح الذي يعمل لخيره وخير مجتمعه، وللإنسانية جمعاء.

المبحث الرابع: الخصائص الموضوعية والفنية والأغراض الشعرية لشعر صدر الإسلام:

إنّ التعاليم التي فرضها الدين الإسلامي على العرب قد ألزمت الشعراء بحدوث تغييرٍ عظيمٍ تجاه أمتهم، وهو الذي غيّر من بعض فنون الشعر التي اعتادوها، فجعلهم يبعدون في هجائهم عن المعاني التي تثير الضغائن والأحقاد، أو تمسّ عرض المسلمين، ولم يعد الشاعر في صدر الإسلام يفخر بقبيلته وحرابها ومغانمها، إنّما تحوّل الفخر إلى الأمة الإسلامية وجماعة المسلمين، وهداية الله لهم، وأتباع أوامر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولم يكن ذلك إلاّ انطلاقةً من شعورهم بالمسؤولية الكبيرة تجاه الأمة الإسلامية كافة، فقد أصبح المنهج الجديد للشاعر المسلم ينطلق من "الحرص على تحبّب الأغراض الجاهلية التي تثير الأحقاد، وتخلّ بمفاهيم القيم والأخلاق، وتدعو للتمسك بالعصبية القبلية على حساب تماسك الأمة الإسلامية، إلى جانب التزامه بفكر الأمة الإسلامية وأخلاقها، ومقومات نهضتها والدفاع عنها، والتعبير عن الأطر الكلية في بناء الأمة؛ العدالة والمساواة والتكافل الاجتماعي والجهاد وغيرها من المبادئ الجزئية المكوّنة لهذه الأطر، وجعلوا الشعر الإسلامي إنّما يقاس بما يحتمل من تأثر بالغ بالقرآن الكريم في فكره وصوره ولفظه ومعانيه، كما يُقاس أيضاً بمدى سهولته ووضوحه، وما يحتمل من رقةٍ ولينٍ ودلائل تحضّر المسلمين، وما يحتمل من واقعية وصدق وترابط موضوعي وفني."^(١)

أولاً - الخصائص الموضوعية والفنية لشعر صدر الإسلام:

ومن الممكن الوصول إلى رسم لملامح خصائص هذه الحقبة الزمنية موضوعياً وفنياً من خلال ما يلي:

١ - احتفظ شعر صدر الإسلام بقواعد بنائه القديمة في النظام القائم على وحدة التفعيلة:

إنّ الشعر العربي ظلّ محتفظاً بقواعد بنائه القديمة في النظم القائم على وحدة التفعيلة التي ينتج منها الهيكل الذي

(١) وفاء فهمي السنديوني، شعراء صدر الإسلام وتمثيلهم للقيم الاجتماعية، القاهرة، مطابع كميوجرافيكارت سنتر، ١٩٩٥م، ص ٣٧٦.

اكتشفه "الخليل"^(١) فيما بعد، وأسماه (البحور)."^(٢)، فأمر التغيير والتبديل أمرٌ طارئٌ دخيلٌ على العربي، والذي من أعظم شيمه البقاء والأصالة والتمسُّك بالفكرة والتزامها. ونُظِمَ الشَّعرُ كانت جزءاً من شخصيَّة هذا العربي الذي بقي متمسكاً بطريقة من سبقوه، وبقي محافظاً على خصائص الشَّعر الفنيَّة، وملتزمًا بجانب الكمال الفني في بناء الشَّعر من حيث التفعيلة والبحر والقافية، وبقي شعره معبراً عن طبيعة الحياة العربيَّة في أغلب الوقت واصفاً من خلاله خلجات نفس الإنسان العربي القديم، "فالتنهج الجاهلي هو السائد في أساليب الشعراء، في المديح والمجاء والفخر والثناء، فإذا نظرنا إلى قصيدة البردة (بانت سعاد)، وهي من القصائد المهمة في الاعتذار للرسول-صلي الله عليه وسلم - ومدحه، نجدها جاهلية حتى في ذكر الرسول ومدحه - عليه السَّلام -، وكذلك الحال في مديح كعب بن مالك وحسان بن ثابت، وهذا يعني أنه لم يحدث تطوُّرٌ واسعٌ في القصيدة العربيَّة على هدى الإسلام، وهذا أمرٌ طبيعي لأنَّ عصر المخضرمين عصر انتقال العرب من حياة العرب القديمة إلى حياتهم الإسلاميَّة الجديدة، وفي عصور الانتقال لا تبرز الظواهر الجديدة في الفن إلا بعد فترة تستقر فيها النفوس، وتفتتح فيها الأذهان على متطلبات العهد الجديد."^(٣)

لذلك ليس من الأمر الغريب أن يكون الطَّابع الجاهلي طاغياً وجلياً على القصيدة العربيَّة في صدر الإسلام، "فشعراء البادية هم بقية الجاهلية في الإسلام، وشعرهم جاهليٌّ إعرابيٌّ بكل صفاته، ولم يكن إسلامهم ليغيِّر من المنهج العام الذي لزمه الشعراء في صياغة الشَّعر ونظمه."^(٤)

٢ - ميل شعر صدر الإسلام إلى السهولة والرقّة بشكل أكبر ممّا كان عليه الشَّعر في الجاهلية:

لقد اكتسب الشَّعر الإسلامي رقةً في التعبير بعد أن عمّر الإيمان قلوب الشعراء، تظهر تلك الرقة في سهولة الألفاظ ووضوحها، وتهذيب اللّغة، والبعد بها عن الوحشية والغرابة. يتحدث شوقي ضيف عن أثر القرآن الكريم في لغة شعراء صدر الإسلام فيقول: "إنه هدّب اللّغة من الوحشية، ومن اللفظ الغريب فأقامها على هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة."^(٥)، والوحشية من الحوشي: أي الوحشي، وحوشي الكلام: وحشيه وغريبه، ويُقال: فلان يتتبع حوشي الكلام، ووحشي الكلام، وعقمي الكلام بمعنى واحد."^(٦)، إذن فتميّز الشَّعر الإسلامي بالسهولة والوضوح واللين دليلٌ على تأثر هذا الشَّعر بالدين الجديد، مع ما أضفى عليه من سمة الحضارة، والتي تشبَّعها من الفكر الإسلامي الجديد.

-
- (١) هو الخليل بن احمد الفراهيدي، استاذ عصره في اللّغة العربيَّة مؤسس علم العروض (وهو علم يُعرّف به صحيح أوزان الشعر العربي وبحوره)، وواضع أول معجم للغة العربيَّة وهو (كتاب العين)، وهو معلم عالم النحو المشهور سيبويه.
 - (٢) عمر الطيب الساسي، دراسات في الأدب العربي على مرّ العصور، مرجع سابق، ص ٣٤.
 - (٣) يحي الجبوري، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مرجع سابق، ص ٣٤٨ - ٣٤٩.
 - (٤) المرجع سابق، ص ٣٦٨.
 - (٥) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٣.
 - (٦) العلامة ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٢، حرف ج - ح، ص ٦٥٩.

٣ - سهولة وسلاسة شعر صدر الإسلام والإيجاز وقلة المفردات الغريبة:

"فالملاحظ أنّ كثيراً منه كان يُنظَّم على بحر الرجز، لأنّه أسهل البحور، ومعروف أنّه أكثر قابليّةً للتجزئة والتعديل، وكان كثير الدوران في حذاء العرب من قديم، وفي مبارزة الأقران في الحروب، فكان طبيعياً أنّ يكثر جريانه على السّنة الجنود والمحاربين في مقطوعاتهم القصيرة، وهو - دون ريب - يؤكّد الطوابع الشعبية لهذه المقطوعات لسهولة لغتها ويسرها، فما هي إلّا أنّ يسلّ الجندي المحارب سيفه للقتال حتّى تغد على خاطره شطور من الرجز يقذف بها معاناة أو مكابدة، كما يقذف بسهمه أو يضرب بسيفه ورمحه في عجلة دون ريث أو إبطاء."^(١)

٤ - التأثر بالقران الكريم والحديث الشريف في التشبيهات والاستعارات وأساليب البيان الأخرى:

إنّ من انبهار الشعراء في صدر الإسلام بالقران العظيم، وما احتواه من تشبيهات واستعارات وأساليب البيان على مختلف أنواعها، والتي لا تكاد تُحصَر، إلى غير ذلك من المحسنات المعنوية واللفظية، تجعل الشاعر أمام كمّ هائل من البلاغة والفصاحة والإعجاز، والتي يحاول أنّ يقتبس منها ويرصّع بها أشعاره لزيادة قوّة هذه الأشعار، وجعلها ذات قدرة على الولوج إلى قلب المتلقّي بسرعة تفوق غيرها من أقرانها.

وإنّ من أمثلة الاقتباسات القرآنية في شعر المخضرمين وشعراء صدر الإسلام، والتي جعلت من أشعارهم أبياتاً خالدة ذات أثر ربّان في الأنفس، ومنها قول الشاعر أوس بن مجير الطائي يقول في معركة بزاخة؛ متأثراً بالقران الكريم لفظاً^(٢):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ يَصُبُّ عَلَى الْكُفَّارِ سَوَاطِعَ عَذَابٍ

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩].

ويقول تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَاطِعَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]

ويقول أبو محجن في هجر الخمر متأثراً بالقران الكريم في المعنى^(٣):

رَأَيْتُ الْخَمْرَ صَالِحَةً وَفِيهَا مَنَاقِبُ تُهْلِكُ الرَّجُلَ الْحَلِيمَا

ويلاحظ أنّ هذا البيت متأثر بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ

لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

(١) شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، مرجع سابق، ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) محمود دسوقي خليفة - عصام عيد فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٥.

٥ - ظهور ما يشبه الوحدة الموضوعية بشكل أكثر عمقاً:

وذلك من خلال ارتباط الشاعر بفكرة الإيمان، والدفاع عن الإسلام، ورسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم، ولكنها ليست وحدة موضوعية كاملة، إذ لا زالت الأبيات المنفردة تتمتع باستقلال موضوعي في إطار القصيدة.^(١)

فمهما استقلت الأبيات والأفكار والموضوعات، ومهما انحازت إلى موضوع معين بعينه، إلا أنها لا بد أن تُعبر عن موضوع الساعة في ذلك الوقت، وهو الدفاع عن الدعوة، وهو الموضوع الذي كان له الفضل الأكبر في التغيير من فكر العربي وصنع الفارق في حياة الناس، وطريقة عيشهم، وأسلوب كلامهم، فالشاعر كان متيقناً لقوة الشعر في الدفاع عن الدين وعن النبوة، "فالتخذ من شعره سلاحاً ضد الشرك والمشركين، وهو يعلم أنه لا يقل أهمية عن غيره من الأسلحة، وربما أفاد في مواقف لا تنفيذ فيها الأسلحة ولا تجدي، كما حدث مع وفد تميم، فبعد أن قام خطيبهم ورداً عليه ثابت بن قيس بن ثابت، ثم قام شاعرهم فرداً عليه حسان بن ثابت، فأعجبوا بالخطيب والشاعر، وقالوا: خطيبهم أحسن من خطيبنا، وشاعرهم أحسن من شاعرنا، وأعلنوا إسلامهم أمام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -"^(٢)، كما أن أبياتاً قالهن كعب بن مالك بعد حنين تُوقع الرعب في قلب دوس، فتسارع إلى إعلان إسلامها واستسلامها"^(٣).

وبذلك كان الشعر وسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية، وسلاحاً من أسلحة الدفاع عنها، وهذا ما زاد من أهميته، وجعل مبدأ الدعوة إلى الله تعالى، والدفاع عن دينه موضوعاً أساسياً في القصيدة في صدر الإسلام، لإيمان الشاعر المخضرم بقوة مرتكزات الجاهلية وعمقها في نفس العربي، وأهمية تكثيف الموضوعات الدينية والمحضرات الإسلامية في نفس الجيل المسلم الجديد الذي كان في بداية ظهوره، وقد كان كعب بن زهير من أهم شعراء عهد النبوة، والذين كانوا ينظمون الشعر في الدفاع عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والإشادة بالإسلام وتبيان محاسنه، والذي أطلق عليهم اسم شعراء الطبقة الأولى من شعر الدعوة.^(٤)

ثانياً- الأغراض الشعرية في عصر صدر الإسلام بشكل عام:

لمّا كانت هذه الدراسة تتناول شعر كعب بن زهير الشاعر الذي صنّف تحت مُسمّى المخضرمين، والذي عاش في بداية فترة الإسلام، والتي استغرقت قرناً من الزمان، ممتداً من الجاهلية إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم -، وبالأخص فترة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته أئمة المسلمين، كان حريّاً على الدراسة أن تتناول الأغراض الشعرية في هذه الحقبة الزمنية، والتي يتضح جلياً أنّ رحمة الدين الإسلامي طالت جميع مجالات الشعر كافة بمجرد دخول

(١) عمر الطيب الساسي، دراسات في الأدب العربي على مَرِّ العصور، مرجع سابق، ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) محمود خليفة - عصام فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٣) يحيى الجبري، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مرجع سابق، ص ٣٦٣.

(٤) عمر الطيب الساسي، دراسات في الأدب العربي على مَرِّ العصور، مرجع سابق، ص ٣١.

هذا الدّين عليها، وغيّرت العديد من المفاهيم والقيّم، وأصبح لهذا الدّين بصمته الجلية في جميع مضامير حياة العربي حتّى أغراض الشّعْر وموضوعاته، فلقد اختفت أغراض وموضوعات شعرية بظهور الإسلام، وظهرت أخرى. "فمن الأغراض التي اختفت الغزل الفاحش، والشّعْر الماجن، والمديح الكاذب، والفخر الذي يثير الأحقاد والضغائن، واحتفى في طياته الفخر بالعصبية القبلية والتعجّيّ بأيام العرب والثأر والظلم والعدوان، كما احتفى شعر المهجاء والخمريات، أمّا الأغراض التي ظهرت في صدر الإسلام فهي المدائح النبويّة، والفخر بالانتماء إلى الجماعة الإسلاميّة، والتعبير عن فكر الأُمّة الإسلاميّة، والتحلّل من الارتباط القبلي إذا خالفت أوامر الله تعالى، والفخر بالارتباط بالله، والتعبير عن الروابط الإسلاميّة الولاء والجوار، إلى غير ذلك من تكافل اجتماعيٍّ وعدالةٍ والمساواة والعمل ونشر الجهاد في سبيل الله، والتعبير عن المعاني الدينية، والفخر بالإسلام."^(١)

وربما كان انتشار فنّ الرثاء عن الفنون الأخرى في عصر صدر الإسلام، يرجع إلى الأحداث التي تميّزت "بكثر ما استشهد من المسلمين في المعارك التي دارت بينهم وبين قريش، أو بينهم وبين اليهود؛ ومن ثمّ رثاء رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - والصّحابة، فلم يكن شعر الرثاء إلّا صورةً من صور الدعاية للدين، وبتّ الأفكار الإسلاميّة؛ لأنّ شعراء المسلمين كانوا يمزجون رثاء القتلى بثواب الآخرة، والتنعمّ بجنان الخلد، والشهادة في سبيل الله أسمى غاية يسعى إليها المسلم."^(٢)، إلى غير ذلك من الموضوعات الشعريّة كالغزل العفيف والمدح والفخر والحماسة، وهي موضوعات شعرية لا تختلف كثيراً عن الموضوعات التي تناولها شاعرنا كعب بن زهير، والتي سوف تتطرّق إليها الدّراسة في الفصل الرابع الفصل الذي خصص للتعرف على شعر كعب بن زهير.

من خلال العرض السابق اتّضحت ماهية الشّعْر في التّصوّر الإسلامي، وموقف القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة من الشعر، والوظائف والأهداف التربويّة للشعر، والتعرّف على أهمّ الخصائص الشعريّة الموضوعيّة والفنيّة للشعر في صدر الإسلام، وسيتمّ في الفصل الذي يليه التّطرّق إلى ماهية القيم الإسلاميّة وعلاقتها بالشعر.

(١) وفاء فهمي السنديوني، شعراء صدر الإسلام وتمثيلهم للقيم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٣٨٥ - ٣٨٦.

(٢) يحيى الجبوري، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مرجع سابق، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

الفصل الثالث القيم الإسلامية وعلاقتها بالشعر

- المبحث الأول - مفهوم القيم الإسلامية واتجاهاتها.
- المبحث الثاني - أهمية القيم الإسلامية ووظائفها.
- المبحث الثالث - مصادر القيم الإسلامية.
- المبحث الرابع - خصائص القيم الإسلامية.
- المبحث الخامس - القيم الإسلامية وعلاقتها بالشعر.

الفصل الثالث

القيم الإسلامية وعلاقتها بالشعر

تمهيد:

المبحث الأول: مفهوم القيم الإسلامية واتجاهاتها.

لقد تباينت وجهات النظر وتعددت حول مفهوم القيمة الإسلامية، وسبب ذلك اتساع نطاقها، وتداخلها مع الكثير من العلوم الأخرى، فقد عرّفها (ماجد جلاّد) بأنّها^(١): مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الفرد والجماعة، مصدرها الله -عزّ وجل-، وهذه القيم هي التي تحدّد علاقة الإنسان، وتوجّهه إجمالاً وتفصيلاً مع الله تعالى ومع نفسه، ومع البشر ومع الكون، وتتضمّن هذه القيم غايات ووسائل ". وهناك من عرّف القيمة الإسلامية بأنّها^(٢): مجموعة الأوامر والنواهي التي تجعل سلوك الإنسان متطابقاً مع قواعد الشّرع الحنيف، والتي تشمل عقيدة الإنسان وعبادته ومعاملاته مع بني جنسه، وعلاقته مع الكون الذي يعيش فيه، وتكون نابعة من القرآن الكريم والحديث الشريف".

وتعرّف (خديجة مقبيل) القيم الإسلامية بأنّها^(٣): القوانين والقواعد والأحكام الشرعية التي جاءت لهداية الإنسان إلى التي هي أقوم، على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، والعالم أجمع ".

ويعرّفها (فايز الحارثي) بأنّها^(٤): تلك المعايير التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهّرة، ودعا إليها الإسلام، وحثّ على الالتزام والتمسك بها، وأصبحت محلّ اعتقاد واثّاق واهتمام لدى المسلمين؛ إذ تمثّل موجّهاً، ومرجعاً لأحكامهم؛ إذ يحدّد من خلالها المقبول وغير المقبول، والمستحسن والمستهجّن، والمرغوب فيه وغير المرغوب فيه، من الأقوال والأفعال ومظاهر السلوك المختلفة ".

ويعرّف (مساعدة المحيا) القيم الإسلامية بأنّها^(٥): الأحكام التي يصدرها المرء على أيّ شيء، مهتدياً في ذلك بقواعد ومبادئ مستمدة من القرآن والسنة، وما تفرّع عنهما من مصادر التشريع الإسلامي، أو تحتويها هذه المصادر، وتكون موجّهةً إلى الناس عامةً؛ ليأخذوها معايير للحكم على أنفسهم قوّة وتأثيراً عليها"، وعلى الرغم من تعدّد التعاريف التي تناولت مفهوم القيم الإسلامية، إلّا أنّها تتفق في العديد من النقاط، لعل من أهمّها ما ذكره (سيد الطهطاوي)

(١) ماجد زكي جلاّد، تعلّم القيم وتعليمها، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢) أحمد عثمان، القيم الحضارية في رسالة الإسلام، السعودية، الدار السعودية، ١٤٠٢هـ، ص ٤٢.

(٣) خديجة حسن مقبيل، القيم التربوية في الأمثال التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى، كلبية التربية، مكّة المكرمة، ١٤١٤-١٤١٥هـ، ص ٥٤.

(٤) فايز عبدالله الحارثي، القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في بعض برامج الشّباب بقناة المجد الفضائية، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٥) مساعدة بن عبدالله المحيا، القيم في المسلسلات التلفازية، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٤هـ، ص ٨٠.

بأنه: "(١) نظراً لأهمية القيم بالنسبة للفرد والمجتمع، فإن هدف التربية الإسلامية بناء مجتمع تسوده مجموعة من القيم، والمثل العليا والأخلاق الفاضلة التي حددها الإسلام، والتي تحرص أول ما تحرص على تنشئة إنسان ذي سلوك أخلاقي؛ وفقاً لمجموعة من القيم التي يتضمنها هذا الدين"، ويمكن ملاحظة الأمور التالية عند موضوع القيم الإسلامية:

١. إن القيم الإسلامية قيم مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن مصادر التشريع المتفرعة منها.

٢. إن القيم الإسلامية هي اللبنة الرئيسة لبناء مجتمع تسوده الأخلاق الفاضلة والمثل العليا.

٣. إن القيم الإسلامية ثابتة مرنة متطورة؛ لأنها تتوافق مع عقيدة تحمّل نفس الصفات.

٤. إن القيم الإسلامية تعدّ بمثابة المحرك والموجه للسلوك الإنساني القويم.

٥. إن القيم الإسلامية هي التي تحدّد علاقة الإنسان وتوجهه إجمالاً وتفصيلاً مع الله تعالى، ومع نفسه، ومع البشر، ومع الكون.

٦. إن القيم الإسلامية لا تنفصل عن مصدرها، وهذا ما صبغها بصبغة الخلود والبقاء؛ لأنها تبنى على أساس عقيدي متين متغلغل في أعماق النفوس والعقل والوجدان.

ومن التساؤلات التي تعترض أيّ باحث في موضوع القيم الإسلامية: هل القيم نسبية أم مطلقة؟ وهل القيم ثابتة أم متغيّرة متطورة؟ إلى جانب مدى ذاتيتها وموضوعيتها؟ وقد أجابت العديد من الدراسات على هذه التساؤلات، وسوف يتعرّض البحث لهذه الأبحاث الفكرية في مناقشة هذه القضية.

الاتجاه الأول: "من حيث الإطلاق والنسبية، ويوجد هنا مستويان:

أ - **القيم المطلقة:** وترتبط بالأصول، وهي قيم ثابتة ومطلقة ومستمرة، لا تتغيّر بتغيّر الزمان والأحوال، ولا مجال للاجتهاد فيها إلاّ الفهم والوعي، ومن ثمّ يجب على المسلم أن يتقبّلها، ويسلم بها، ويعمل بمقتضاها، وهذه تُردُّ إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة بمعناها الواسع. (٢)

وانطلاق القيم الإسلامية من معتقدها القويم الإيمان بالله تعالى، ومن مصدرها الأساسي كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وعليها تبنى صفاتها المطلقة، ممّا يجعلها تحمّق الثبات والإطلاق لثبات مصدرها ومنبعها، قال تعالى: ﴿لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، وهكذا فإنّ القيم والأخلاق الإسلامية "شاملة" توجه حياة الإنسان كلّها، وباعتبار أنّ قوانينها تمثّل إرادة الله فإنّها تُضفي على حياته الاستقرار والثبات الدائم، ولكي تظلّ القيم الخلقية الإسلامية ثابتة في مرونة (تعرف السباحة ولا تقبل التهاون)؛ فإنّ القرآن يجعل من (الله المثل الأعلى) الذي

(١) سيد أحمد طهطاوي، القيم التربوية في القصص القرآني، القاهرة، دار الفكر التربوي، ١٤١٣هـ، ص ٥٧.

(٢) على خليل أبو العنين، القيم الإسلامية والتربية، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حلي، ١٩٨٨م، ص ٧١.

تُقاس عليه قيم الإسلام.^(١)، ومن أمثلة هذه القيم أركان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسوله، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشده.

ب - **القيم النسبية:** وترتبط بما لم يرد فيه نص أو تشريع صريح، وهي تخضع للاجتهاد الذي لا يتعارض مع نص صريح، ومعنى نسبيتها أنها متغيرة بتغير المواقف عبر الزمان والمكان، وتحتاج إلى اجتهاد جمعي لإقرارها.^(٢)، ومن أمثلة القيم الإسلامية النسبية أن الدين الإسلامي حث على الكرم ولم يحث على الإسراف، وحث على الاقتصاد والتدبير ولم يأمر بالخل، وهي قيم اقتصادية نسبية تعود لظروف المجتمعات المادية، والأوضاع التي يعيش فيها الشخص.

ويذكر (عبد الغني عبود) ^(٣) أن من أهم سمات الأخلاق والقيم الخلقية الإسلامية أن النسبية في مجال الأخلاق حقيقة لا يمكن التناكر لها، ذلك أن الأخلاق حينما تنظر في قيمة النشاط الإنساني لتعطي مغزاه الخلقي، فإنها تبحث في تقدير المضمون الاجتماعي للقيم هذا النشاط في إطار القيم والمعايير الاجتماعية، وهذا ما يبرر القول بنسبية القيم المشروطة بطبيعة الوضع الاجتماعي القائم، وبهذا المعنى فإن القيم منتجة ثقافية أو مصطنعة اجتماعية صدرت عن مواقف وظروف التاريخ، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن القيم إنسانية بمعنى أنها لا توجد خارج الإنسان، حيث إنها توجه السلوك الإنساني وفق غايات خلقه تتحقق فيها إنسانية الإنسان، ولا تتضح طبيعتها إلا بتعبير الإنسان عنها في صورة سلوكية. "وعلى هذا يتضح أن لكل فرد قيمة خاصة به، أو قيمة يفضلها عن غيرها من القيم، ويجدها بأنها الأفضل، وهذا يوضح نسبية القيم.

ولعل أبرز أصحاب هذا الاتجاه هم من أمثال (محمد جميل خياط) الذي يقول بعد طرحه لقضية نسبية القيم: "ولعل الرأي الذي يتفق وطبيعة القيم الإسلامية: إن هناك قيمة مطلقة، وهي التي نطلق عليها المبادئ والأسس والقواعد، وقيمة نسبية خاصة، فالقيم التي صورها وحي الله وشرعه قيم مطلقة وعامة وشاملة، أي إنها قيمة مهما اختلفت الأحوال والأزمات، وهي تناسب كل إنسان، وفي كل زمان ومكان؛ لأن الذي جعلها قيمة هو الذي خلق الإنسان... وهناك قيم اجتماعية يصورها المجتمع، وهي أقرب إلى الاتجاهات والعادات والأعراف منها إلى القيم، ذلك أنها خاضعة للتغير على خلاف القيم الثابتة."^(٤)

وعلى هذا فإن القيم الإسلامية تجمع بين الثبات الذي يمنحها الاستقرار وبين المرونة التي تواجه بها تطور الزمان

(١) عبد الغني عبود، الأحكام القيمية الإسلامية لدى الشباب الجامعي "رؤية تربوية"، المدينة المنورة، أحياء التراث الإسلامي، ص ١٤٣-١٤٢.

(٢) فايز عبدالله الحارثي، القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في بعض برامج الشباب بقناة المجد الفضائية، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٣) عبد الغني عبود، الأحكام القيمية الإسلامية لدى الشباب الجامعي "رؤية تربوية"، مرجع سابق، ص ١٣٨-١٣٩.

(٤) حسن عبد الله الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ١٦٩.

وسنة التغير؛ فالقيم الإسلامية ثابتة ومطلقة من حيث الأصول، ومتغيرة متجددة من حيث الفروع، وهذا ما كفل لها الخلود والبقاء، والصلاحية الدائمة.

الاتجاه الثاني: من حيث ذاتية القيم وموضوعيتها من منظور التربية الإسلامية:-

ففي تصنيفات القيم هناك من يتخذ الموضوعية والذاتية أساساً للتصنيف، بمعنى هل تعتبر القيم المتعلقة بأمر ما قيمة في ذاتها بغض النظر عن علاقتها بالإنسان أو اهتماماته، بمعنى أنها موضوعية، أم أنّ القيم نابعة من حيوية هذا الشيء وأهميته بالنسبة للإنسان، الذي يجد فيها إشباعاً لرغباته وحاجاته فتعتبر ذاتية؟ "وقد تطرّق التربويون إلى هذا المجال، فاعتبر بعضهم الموضوعية، إلا أنهم لا ينكرون ناحية الاهتمام الإنساني أو الذاتية كعامل له أثر في القيمة، لكن هذه الذاتية لا تعتبر العامل الأوحد الحاسم المقرر للقيمة، إذ إنّ للقيمة اعتباراً منفصلاً ومستقلاً عن رغبة الإنسان واهتماماته؛ إلا أنّها تثير الرغبة والاهتمام لديه، وبالنسبة لهذه النظرة وانعكاسها على مجال التربية، فإنها تعني تقرير شيء ما على التلاميذ لقيمتهم الموضوعية، بغض النظر عن الفائدة التي يمكن أن يحسها التلاميذ من هذا الشيء، وفي مثل تلك الحالات قد نجد التلاميذ أحياناً ما يدرسون المادة الدراسية لا عن اقتناع منهم بأنّ دراستها ترضيهم وتشبع حاجاتهم، بل لأنّ دراستها والنجاح فيها أمرٌ يؤثّر في مستقبلهم، وفي نظرة الكبار إليهم."^(١)

ويرى آخرون أنّ القيم ذاتية، وأنّ الأخلاق الذاتية هي التي تتمثّل في وعي الإنسان الفرد، وبها تكون الذات الإنسانية هي مبعث كلّ قيمة خلقية؛ وذلك لأنّ قيمة الأشياء تعبيرٌ عن شعور وتقدير ذاتي من جانب الفرد، مشتق من ذاته المتفاعلة مع خبرته، ومن ثمّ فإنّ مفهوم الذاتية يرتبط بتقديرات الحكم على القيمة وطبيعة السلوك بمقتضاها، وأنّ هذه الأحكام أو التقديرات تتوقّف على اتجاهات الفرد نحو مظهر معين من مظاهر السلوك في إطار هذه القيم."^(٢)

"فالقيم تتّصف بالذاتية؛ إذ يحس كلّ شخص منا بالقيم على نحوٍ خاص به، والإنسان هو الذي يحمل القيم ويخلعها على الأشياء، وتتسم بالموضوعية، بحيث تشكّل طابعاً قومياً عاماً، ومشاركاً بين جميع الطبقات."^(٣)

وجملة القول: إنه لا بدّ من التوازن بين الموضوعية والذاتية، فالقيم من حيث الموضوعية ترسخ المصدر وتحافظ على ثباته، ومن حيث كونها ذاتية، فهي قيم قابلة للتطوير والتعديل. ونخلص إلى أنّ القيم لدى الأفراد تتباين وتختلف بحسب مقدار اهتمام الفرد بقيمة ما، أو مدى قوّة تأثير هذه القيمة، والسلم القيمي يختلف من فرد إلى آخر مهما تطابقت طرق التربية وأساليبها، فربما تحتلّ القيم العقديّة اهتمامات فرد ما فتكون في أولوياته القيميّة، ويكون إيمانه بها إيماناً شديداً في الوقت الذي تحتلّ القيم التعبديّة اهتمام فرد آخر وهكذا، إلى جانب التيقن أنّ كلّ فرد من أفراد المجتمع المسلم لا

(١) على خليل أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٢) عبد الغني عبود، الأحكام القيميّة الإسلامية لدى الشّباب الجامعي "رؤية تربوية"، مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٣) صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، الأردن - عمان، دار المسيرة للنشر، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ٢٣٥.

تكاد تخلو حصيلته القيمية من مزيج من القيم الذاتية والموضوعية، إلا أنّ القيم الذاتية ربما كانت أوسع وأشمل من الموضوعية لكونها ذاتية المصدر، ومتوارثة لاستناد جزء كبير منها إلى الدين أو التربية أو التعليم، فهي قيم غُرست في الأنفس غرساً، ممّا كفل لها الاستمرارية والبقاء دون غيرها من القيم الموضوعية التي تختلف بحسب اختلافات المجتمع، واعتقاداته وأخلاقه، وهذا يؤكّد أنّ القيم الإسلامية تعتمد بالشكل الرئيس على مبدأ الوسطية، فهي تقيم التوازن بين كلّ من القيم الروحية والقيم المادية، إلى جانب تصنيفها للقيم الإسلامية إلى قسمين: قيم إسلامية ثابتة، وقيم إسلامية غير ثابتة؛ فالثواب ما كانت ثابتة بنص شرعي ووحى من عند الله تعالى، أمّا القيم الإسلامية غير الثابتة، فهي التي لم يحدّد فيها نص شرعي، إلى جانب مراعاة التربية الإسلامية للاختلاف المجتمعي والديانات والأعراف والتقاليد والعادات، فالقيم تتأثر بجميع هذه العوامل، فهي تتشكّل بحسب بيئة الأفراد، وحسب عوامل حياتهم، وتباين بشكل كبير من مجتمع إلى آخر حسب أهداف هذا المجتمع وسياسته وتطلعاته، إلى جانب التربية السائدة في هذا المجتمع؛ لأنّ الدور الكبير الذي تلعبه القيم الإسلامية في التأثير بالمجتمعات، والتأثر بها يجعلنا نقف أمام أهمية توضيح هذا الدور ومعرفة وظائف هذه القيم الإسلامية، وهذا ما سيوضّحه لنا المبحث الرابع من الفصل الأوّل بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني: أهمية القيم الإسلامية ووظائفها.

رغم تعدّد الفلسفات والتصورات للقضية القيمية؛ إلا أنّ موقفها من أهمية القيم وضرورتها للسلوك الإنساني واحد لا يتغيّر، إذ يتفق الجميع على أثرها البالغ في تشكيل سلوك الإنسان، وبناء شخصيته، وتعريفه بذاته، ويقول في ذلك (صلاح الدين رسلان): "إنّ القيم هي كلّ شيء بالنسبة للإنسان، حيث تعمل على تأكيد إنسانيته والسمو بها من درجة إلى أخرى أعلى منها، وأننا لا يمكن أن نتصوّر وجوداً حقاً للإنسان، فحياة الإنسان تصبح غير ممكنة، إذا لم تكن معتمدة على القيم التي تعطي لوجودها بعداً وقدرًا لم يكن لها."^(١)

وتبرز أهمية القيم على مستوى الأفراد والجماعات على النحو التالي:

أولاً: أهمية القيم الإسلامية على مستوى الأفراد:

١ - القيم تحدّد مسارات الفرد وسلوكياته في الحياة:

"إنّ السلوك الإنساني ينبع من القيم التي تنشأ بدورها عن التصوّر والمعتقد والفكر، فتفكير الإنسان في الأشياء والمواقف التي تدور حوله وبناء على تصوراتها عنها هو الذي يحدّد منظومته القيمية، ومن ثمّ تصدر أنماط السلوك وفق هذه المنظومة، وبناءً على ذلك تأتي أهمية القيم كمنظمات لسلوك الأفراد فيما ينبغي فعله والتحليّ به، أو تركه والابتعاد

(١) صلاح الدين بسيوني رسلان، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، القاهرة، دار الثقافة للنشر، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ٣٥-٣٦.

عنه. (١)

أي إن تأسيس الفرد تأسيساً سليماً قائماً على ترسيخ القيم الإسلامية الصحيحة يؤدي إلى توجيه سلوكه إلى الاتجاهات الصحيحة، وتحديد مساراته في مجالات ومواقف الحياة المختلفة، يكون قادراً فيها على مواجهة ما يقف في طريقة وفقاً للحصيلة القيمة التي تكوّنت لديه.

وتعطي القيم للفرد فرصة التعبير عن نفسه وتأكيد ذاته، فإنّ الإنسان يختار سلوكياته والمواقف المختلفة وفق القيم التي يكتسبها، كما تدفعه إلى تحسين إدراكه ومعتقداته لتتضح الرؤيا أمامه، وبالتالي تساعد على فهم العالم من حوله، وتوسيع إطاره المرجعي في فهم حياته وعلاقاته.

٢- القيم حماية للأفراد من الانحراف والانجرار وراء شهوات النفس وغرائزها:

"تلقني المادّة بثقلها على الإنسان، وتدفعه بعيداً عن سموها الخلقي والروحي، وكلما حاول الانفلات من قيودها جاءته بثوب جديد، فللغرائز البشرية في النفس فعلها، وللشهوات والأهواء تأثيرها، فهي مزينة للإنسان محببة إليه وقوة ضغطها كبيرة هائلة، وقد امتنّ الله - عز وجل - على المؤمنين بأن هداهم إلى الدين القيم، وبأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وذلك سبيل الرشد والصلاح." (٢) "قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]

"فالقيم تعمل على إصلاح الفرد نفسياً وخلقياً، وتوجهه نحو الإحسان والخير والواجب، كما تعمل على مساعدته لضبط شهواته كي لا تتغلب على عقله ووجدانه." (٣)، فهي بمثابة الحصن المنيع الذي يحفظ الإنسان من الميل والانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي والأخلاقي، وبدون هذه القيم يكون الإنسان منقاداً خلف غرائزه وشهواته، لا رادع له ولا مانع.

٣ - القيم هي اللبنة الرئيسة لبناء الأفراد الأخيار لتكوين خير مجتمع:

فهي الحصن الواقعي للأفراد ضد التغريب وتحديات العولمة، "فكلّ فرد يُعدّ لبنة في البناء الاجتماعي، فإذا ربّينا كلّ فرد تربيةً خيرةً؛ نكون عندئذٍ قد كوّننا مجتمعاً خيراً، وهناك العديد من العناصر التي تؤدي دوراً مهماً في بناء خير فرد لتكوين خير مجتمع؛ وتلك العناصر كالتالي:

أ- "تكوين روح الخير فيه، بحيث يلتزم السلوك الخير، ويسعى لتحقيق الخير للناس ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، كما يلتزم بتحسّب سلوك الشّر، ويعمل ليحول دون وقوعه من أحد على أحد، ومن مميزات هذه الروح الخيرة أنّها لا تكنفي

(١) ماجد زكي جلاّد، تعلّم القيم وتعليمها، مرجع سابق، ص ٤١-٤٢

(٢) المرجع السابق، ص ٤٢-٤٣.

(٣) ماجد الزيود، الشّباب والقيم في عالم متغير، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦م، ص ٢٧.

بالسعي لفعل الخير، والوقوف أمام الشر عن حب ورغبة، بل زيادة في ذلك تسعى لتعليم الناس الخير وسبل تحقيق الخيرات." (١)

ب- تكوين روح الإنسانية وتوجيهها نحو الفطرة الخيرة؛ فالقيم التربوية توجه فطرة الإنسان نحو حب الخير وامتهان الشر، لذلك فالإسلام لا يصادم الفطرة، ولكنه يهدبها، ويعمل على تنميتها وتقويتها وحمايتها، إنه يريد للناس أن يحبوا وأن يكرهوا؛ لأن هذا من فطرتهم، ولكن الحب على إطلاقه والكره على إطلاقه يدمران النفس ويبددان طاقتها، من أجل ذلك يضع الإسلام ضوابط لشهوة الحب والكره منها ما يتصل بالروح، وأخرى تتصل بالعقل، وجميعها تتصل بالله. (٢)

٤ - القيم هي المكوّنة للشخصية القوية متحدة الذات:

"إن أثر القيم الإسلامية لا يخص جانباً من جوانب النفس دون الأخرى، بل إنه يهيمن عليها حتى لا يدع دقة من دقائقها، إن تلك القيم الشاملة لا تجعل المسلم صادقاً في معاملاته وممارساته الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والتجارية، متعاوناً فيها على البر والتقوى، عفيفاً معتدلاً في تعامله معها وحسب، لكنها لتنفذ إلى أعماق قلبه، تغرس فيها رهافة في الحس، وشفافية في الذوق والضمير، قال البخاري في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]: كاد الخيران أن يهلكا: أبا بكر وعمر- رضي الله عنهما-، رفعا أصواتهما عند النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قدم ركب تميم من السنة التاسعة للهجرة، وقد أراد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يؤمر عليهم رجلاً منهم، فأشار أحدهما بتأمير الأقرع بن حابس، وأشار الآخر بتأمير القعقاع بن معبد، وفي بعض الروايات أن أبا بكر قال لعمر: ما أردت إلا خلافي؟ قال عمر: ما أردت خلافاً، وارتفعت أصواتهما، فنزلت الآية. فلما أخذ ذلك الدرس وعياه، ولم يعودوا يتحدثان في مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا السرار أو أخوا السرار. وقد زوي أن أبا بكر وعمر بعد أن انتهيا وأعلنا تأدبهما في القول مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣]، فهكذا تتجاوب السماء معهم رقةً، كما تتجاوب معهم رجزاً؛ لتصلقهم صقلاً كريماً، وتطهرهم من كل ما يمس الذوق الرفيع، أو يصدم الشعور النبيل." (٣)

فالقيم من أهم الأمور المشكّلة للشخصية المسلمة المتزنة، المقوية لإرادة الإنسان، فالشخص الذي لا تربيته

(١) مقدار الجح، التربية الأخلاقية الإسلامية، ط٢، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ١٣٨-١٣٩.

(٢) محمد عبدالله آل عمرو، محمود يوسف الشيخ، أصول التربية الإسلامية، ط٤، السعودية، مطابع الحميضي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ١٣٥.

(٣) عبد المجيد بن مسعود، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٩هـ، مرجع سابق، ص ١٣١.

القيَم، يعيش متخبطاً متذبذب الأخلاق متشتت النفس والروح، ينتابه الكثير من الصراعات، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المالك: ٢٢]، إلى جانب أنَّ القِيَم تصبغ الفرد بالوقار والهيبة والمنزلة الرفيعة بين أقرانه، وتجعله ذا سيرة عطرة، وتسمو به مكانةً عند الله تعالي وعند خلقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٢]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَحُّوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَسْحُوا يَسْحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١]

وهكذا يتضح لنا الأثر البناء الذي تتركه القِيَم الإسلامية في الشخصية الإنسانية الإسلامية، بحيث تصوغها صياغةً ربانيةً تلمس كل مواطنها، وتهز جميع أوتارها، لينخرط الإنسان بكل طاقاته في رفع البناء الذي أمر الله تعالى برفعه على هدى من الله.

ثانياً: أهمية القِيَم الإسلامية على مستوى الجماعة:-

"تؤثر القِيَم بصفة عامة على المجتمع، حيث إن السلوكيات التي تؤدّيها للأفراد وفق قِيَم معينة يقع تأثيرها على المجتمع؛ فإن أي تنظيم اجتماعي بحاجة شديدة وماسة إلى نسق أو (نظام) للقِيَم يشابه تلك الأنساق أو (النظم) الموجودة لدى الأفراد، فيضمنه أهدافه، ومثله العليا التي عليها تقوم حياته ونشاطاته وعلاقاته، فإذا ما تضاربت القِيَم أولم تتضح؛ فإنه سرعان ما يحدث الصراع القِيَمي الاجتماعي الذي يدفع بالتنظيم الاجتماعي إلى التفكك والانهيار." (١)

ذلك ويمكن تلخيص أهمية القِيَم على مستوى الجماعات في النقاط التالية:

١ - إن القِيَم تحافظ على تماسك المجتمع، فتحدد له أهداف حياته ومثله العليا ومبادئه الثابتة، حيث إن القِيَم تختار وفق مبادئ ومثل المجتمع التي هي فيه." (٢)

فالمجتمع المتمسك بقيمه والمحافظ عليها، يحصن بذلك مجتمعه ويحميه من الزوال. فإن بقاء المجتمعات والحضارات وتقدمها ورفيها رهن بتمسكهم بقيمهم، وعكس ذلك سببه التفريط في القِيَم الإسلامية، والتهاون في التمسك بها وترسيخها في المجتمع، وقد وضّح القرآن الكريم هذه الحقيقة في العديد من الآيات التي جاءت تعقيباً على نهاية مجتمعات وأقوام وأمم رفضت معايير القِيَم الفاضلة، وركنت إلى معايير فاسدة، من ظلم وتكبر واضمحلال، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا

(١) إسماعيل عبد الفتاح الكاظمي، موسوعة القِيَم والأخلاق الإسلامية، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م، ص

(٢) على خليل أبو العينين، القِيَم الإسلامية والتربية، مرجع سابق، ص ٣٦.

يَكْسِبُونَ ﴿[الأعراف: ٩٦].

٢ - "نزود القيم المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع العالم، وتحدد له أهدافه ومبررات وجوده، ومن ثم يسلك في ضوئها وتحدد للأفراد سلوكياتهم."^(١)؛ "وذلك لأن المجتمع الإنساني مجتمعٌ محكومٌ بمنظومة معايير تحدد طبيعة علاقة أفرادهم ببعضهم ببعض في مجالات الحياة المختلفة، كما تضع القيم مجموعة المعايير التي يتعامل بها المجتمع مع غيره من المجتمعات الإنسانية، وتشكل هذه المعايير بمجموعها قيماً محددة تسعى المجتمعات إلى تعزيزها عند أفرادها وصيغ حياتهم بصيغتها، ثم نقلها إلى غيرهم من المجتمعات."^(٢)

٣ - إن القيم تحفظ للمجتمع هويته وتمييزه، فالقيم تساعد المجتمعات الإسلامية على مواجهة خطر الذوبان في المجتمعات الغربية، عن طريق الانصهار في ميادين القيم الإسلامية مع مواكبة الحضارة المستقبلية."^(٣)

فلكل مجتمع ثقافة، ولكل مجتمع هوية، لا نتعرف إليها إلا عن طريق القيم السائدة في ذلك المجتمع، فهي التي تظهر على أفرادها علامات فارقه، وشواهد واضحة، لتمييز المجتمعات عن بعضها، والمجتمع الإسلامي تفرّد عن غيره من المجتمعات بقيمه النبيلة المشهود لها في كافة أنحاء العالم الإسلامي وغيره، ولعل كثيراً من المجتمعات المبدعة في حياتها تقودها قيمٌ عليا أوصلتها لهذه النجاحات، وهذا التميّز.

٤ - إن خلاص العالم المعاصر من المشكلات التي تواجهه لا يكون إلا عن طريق الالتزام بالقيم الدينية، وهو ما أكدّه علماء الاجتماع وعلماء النفس والتربية، وقد وجد المنصفون منهم أنّ في الدين الإسلامي الصفات التي ينشدونها."^(٤)؛ فالتربية الإسلامية على عكسها من التربيّات الأخرى "تنظر إلى الإنسان نظرة متكاملة قائمة على الامتزاج بين المادة والروح، فاهتمت التربية بالجسم في إطار تربية الإنسان لارتباط الجسم بالعقل والنفس."^(٥)، فمن أهم ما يركز عليه الفكر الإسلامي قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، إذن فهي تربية تعيد التوازن لحياة العصر وحياة الفرد، يقول (محمد جاد)^(٦): "إنّ التربية الإسلامية تمثل أفضل منهج للحياة على الإطلاق؛ ذلك لأنّها تمتلك من المقومات ما يجعلها مؤهلة لذلك تمام

(١) ماجد الزبود، الشباب والقيم في عالم متغير، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٢) ماجد زكي جلال، تعلم القيم وتعليمها، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٣) ماجد عرسان الكيلاني، أصول التربية الإسلامية "دراسة مقارنة بين أصول التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، سلسلة نظرية التربية الإسلامية ١، دبي، دار القلم، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٣٧٦.

(٤) محمد جميل خياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، مكة المكرمة، الفيصلية، ٢٠٠٤م، ص ٥٠.

(٥) محمد حسن العميرة، أصول التربية التاريخية، الاجتماعية، النفسية، الفلسفية، ط٣، عمان- الأردن، دار المسيرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٦) محمد احمد جاد صحح، التربية الإسلامية - دراسة مقارنة، مجلد ١ بيروت، دار الجيل، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص ١٩.

التأهيل، فهي بأصالتها من بين النظم الأخرى، وبطبيعتها المرنة، وبمبناها في صفائه وعطائه، وبوسائلها في تنوعها وتعددها، وبفلسفتها في وضوحها وسموها، وبمبادئها في استقامتها وعظمتها، وبأهدافها في سموها ونبيلها، تعدد أكثر التربيَات أهميةً وصلاً للناس كلِّ الناس".

ومن ذلك تتضح أهمية القيم الإسلامية في بناء المجتمعات وتقدمها، مما يؤكد على أهمية تأسيس الأجيال القادمة، وتشريبها القيم الإسلامية بأفضل الطرق والوسائل.

ثالثاً: وظائف القيم الإسلامية: -

إنَّ للقيم الإسلامية جملةً من الوظائف، تحددها الدراسة فيما يلي:

١ - تزوّد الفرد بالإحساس بالغرض لكلِّ ما يقوم به، وتساعد في توجيهه نحو ذلك الغرض. أي: إنَّ

القيم تمارس دوراً سلطوياً على الفرد

بمعنى أنَّ القيم هي أساس مبدأ النظام الذي يحكم الفرد، ويحكم العلاقات بين الناس وتوجّه سلوكهم، فالفرد المعتنق لقيمة ما يؤمن بها إيماناً كاملاً، ومن خلالها يستطيع تحقيق أغراضه وأهدافه المنشودة نحو الأفضل، فهي تلعب دوراً مهماً في رفع مستوى الفرد والجماعة، ومن ثمّ رفع مستوى الإنسانية، لأنّ هذه القيم من أهمّ محددات إطار النشاط الإنساني، وتوجيهه التوجيه السليم المقنن، فإحساس الفرد وإيمانه بأهمية القيمة تساعده بشكلٍ أكبر على تحقيق أغراضه أكثر من غيره.

٢ - تهيئ الأساس للعمل الفردي والجماعي الموحد:

إنَّ القيم من أبرز عناصر بناء وتكوين الشخصية للفرد، وهي ذات قدرة كبيرة على التحكم بأتماط سلوكه وتعامله مع الأشياء والأشخاص والموضوعات، مما يؤثر تأثيراً كبيراً في التنشئة الاجتماعية، ومصادر القيم الإسلامية تحوي الكثير من النماذج التي تحثُّ وتنمي في الأنفس سمة العمل الفردي والجماعي الموحد والتعاون، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ويقول تعالى: ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١١]، ويقول تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، " وفي هذا إخبار من الله تعالى بأنّه عليم بما يعملون؛ فكلّ عمل عملوه وكلّ سعيّ اكتسبوه، فإنّ الله تعالى يعلمه، وسيجازيهم عليه أتمّ الجزاء وأفضله، وإنّ الأعمال الصالحة صلاح في جميع الأزمنة"^(١) وهذه الآيات الكريمة تحمل العديد من القيم العقديّة المنظّمة للحياة، ولعلاقة الإنسان بربه تعالى. فمتى استقام المسلم على العقيدة، كان تحكماً بأنواع سلوكه وضبطها، والعمل على دفع الضرر والمفسدة عنها، والاستزادة من المنفعة والعزة والمصلحة؛ فالإنسان الذي لا يقيم له، لا يُعرّف لذة العمل، ولا يتذوّق طعم الحماس، بل يحيا حياةً ضائعة، لا يعرف أينَ الجهة التي

(١) عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القاهرة، فجر للطباعة للنشر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م،

يُؤيِّ وجهه شطرها، فالتربية الإسلامية التي تُشتقُّ منها القيمُ تربية عملية في ذاتها، فهي تؤكد على " الجانب العملي في حياة الفرد والمجتمع، ولا تكفي بالنظريات فقط، بل لابدّ من التوازن بين النواحي النظرية والعملية."^(١)

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرًا لِّلْعَمَلِينَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨]، وقد حثَّ الرسول الكريم - صلوات الله عليه وتسليماته - على العمل وأثنى على العمال، ونحى عن الكسل وحذر منه، عن أبي هريرة- رضي الله عنه - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال : (والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلاً أعطاه الله - عز وجل - من فضله، فيسأله أعطاه أو منعه.)^(٢)، وفي هذا الحديث الشَّريف دعوةً تربيةً إلى العمل الفردي والجماعي، وإلى الأخذ بأسباب الرزق، والمحافظة على الكرامة والإنسانية، وعدم ذلِّ ماء الوجه وسؤال غير الله؛ لأنَّ هذا سلوك لا يتناسب مع مكانة الشخصية المسلمة المؤمنة، ومصادر القيم تزخر بالعديد من النماذج التي تحفز جانب العمل بشكل عام، وتدعو إليه.

٣ - تتخذ القيم كأساس للحكم على سلوك الآخرين:

لا اعتبارها وسيلةً من الوسائل التي يمكن من خلالها تحديد جدارة الأفراد والجماعات أو عدمها، فالعديد من الأساليب وطريقة تفكير أفراد المجتمع تتجسّد في القيم التي يصدر عنها السلوك.

٤ - تمكّن الفرد من معرفة ما يتوقّعه من الآخرين، وماهية ردود أفعالهم:

بحيث يزداد اهتمام الفرد بتطوير سلوكه، من خلال إدراك أفضل الطرق للعمل والتفكير، وهي تشجّع على زيادة عطاء الفرد أملاً في تلبيةه لتوقّعات المجتمع بشكل أكبر، وفي هذا تحقيق للضبط الاجتماعي، فهي تؤثر على الأفراد لكي يجعلوا سلوكهم أكثر تماشيًا مع المجتمع القويم.

٥ - تُوجد لدى الفرد القدرة على الإحساس بالصواب والخطأ:

من خلال الحصيلة القيمة التي تكوّنت لدى الفرد، والتي تخلق في قرارة نفسه ما يشبه الميزان، والذي يقيس من خلاله نوع السلوك، ويتيح لها التمييز بين ما هو صواب مقبول وبين ما هو مستهجن خاطئ، وهي بذلك تحميه من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي.

وترتبط النقاط الثلاثة السابقة ببعضها البعض ارتباطاً كبيراً؛ فعندما يعتنق الفرد مجموعة من القيم المستمدة من مصادر التشريع الإسلامي؛ كحسن الرأي، وعمق التفكير والدراية، ومراعاة الله - سبحانه وتعالى-، والرقابة الذاتية والصدق والأمانة وغيرها، فإنّ هذا يكون لدى الفرد قاعدةً سلوكية قويةً تمثّل أحكاماً معياريةً؛ يعتمدها الفرد في تقييم سلوكياته وسلوكيات الآخرين، وفي الحكم على الأفكار والأشخاص والأعمال والمواقف المختلفة، فمن خلال ذلك يكون

(١) فاتن محمد عزازي، أصول التربية الإسلامية، السعودية / حائل، دار الأندلس، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ١٩.

(٢) أحمد بن شعيب بن علي النسائي، سنن النسائي، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، (د: ت)، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، رقم الحديث: ٢٥٨٩، ص ٤٠٤.

أكثر قدرةً من غيره ممن لا مرجع قيمي لهم في الاختيار والمفاضلة بين ما هو مرغوب وبين ما هو دون ذلك، وأكثر قدرةً على التمييز والانتقاء بين ما هو متاح من الإيجابيات المنجية وترك السلبيات المهلكة. فالقيم تعمل كموجهات لخيارات الأفراد في جميع مجالات الحياة، فتساعد على حل النزاعات والصراعات والتخاذ القرارات عند الأفراد والجماعات على اعتبار أن القيم " تعمل على إصلاح الفرد نفسياً وخلقياً، وتعمل على ضبط الفرد لشهوته ومطامعه، وتوجهه نحو الخير والإحسان والواجب، لأنها تربط سلوكه وتصرفاته بمعايير وأحكام يتصرف في ضوءها، وعلى هديها." (١)

٦ - تساعد الفرد على تحمّل المسؤولية تجاه الحياة:

فينشأ الفرد قادراً على تفهّم كيانه الشخصي، والتمعّن في قضايا الحياة التي تمهّمه، وتؤدّي به إلى الإحساس بالرضا. (٢)، فعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (إنّ الله سائلٌ كلّ راعٍ عمّا استرعاه) (٣)، فالقيم الإسلاميّة تساعد على تكوين الفرد المسلم بضمير يقظ، يراقب الله سبحانه في كلّ أموره وحركاته وسكناته، وأنّ يقوم بما عليه من حقوقٍ وواجبات، فالحديث الشّريف فيه العديد من الدروس التربويّة، وربما أهمها أنّ المسؤولية أمر عام، فالكل مسؤول والجميع رعاة، وهذه المسؤولية إنّما كلّف بها الإنسان ليس تعسّفاً وتضييقاً، وإنّما تنظيماً للحياة، فحياة المسلم قائمة على الشعور بالمسؤولية، ودور الفرد في تنظيمها دورٌ بالغ الأهمية.

لذلك ينبغي الكشف عن أهمّ مصادر القيم في التّربية، فلكل تربية مصادرها الخاصة التي تستمد منها أصولها، والتّربية الإسلاميّة مصادرها هي مصادر التشريع الإسلامي، ومرجعها هي تعاليم وشريعة الدّين الإسلامي الحنيف، وحتى تستقيم القيم التربويّة لا بدّ وأن تتوافق مع هذه المصادر الأساسيّة، وفيما يلي تناقش الدّراسة مصادر اشتقاق القيم الإسلاميّة.

المبحث الثالث- مصادر القيم الإسلاميّة:

"تختلف المصادر التي تشتقّ منها القيم من ثقافةٍ إلى أخرى، وعلى العموم فإنّ المصادر التي تشتقّ منها القيم في المجتمعات البشرية هي التشريعات السماوية، وتشتقّ منها القيم المطلقة، وهي ثابتة مثل القيم المتعلقة بالحق المطلق، الخير المطلق، والجمال المطلق، وتشمل القيم الروحية والخلقية والمادية وغيرها، إلى جانب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ومجمل الحياة الإنسانية المشتقة من أهداف المجتمع المسلم، وتشتقّ منها الكثير من القيم المادية والمعنوية المختلفة." (٤) وما أنّ لكلّ مجتمع قيماً، ولكلّ قيمٍ مصدر، ومجتمعنا مجتمعٌ إسلامي، لا بدّ أنّ تكون كلّ قيمة تربوية مصدرها العقيدة الإسلاميّة، وهي إنّما استمدّت قوامها من مصادر التشريع الإسلامي؛ فالقيم التربويّة لا يمكن أن تنفصل عن الشرع، فهي بالشرع تقوم وتعطي أكلها، وبغيره لا يقوم لها كيان، ولا ينتشر لها شعاعٌ في دنيا الإنسان.

(١) على خليل أبو العينين، القيم الإسلاميّة والتربية، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٢) صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٣) سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب الجهاد عن رسول الله، باب ما جاء في الإمام، رقم الحديث: ١٧٠٥، ص ٣٩٨.

(٤) عبد الله الرشدان - نعيم جعيني، المدخل إلى التربية والتعليم، الأردن، دار الشروق للنشر، ١٩٩٤م، ص ٢١١.

" فقبل الأخذ بأيّ قيمة تربوية يتمّ مراجعتها في ضوء الشريعة الإسلامية، فإن وافقت الشريعة الإسلامية فهي قيمة تربوية موجبة، وإن لم توافقها فهي قيمة تربوية سالبة." (١)

وتقتصر دراسة الباحثة على تناول المصادر الأساسية للقيم الإسلامية (القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ثم تناول بعض من المصادر الفرعية وهي (أقوال الصحابة، والاجتهاد، والإجماع، والقياس، وما ورد إلينا من مآثورات وخطب وأشعار، من خلال المبحث التالي:

أبرز مصادر القيم في الإسلام:

أولاً - القرآن الكريم:

يعتبر القرآن الكريم هو المعيار الذي نقيس من خلاله القيم ، وهو الدليل والمرشد الأول للتعرف على نوعية القيمة، فشرعية القيمة تعني مطابقتها للقرآن الكريم الذي هو منبع القيم ، وهو طريق الهداية والرشد، وهو الموجه إلى الأخلاق والمزكي للنفوس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩]

"ومّا لاشكّ فيه أنّ القيم الفكرية والثقافية والأخلاقية والاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم قادرة على تحقيق مطالب البشرية كلّها، فضلاً عن الفرد المسلم، ذلك أنّ القرآن الكريم مصدرٌ للمعرفة أصيل متكامل وشامل لمتطلبات الحياة الإنسانية دقيقها وجليلها، عامها وخاصها؛ ذلك لأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يلحقه التبديل ولا التغيير." (٢)، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]

وقال تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]

ويعرّف القرآن بأنّه: "كلام الله المعجز، والمنزل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - منجماً، المتعبّد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، والمنقول إلينا نقلاً متواتراً بلا شبهة." (٣)، وهو المصدر الأول الذي تستقى منه القيم التربوية الإسلامية.

دور القرآن الكريم في تنمية القيم الإسلامية:

يعدّ القرآن الكريم الأساس الرئيس للقيم في الفكر الإسلامي، فالقيم تنبع من تصوّره للكون والحياة والإنسان،

(١) حسن عبدالله الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشرعية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ١٨٤.

(٢) أحمد الحمد، التربية الإسلامية، السعودية، دار أشبيليا، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ١٥٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٩.

وبهذا كانت القيم في الإسلام هي مقومات المجتمع المسلم، وهي العناصر الرئيسة لحضارة الإسلام.^(١)

١ - " إِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُرَبِّي الْإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ عَلَى فِضَائِلِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، فَقَدْ أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

٢ - تربية الإنسان على أعمال عقله بالتأمل والتدبر والتفكير في مخلوقات الله تعالى. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]

٣ - تربية الإنسان على المعاملات الأخلاقية الحسنة مع الآخرين؛ فذلك أفيد في توجيههم، وعدم استخدام الغلظة في المعاملة. قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

٤ - تربية النفس المسلمة على العواطف الربانية، وعلى الخوف من الله والخشوع له، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وكذلك استثارة عواطفه بذكر نعم الله، ومن أوضحها خلق الإنسان نفسه بهذا التكوين العضوي المتناسق.^(٢) ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]

٥ - "تنمية الأحاسيس الإنسانية، وفتحها على مشاهدة جميل صنع الله في خلقه، حيث يحس الإنسان بالطبيعة الكونية إحساساً عميقاً، خصباً وفيراً، وأن يكتشف ما فيها من نظامٍ وانسجامٍ وتوافق."^(٣)

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

أسلوب القرآن التربوي:

"إنَّ للقرآن أسلوباً رائعاً، ومزايا فريدةً في تربية المرء على الإيمان بوحداية الله واليوم الآخر. إنه يعرض الإقناع العقلي مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية، فهو بذلك يربِّي العقل والعاطفة جميعاً، متماشياً مع فطرة الإنسان في البساطة وعدم التكلف، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة؛ وهذه أفضل طريقة اهتدى إليها علم النفس لتربية العاطفة، أتمها تكرار إثارة الانفعالات، مع تجارب سلوكية مشحونة بهذه الانفعالات، مصحوبة بموضوع معين، حتى يصبح عند المرء

(١) رهام محمد بادويلان، القيم التربوية في قصص الصحابة من كتاب البداية والنهاية (دراسة تحليلية)، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٢) عماد محمد عطية، التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، ط ٢، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٦٦-٦٧.

(٣) زكريا أحمد، الفنان والإنسان، القاهرة، مكتبة الغريب، ١٩٧٢م، ص ٧.

استعداداً لاستيقاظ هذه الانفعالات كلما أُثير هذا الموضوع. (١)

ولعل أوضح مثال على هذا الأسلوب التربوي القرآني يتضح في سورة (الرحمن) حيث يذكّرنا الله - جلّ جلاله - بنعمه ودلائل قدرته، بادئاً من الإنسان، وقدرته على التعليم، إلى ما سَخَّرَ اللهُ من الشمس والقمر والنجم والشجر والفاكهة والتمر، وما خلق من السماء والأرض... وعند كل آية أو عدة آيات يضع الإنسان أمام الحس والوجدان، وصوت القلب والضمير، ولا يستطيع أن ينكر ما يحسّ به، ويستجيب له عقله وقلبه، وقد تكرر هذا الاستفهام (فيأي آلاء ربكما تكذّبان؟) وما بعدها إحدى وثلاثين مرة في هذه السورة، وفي كل مرة يثير انفعالاتاً بحسب الآية التي تسبقه. (٢)

وعلى هذا يمكن القول: بأنّ القرآن هو كتاب تربية وتنشئة، إلى جانب كونه أول مصدرٍ من مصادر التربية الإسلامية، فالقرآن الكريم جاء حافلاً بما يكفي لبناء القيم والخلق الإنساني. "فالخلق في طبيعته عبارة عن (سلوك الإنسان كفرد أو جماعة) سلوكاً يميّز فيه بين الخير والشر، فيرغب الخير ويختاره، ويعمل به ويمقت الشر ويعافه، وعن هذا السلوك تنتج الناحية الخلقية في النفس، ويستطيع الفرد أن يميّز في سلوكياته بين ما هو خير، وما هو شر، وما هو محايد." (٣)

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]

ثانياً _ السنة النبوية المطهرة:

يعتبر المصدر الثاني الذي تُستقي منه القيم التربوية منهجها التربوي هو السنة النبوية المطهرة " وهي: مجموعة ما نُقل بالسند الصحيح من أقوال الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأعماله، وتركه، ووصفه، وإقراره، ونهيه، وما أحبّ، وما كره، وغزواته، وأحواله، وحياته. (٤)

والسنة النبوية إمّا جاءت إيضاحاً للمنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم، وتبياناً للتفاصيل التي لم ترد فيه، إلى جانب استنباط أساليب تربوية من حياة الرسول الكريم - صلوات الله عليه وسلامه -، وصحابه الأخيار - رضوان الله تعالى عليهم -، ومعاملاتهم، وغرس الأيمان في نفوسهم.

"هذا وتعدّ السنة النبوية من الثوابت الإسلامية التي لا تخضع للمتغيّرات، وأوامرها ونواهيها لقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، ذلك أنّ السنة النبوية تعمل على تطبيق القرآن الكريم تطبيقاً عملياً، فتترجمه إلى واقع ملموس في حياة الفرد والمجتمع المسلم، وتوضّح تفاصيل

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط٢، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٥ م، ص ٢٤-٢٥

(٢) محمد احمد عبد الهادي، المربي والتربية الإسلامية، جدة، دار البيان العربي، (د: ت) ص ٢٣-٢٤.

(٣) عماد محمّد عطية، التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٤) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع السابق، ص ٢٦.

المبادئ والمعتقدات والمفاهيم التي جاءت عامة في القرآن، وتبيّن غاياتها، وما استغلق فهمه منها." (١)

وفيما يؤكّد أنّ السنّة النبويّة مؤكّدة للقرآن الكريم، وهي واجبة الاتّباع؛ ما جاء عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

أته قال: "إنّما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنّما أنا بشر." (٢)

" فالسنّة الصحيحة هي تعبيرٌ عن الإرادة الإلهية، وهي ملزمة كالإزام القرآن ذاته، وبالتالي فإنّ الإلزام الذي يأتي عن

النبي الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا يكون إلزاماً حقيقياً إلا إذا كان مصدره الأمر الإلهي، والوحي السماوي، وكذلك

الإجماع والقياس، بحيث يخنفي التعدّد، فالمصدر واحد؛ وهو أمرُ الله وإرادته." (٣)

دور السنّة النبويّة المطهّرة في تنمية القيم الإسلاميّة:

" تعتبر السنّة مصدراً من مصادر القيم الإسلاميّة؛ فكلّ ما صدر عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من

أقوال، وأفعال وتقريرات يعتبر ذا قيمة؛ لأنّه حجّة على المسلمين، واجب الاتّباع إذا صدر عنه بوصف أنّه رسول الله -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وكان المقصود به التشريع والافتداء." (٤)

فالرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان مربيّاً عظيماً، ومعلماً حكيماً، ذا أسلوب تربوي فريد، فقد كان مراعيّاً

لحاجات الإنسان منذ الطفولة، وكان يأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، كما راعى طبائعهم ومواهبهم وميولهم، فقد

كان داعياً لتهديب النفوس، وتوجيه الطاقات بطريقة متوازنة، لا يسبقه إليها غيره - صلوات الله عليه وتسليماته -.

" وإذا أخذنا ماجاء عن الإنسان في السنّة النبويّة، نجد أنّها استقصت أوضاعه كلها قبل ارتباط والديه ببعضهما، ثمّ

اعتنت به وهو جنين في بطن أمّه، ثمّ اهتمت به بعد ولادته من حيث تربيته ورعايته، وضبط غرائزه ودوافعه، وتلبية

احتياجاته، ثمّ تناولت القيم والأخلاق التي يجب أن يتحلّى بها حتّى يصبح مسلماً صالحاً، ونجد أيضاً الاهتمام ذاته

بالمجتمع في بنائه وتماسكه، ومكانة الفرد المسلم فيه، والعلاقات التي تنظم بين أفرادها، وبيان الحقوق والواجبات، وكلّ

ما من شأنه أن يؤدّي إلى بناء مجتمع إسلامي قوي و متماسك ومعاني." (٥)

" ولقد قدّم الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من خلال السنّة العديد من اللّمحات والنظرات والمواقف، ممّا

يشكّل في جملة معيّنات رائعاً، نستطيع أن نعترف منه الكثير في عالم التّربية والتعليم، ولقد احتوت على العديد من القيم

(١) عبد الله بن عقيل العقيل، التّربية الإسلاميّة مفهومها، خصائصها، مصادرها، أصولها، تطبيقاتها، مريوها، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٦م، ص ٣٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا على سبيل الرّأي، رقم الحديث: ٢٣٦٢، ص ٩٦٢.

(٣) صلاح الدين بسويوني رسلان، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، مرجع سابق، ص ١٣٣-١٣٤.

(٤) على خليل أبو العينين، القيم الإسلاميّة والتّربية، ص ٦٤.

(٥) أحمد رجب الأسمر، فلسفة التّربية في الإسلام - انتماء وارتقاء، الأردن - عمان، دار الفرقان، ١٤١٧ هـ، ص ٧١.

والتصورات الأساسية اللازمة لحياة إنسانية واجتماعية سليمة، وهناك جوانب عديدة في السنة تؤهلها مصدراً من مصادر اشتقاق القيم؛ مثل: القيم التربوية، والقيم الجسدية، والقيم العقديّة والعقلية، وغيرها^(١)، وهذا يؤكد أهمية السنة النبوية كمصدرٍ من مصادر القيم الإسلامية لا بدّ أن تُؤخَذَ بالاعتبار إلى جانب القرآن الكريم، فضلاً عن كون الرسول - صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - يعتبر القدوة الكبرى للمسلم وللأمة الإسلامية.

فالمستبَع لمواقف الرسول - صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - وأخلاقه وأدبياته في التعامل مع رعيته وحسن عشرته لهم، إلى غير ذلك من تعامل حسن لئِن مع غير المسلمين وغير الموحّدين، يجد العديد من القيم الإسلامية السمحاء، والتي ما إن رسخت في السلوك حتّى ترتقي به إلى أسمى المراتب، " ومن الآداب العالية ما أمر به النبي - صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - أمته من حقوق بعضهم على بعض، فقد أمرهم - صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - بسبع: بعبادة المريض، وأتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسم، يعني: أنّ من حلف عليك أن تفعل شيئاً؛ فمن حقّه أن تبرّ يمينه ولا تخنّه"^(٢)، ولقد كان الرسول - صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - أحسن الناس خلقاً، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً^(٣)، ولا سباباً ولا لعاناً، ولا خبير بين أمرين قطّ، إلّا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - لنفسه إلّا أن تُنتهك حرمة الله؛ فينتقم لله بها"^(٤)، وكان - عليه الصلوة والسلام - حليماً رقيقاً متسامحاً، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال: "كنت أمشي مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتّى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثمّ قال: يا محمّد، مرّ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - فما قال له أف، ولا قال لشيء بعطاء"^(٥)، وخدمه أنس بن مالك - رضي الله عنه - عشر سنين في الحضر والسفر، فما قال له أف، ولا قال لشيء صنعه: لم صنعت؟ ولا ألصنعت"^(٦)، فالله تعالى اصطفي نبيه محمداً - صَلَّى اللهُ عليه وسلّم - على جميع بني الإنسان، الإنسان، وأدبه فأحسن تأديبه، فكان خلقه القرآن، استقيناً منه مثلاً وقيماً، وكان وما زال - صلوات الله عليه وتسليماته - مؤدّبنا ومعلّمنا.

- (١) على خليل مصطفى أبو العينين، أهداف التربية الإسلامية مصادر اشتقاقها ومعايير صياغتها للمجتمع الإسلامي المعاصر، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حلي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص ٢٩.
- (٢) محمد بن صالح العثيمين، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ج ١، القاهرة، مكتبة الصفا، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٠٥.
- (٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الأدب، باب: لم يكن النبي فاحشاً ولا متفاحشاً، رقم الحديث: ٦٠٢٩، ص ٧٤٩.
- (٤) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الأدب، باب: قول النبي "يسروا ولا تعسروا"، رقم الحديث: ٦١٢٦، ص ٧٥٨. ؛ سنن أبي داود، كتاب: أول كتاب الأدب، باب: في التجاوز في الأمر، رقم الحديث: ٤٧٨٥، ص ٨٦٨.
- (٥) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي يعطي المؤلفلة قلوبهم وغيرهم من الخمس، رقم الحديث: ٣١٤٩، ص ٣٩٦.
- (٦) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الأدب، باب: لم يكن النبي فاحشاً ولا متفاحشاً، رقم الحديث: ٦٠٣٨، ص ٧٥٠.

"هذا وقد رسم الرسول - صلوات الله عليه وتسليماته - بسنته السلوك العلمي الذي ينبغي أن يسير عليه المسلم في حياته؛ فقد كان - صلى الله عليه وسلم - يلتزم التزاماً كاملاً بما يدعو إليه، فلا فرق بين الواقع الذي يحياه والمثال الذي يدعو إليه، وكان - عليه الصلاة والسلام - يستخدم في تبليغ دعوته وبيان منهجه جميع الوسائل التربوية المفيدة، فقد استخدم في تعليم الصحابة وسائل تعليمية عديدة؛ كالخط على الرمال، والإشارة بالأصابع، وضرب الأمثال، إلى غير ذلك من أساليب ووسائل تربوية فعّالة." (١)

لذا فإنّ أتباع السنّة النبويّة وتطبيقها كفيل بتكوين الشخصية المسلمة السوية، ومن ثمّ تكوين المجتمع السوي، لذلك أمرنا الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - التمسك بالسنّة، وما جاء فيها من قيم إسلامية . "حيث قال - صلى الله عليه وسلم - "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ" (٢).

ثالثاً: أقوال الصحابة وأفعالهم:-

لقد تقصّى الصحابة - رضوان الله عليهم - قصص وعبر المعلم الأول، وجاءت قصصهم محمّلةً بالكثير من القيم الإسلامية التي نهلوها من رسولهم الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، وتشبعت بها شخصياتهم، والتي تشبّها المسلمون، وكان سلوكهم على أساس منها، وهم- رضوان الله عليهم - خير مورد ومنهل بعد الرسول الكريم؛ لما لهم من فضلٍ وسبقٍ مكانٍ وقربٍ ومحبةٍ منه صلوات الله عليه، فعن عمران بن حصين:- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (خير أمتي القرن الذي بُعثت فيهم، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم) والله أعلم أذكر الثالث أم لا، فعن عمران بن حصين- رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (خير أمتي القرن الذي بُعثت فيهم، ثمّ الذين يلونهم - والله أعلم أذكر الثالث أم لا." (٣)

فالصحابة هم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهم الجيل المثالي، ربّاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وكانت توجيهات القرآن تلاحقهم، تعالج أمراض النفوس وتزكّي القلوب، وترقى بهم إلى القمم." (٤) والصحابة اصطلاحاً: "كلُّ من لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - مؤمناً به ولو ليوم واحد، ومات على الإسلام، ويقول على بن المديني شيخ الإمام البخاري-رحمه الله-: [من صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - أو رآه ولو ساعةً من نهار؛ فهو من

(١) زين محمد شحاته، المرشد في تعليم التربية الإسلامية، الرياض، مكتبة الشّباب للعلم والثقافة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص ١٤ - ١٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ١٣، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٦.

(٣) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب: أول كتاب السنّة، باب في فضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: ٤٦٥٧، ص ٨٤٢.

(٤) احمد العليان، تاريخ التشريع والفقّه الإسلامي، الرياض، دار أشبيليا، ١٤٢٢هـ، ص ١١٥.

أصحاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -".^(١)

يقول الحافظ بن حجر: "وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مؤمناً به، ومات على الإسلام، فیدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له، أو قصرت، ومن روى عنه ومن لم يرو، ومن غزاً عنه ومن لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالس، ومن لم يره لعارض كالأعمى".^(٢)

وهم نقلة السنّة النبويّة، والشهود على الرسالة السماوية، وهم حلقة الوصل بيننا وبين هدي نبينا محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهم الذين تعهدوا بنذر أنفسهم في سبيل نشر الدين، والرسالة التي لاقوا في نشرها على أحسن وجه ما لاقوا من التعب والمشقة، والتي امتزجت بها دماؤهم وأرواحهم في سبيل إكمال ما جاء به معلمهم الأول -صلي الله عليه وسلم - على أتم طريقة، وأكمل وجه، مما يوجب لهم فضلاً عظيماً على كل من جاء بعدهم، لأن الله - سبحانه وتعالى - جعلهم سبباً في هداية غيرهم مما يدخلهم، فأثنى عليهم - عز وجل - في كتابه الحكيم.

قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَررَجٍ أَخْرَجَ سَطْرَهُ فَفَازَهُ. فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْتَمَرُونَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ أُولَئِكَ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَررَجٍ أَخْرَجَ سَطْرَهُ فَفَازَهُ. فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْتَمَرُونَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ أُولَئِكَ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَررَجٍ أَخْرَجَ سَطْرَهُ فَفَازَهُ. فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً ﴾ [الفتح: ٢٩].

يذكر فضل الصحابة - رضوان الله عليهم - في القرآن الكريم إلا في هذه الآيات لكانت كافية لهم في الدنيا والآخرة، كافة لمن يأتي بعدهم في اتخاذ الموقف النبيل تجاه من أكرمه الله تعالى، إقراراً بأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء، ويمنعه عن من يشاء، وعن جابر - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة)^(٣)، وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بُعث قائداً ونوراً لهم يوم القيامة)^(٤)

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : [أولئك أصحاب محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كانوا خير هذه الأمة،

(١) الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ٧، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، ص ٦٩٥.

(٢) محمد إبراهيم الحمد، معالم في الصحابة والآل، الرياض، دار ابن خزيمة للنشر، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ص ٥.

(٣) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب: أول كتاب السنّة، باب في الخلفاء، رقم الحديث: ٤٦٥٢، ص ٨٤٠. سنن الترمذي، كتاب: المناقب عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، باب في فضل من بايع تحت الشجرة، رقم الحديث: ٣٨٦٠، ص ٨٦٩.

(٤) سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب المناقب عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، باب فيمن سب أصحاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، رقم الحديث: ٣٨٦٥، ص ٨٦٩.

أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كانوا على الهدى المستقيم^(١)]

وعن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولون فيكم من صاحب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم."^(٢)

دور أقوال الصحابة في تنمية القيم الإسلامية:

"لقد قام الصحابة - رضوان الله عليهم - على دين الله، فحفظوه من الضياع، وبلغوه للعالمين، وجاهدوا في الله حق جهاده، وقد تحققت الشورى في أسمى مراتبها في عهد الخلفاء الراشدين-رضي الله عنهم -، مما جعل الشريعة الإسلامية هي المهيمنة على الأمة الإسلامية، وهي المصروفة لأمرهم، والقائدة لشؤونهم."^(٣)

فالصحابة - رضي الله عنهم - وحدهم الذين كانت أعمالهم مقترنة بأعمال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، صلوات الله عليهم ورحمتهم، وسائر عباداتهم، وهذا ما جعل السنة النبوية راسخة في نفوسهم، وبعد وفاة الرسول - صلوات الله عليه وسلامه - كانوا بمثابة المنقح لمشكلات الحياة، وكان لزاماً عليهم أن يحكموها بالإسلام، وأن يقودوا الحياة بشرع الله، وهدى نبيه - صلوات الله عليه وسلامه -، وإحياء قيم الدين الإسلامي، وجعلها الموجه للسلوك الإنساني؛ خاصة مع توسع الحياة الاجتماعية، وانتشار الفتوحات الإسلامية، واختلاف الأمصار وتعددها، فكان من أبرز أدوارهم "حفظ دين الله من الضياع، وتبليغه للناس بعد وفاة الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والتزامهم بدين الله عملاً وسلوكاً، ورغبتهم في التفقه بأحكامه، لتطبيقه على حياتهم العامة والخاصة"^(٤) وفي هذا حفظ للقيم الإسلامية، وتخليد لها.

"فلقد كانت أقوال الصحابة وأفعالهم؛ وبخاصة الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - نموذجاً يُحتذى في التربية الإسلامية في حياتهم، ومعاملاتهم لمن حولهم."^(٥) وهم بمثابة المرجع للقيم الإسلامية، والمصدر لها بعد القرآن الكريم

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ج ٢ ص ٩٧؛ والترمذي في جامع الأصول: ج ١، ص ٢٩٢.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي - رضوان الله عليهم-، رقم الحديث: ٣٦٤٩، ص ٤٥٦.

(٣) أحمد العليان، تاريخ التشريع والفقهاء الإسلامي، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٢١.

(٥) أحمد الحمد، التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٥.

،والسنة النبوية المطهرة، وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يجعل أبا بكر - رضي الله عنه - نائباً له لثقتة بعلمه ودرايته فعن محمد بن جبير بن مطعم ، أن أباه جبير بن مطعم أخبره: أن امرأة أتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ، فكلّمته في شيء فأمرها بأمر فقالت: يا رسول الله: أرأيت إن جنّث فلم أجدك؟ قال: لم تجديني فأت أبا بكر^(١).

فالمستبَع لسيرة الصحابة - رضوان الله عليهم -، والمتأمل في المواقف والأحداث التي من خلالها وضّحوا لنا وبيّنوا العديد من الأحكام الدنيوية والأخروية، والتي تحمل في طياتها الكثير من القيم الإسلامية، لا بل لا يكاد يخلو موقفٌ ولا حادثةٌ إلّا وكانت توضيحاً وتبياناً لأمر من أمور الحياة، فالصحابه - رضوان الله عليهم - هم سور الدين الحصين، وهم المرجع المتين بعد كتاب الله تعالى، وسنة نبيه محمدٍ - صلى الله عليه وسلم -، ومن المواقف العديدة التي تعدُّ بمثابة الخزينة الثمينة، والتي احتوت على القيم الإسلامية السامية، والتي ما إنْ عُرِست في نفوس النشء كانت بمثابة المضادات الدائمة في وجه آلفتن والانحرافات التي تغزو مجتمعا المسلم في هذه الآونة، وسيتم ذكر بعضاً من تلك المواقف عن اجتهاد الصحابة - رضوان الله عليهم -، واستنباطهم للأحكام في المصدر الرابع من مصادر القيم الإسلامية، ألا وهو الاجتهاد.

رابعاً - الاجتهاد:

الاجتهاد كما يقول ابن القيم: "ما يراه القلب بعد فكرٍ وتأمل، وطلب لمعرفة وجه الصواب، ممّا تتعارض فيه الأمارات؛ فلا يقال لمن رأى بقلبه أمراً غائباً عنه ممّا يحسّ به أنه رأيته، ولا يقال أيضاً للأمر المعقول الذي لا تختلف فيه العقول، ولا تتعارض فيه الأمارات أنه رأيي، وإن احتاج إلى فكرٍ وتأمل كدقائق الحساب ونحوها."^(٢)، وقيل: إنه "من رأيي صائبٌ، وإجماعٌ من علماء المجال المطلوب فيه ذلك الرأي."^(٣)

والواقع أنّ الرأي لم يتحدد في هذا العصر بمعنى واحد لا يشركه فيه غيره، بل كان شاملاً لما سمي فيما بعد بالعديد من الأسماء، والتي تندرج جميعها تحت الاجتهاد والرأي بدون المساس أو الخروج عن قاعدة فقهية ورد حكمها في الكتاب والسنة، مثل: القياس، الإجماع، المصالح العامة، وسد الذرائع، "فالأحكام والمشكلات التي يجدون فيها نصاً من الكتاب أو السنة يقف فيها الصحابة-رضوان الله عليهم - عند حدود ذلك النص، ويقصرون جهودهم التشريعية على فهم المراد من النص؛ ليصلوا إلى تطبيقه الصحيح، وإذا لم يجدوا نصاً استخدموا الرأي، وكانوا في اجتهادهم معتمدين على ملكتهم التشريعية التي حصلت لهم من مصاحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، والوقوف على أسرار التشريع ومبادئه العامة،

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الأحكام التي تعرف بالدلائل وكيف معنى الدلالة وتفسيرها، رقم الحديث: ٧٣٦٠، ص ٨٩٧. سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عن كليهما، رقم الحديث: ٣٦٧٦، ص ٨٣٥.

(٢) ابن القيم الحوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ١، القاهرة، مكتب الكليات بالأزهر، ١٣٨٨هـ، ص ١٥٥.

(٣) أحمد كامل الرشدي، فاطمة محمد الرديني، التربية الإسلامية من المفهوم إلى التطبيق، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ، ص ٢٠٠٥، ص ١٦٨.

فتارةً يقيسون ، وأخرى يقضون بما تقتضيه المصلحة العامة.^(١)، غير أنهم في الاجتهاد يكثر من الشورى لاستنباط الحكم الشرعي، لما للمشورة من آثارٍ عظيمة في استنباط الأحكام وفهمها، وفي تنمية الاجتهاد وتقوية جذوره، والتثبت عند الحكم، فعن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- إذا ورد عليه حكمٌ نظر في كتاب الله تعالى، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فإن وجد فيها ما يقضي به قضى به، فإن أعياه ذلك خرج فسأل الناس، أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قضى في ذلك بقضاء؟ فربما قام إليه القوم فيقولون: قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سننها النبي- صلى الله عليه وسلم- جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به، وكان عمر- رضي الله عنه- يفعل ذلك، فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة سأل: هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟ فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به، وإلا جمع علماء الناس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به.^(٢)، وقد روي عن الحارث بن عمرو عن رجال من أصحاب معاذ- رضي الله عنهم- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعث معاذاً إلى اليمن فقال: كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فسنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-؟ قال: أجتهد رأيي لا آلو، قال: فضرب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- صدري، ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لما يرضي رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.^(٣)

هذا وإن تشريع الاجتهاد في الإسلام هو دلالة واضحة على احترام الفكر الإنساني، فقد فتح القرآن الكريم والسنة النبوية المجال واسعاً أمام العقل؛ حتى يتزود بالعلوم والمعارف النافعة لتعم الفائدة على الفرد والمجتمع، فالقرآن الكريم يحث على استنباط المعرفة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهِ وَكَوَرُدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَالْإِلَى الْأُمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

"ومن الواضح أن منهج القرآن الكريم يؤدي إلى الاجتهاد بالرأي، فالقرآن جاء بالقواعد الأساسية والمبادئ العامة والأصول الكلية، وترك التطبيق للمجتمع دون أن يحدد أشكالاً، أو يخوض في تفصيلات، فالإمام أو الخليفة - رئيس الدولة - مثلاً، وهو ألزم ما تحتاجه الأمة لم ينص القرآن الكريم ولم يحدد النبي - صلى الله عليه وسلم - طريقة اختياره، وترك طريقة الاختيار للأمة بوحى اجتهادها، ومن ثم كانت طريقة اختيار الخلفاء الراشدين الأربعة تختلف في كل حالة منها عن الأخرى، وأيضاً الشورى أمر القرآن الكريم أن تقوم الأمة، ويقوم نظام الحكم على أساسها، ولم ينص على شكل معين

(١) احمد العليان، تاريخ التشريع والفقهاء الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي، ج ١٠، ص ١١٤.

(٣) سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب الأحكام عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، رقم الحديث: ١٣٢٧، ص ٣١٣.

ولا طريقة خاصة، ولم يفرض قوالب جامدة للتطبيق، ولكنه ترك ذلك التّمو الدائم الذي يلائم التطور الحضاري للمجتمع." (١)

دور الاجتهاد في تنمية القيم الإسلامية:

من المعلوم أنّ التراث الإسلامي فيه الغثّ والسمين، وفيه النافع والضار، ولكنّ الله - سبحانه وتعالى- أمرنا بإعمال العقل، واستخدام جميع الأدوات والطرق المتاحة لانتقاء هذا التراث والثقافة الضخمة، ومن ذلك الاجتهاد الذي هو ضرورة لمواجهة التبدل والتغيير بتبديل الظروف والأزمان في حياة المجتمع المسلم، فقد أتت الشريعة بالقواعد العامة والمبادئ الأساسية، وتركت للمجتهدين من علماء الدّين مهمّة الاستنباط من تلك القواعد لما يجد من تلك الوقائع." (٢)

وقد اقترنت حركة الاجتهاد في مجال التّربية الإسلامية بحاجات ومطالب الأمتة فيما يتعلق بتربية الإنسان المسلم، واستندت بذلك إلى الأعمال الفكرية المتضمنة في كتابات المجتهدين في علوم القرآن وكتب السنّة، وكتب الفقه وأصوله، والكتابات الأدبية والتاريخية، وكتب الطبقات والتراجم وغير ذلك من مصادر فكرية متعددة أبدعتها العقلية المسلمة على مدى تاريخ الإسلام، وكانت معيناً للمربين في استنباط الآراء والقواعد والنظريات التربوية" (٣)، والقيم الإسلامية.

ويؤكد أحمد الأهواني "أنّ حركة الاجتهاد في التّربية الإسلامية كان لها الدور الكبير في تلبية المطالب التربوية للمجتمع الإسلامي." (٤)

وهناك العديد من القضايا التي كانت مجالاً للاجتهاد، وفتحت الباب واسعاً لإثراء التّربية الإسلامية بشكل عام. والقيم الإسلامية بشكلٍ خاص، ومن أمثلة مجالات الاجتهاد ما يلي:

- ١ - وجوب تعليم الآباء أبنائهم.
- ٢ - البدء بتعليم القرآن الكريم.
- ٣ - آداب المعلمين والمتعلمين.
- ٤ - العقاب والثواب.
- ٥ - مدى جواز أن يأخذ أو يتقاضى المعلم الأجر على التعليم.
- ٦ - تعليم المرأة.

إلى غير ذلك من المجالات التي تخدم القيم الإسلامية، وتؤدي دوراً مهماً في تنميتها للأفئدة. إذن فالاجتهاد يعدّ مصدرراً من مصادر القيم الإسلامية.

(١) محمد شديد، قيم الحياة في القرآن الكريم، القاهرة، دار الشعب، (د.ت)، ص ١٧٦-١٧٧.

(٢) نادية شريف العمري، اجتهاد الرسول - صلى الله عليه وسلم-، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ، ص ٢٦.

(٣) علي خليل مصطفى أبو العينين، البحث التاريخي في التّربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٠هـ، ص ٥٥-٥٧.

(٤) احمد فؤاد الأهواني، التّربية في الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠ م، ص ٨.

خامساً - الإجماع:

وهو في اصطلاح الأصوليين " اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصرٍ من العصور بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - على حكمٍ شرعي في واقعة."^(١)

فإذا اتفق جميع المجتهدين على حكمٍ واحد في واقعة فيجب اتباعه، ولا تجوز مخالفته؛ لأنه دليلٌ على الحق والصواب في الحكم الذي توصلوا إليه، وقد وردت بعض الأحاديث عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تدل على عصمة أئمة من الخطأ منه قوله - صلى الله عليه وسلم -: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم."^(٢)

"وإذا توافر الاتفاق وتثبت الإجماع حول حادثة بذاتها، فإنها تندرج ضمن السُّلم القيمي الحاكم للجماعة المسلمة ولأفرادها؛ إلا أنها قيمة ملزمة من هذا الوجه؛ لأنها تمثل إجماع آراء المجتهدين العلماء والعارفين بأصول التشريع من ناحية، وبمقاصده من ناحية أخرى، لذا فهم لا يجتمعون إلا على الصالح، وما يحقق المصلحة الشرعية."^(٣)

أي: إن الإجماع لا بد فيه من الاتفاق على أمرٍ من الأمور، لا بد من أن يكون له مستندٌ شرعي، وأن يكون صادراً من المجتهدين الذين تتوافر لديهم أهلية الاجتهاد، فلا عبرة بقول العوام، ومن ليس أهلاً للنظر في استنباط الأحكام الشرعية.

دور الإجماع في تنمية القيم الإسلامية:

يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ۝﴾ [النساء: ١١٥]، وبهذا يستدل على حجية الإجماع، ولقد اتفق جمهور الفقهاء وعلماء أصول الفقه على حجية الإجماع كمصدر للأحكام الإسلامية، وإن ما بينى عليه من حكم يجب اتباعه، ولا تجوز مخالفته، ويأتي الإجماع في المرتبة الثالثة بعد القرآن والسنة.^(٤) وهو أصل من أصول التربية الإسلامية.

"وبعد الإجماع كذلك أحد المصادر التي تخدم التربية الإسلامية، لأنه يحمل قوة الفكر الاجتماعي على قواعد ومبادئ تهم الإنسان المسلم، كونه نتيجة للبحث والدراسة في التراث الفكري الإسلامي على ضوء فكر القرآن والسنة."^(٥)

(١) عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، القاهرة، مكتبة الدعوة الإسلامية، ردت، ص ٤٥.

(٢) محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وآخرين، ط ٢، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، كتاب: الفتن، باب: السواد الأعظم، ص ٦٥١.

(٣) على خليل أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٤) أحمد العليان، تاريخ التشريع والفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٥) عماد محمد عطية، التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص ٣٧.

سادساً- القياس:

القياس في اصطلاح علماء الأصول هو: "إلحاق واقعة لا نصَّ على حكمها بواقعة ورد نصَّ بحكمها، في الحكم الذي ورد به النص، لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم."^(١)، فالقياس يفترض وجود حالة نقيس عليها، تمثل الحالة الجديدة، ولذا فهو إثبات حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت^(٢)، وهو إذا توافرت أركانه أصبح حجة شرعية يجب العمل بها، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَردُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

"فإذا دلَّ نصُّ على حكمٍ في واقعة، وعرفت علة هذا الحكم بطريقة من الطرق التي تعرف بها علل الأحكام، ثم وجدت واقعة أخرى تساوي واقعة النص في علة تحقق علة الحكم فيها، فإنها تسوى بواقعة النص في حكمها بناء على تساويهما في علتها، لأنَّ الحكم يوجد حيث توجد علتها. مثال على ذلك: شرب الخمر واقعة ثبت بالنص حكمها، وهو التحريم الذي دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٥٤] لعلَّه هي الإسكار، فكلُّ نبيذ توجد فيه هذه العلة يسوى بالخمر في حكمه، ويجرم شربه"^(٣).

ولا خلاف بين جمهور الفقهاء أنَّ القياس أصل من أصول التشريع، ودليل من الأدلة الشرعية التي يرجع إليها في معرفة الأحكام الشرعية العملية، وللقياس أربعة أركان هي"^(٤):

- ١ - الأصل: الذي ثبت الحكم فيه بالنص أو بالإجماع، ويسمى المقيس عليه.
- ٢ - حكم الأصل: وهو الحكم الشرعي الذي ثبت في الأصل نصاً أو إجماعاً، ويراد تعديته إلى مكان آخر.
- ٣ - الفرع: وهو المحل الذي لم ينص على حكمه، ويراد تعديته حكم من في الأصل إليه.
- ٤ - العلة: وهي الوصف الجامع الذي من أجله شرع الحكم في الأصل، أما حكم الفرع فليس ركناً في القياس؛ لأنه نتيجة وثمره له؛ ونتيجة الشيء وثمرته لا تكون جزءاً منه.

"لذا كان لابد من ملاحظة العلل والمعاني التي تتضمنها النصوص، وإعطاء كلِّ حكم منصوص عليه علة للحكم، وبهذا النهج لا تضيق الشريعة لأيِّ واقعة جديدة أو نازلة لم تقع من قبل، ولم يرد بحكمها نص، فالقياس الصحيح دليل على أدلة الأحكام، وهو حجة شرعية يعمل بها بعد الكتاب والسنة والإجماع."^(٥)

ويستدلُّ على حجّية القياس بقوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، أي: فقيسوا أنفسكم بما

(١) عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، مرجع سابق، ص ٥٢.

(٢) نادية محمد شريف العمري، القياس في التشريع الإسلامي، القاهرة، دار هجر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٥٣.

(٣) أحمد العليان، تاريخ التشريع والفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٤٨.

(٤) عبد الجليل القرنشاي وآخرون، الموجز في أصول الفقه، القاهرة، جامعة الأزهر، كلية الشريعة، ١٩٦٣م، ص ١٩٩ - ٢١٢.

(٥) رهام محمد بادويلان، القيم التربوية في قصص الصحابة من كتاب البداية والنهاية (دراسة تحليلية)، مرجع سابق، ص ٨٢.

حل باليهود، فإنّ فعلتم مثلهم حلّ بكم عقاب مثل عقابهم. فالقياس حجة شرعية على الأحكام العملية، وأصل من أصول الشريعة يأتي في المرتبة الرابعة بعد القرآن والسنة والإجماع، وهؤلاء هم مثبتو القياس.^(١)

دور القياس في تنمية القيم الإسلامية:

"للقياس علاقة متينة بالقرآن الكريم والسنة والإجماع، وذلك لاشتمال هذه الأدلة الإجمالية الثلاثة على نصوص فيها عللٌ شرعية، تحتاج للقياس من أجل استنباط أحكام شرعية، إلى جانب أنّ وقائع الحياة تتجدد وتتنوع، والمسلم مطلوب أن يسير أعماله وفق أحكام الشرع، فلا بدّ للوقائع الجديدة من أحكام شرعية تبين موقف الإسلام من هذه الوقائع، وقد زود القياس وأثرى الفقه بأحكام شرعية عملية كثيرة منذ عصر الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى يومنا هذا"^(٢).

سابعاً: " ما ورد إلينا من مأثورات وخطب وأشعار وقصص، فهذه تعرض على المصادر الثلاثة فإن وافقتها قبلناها، وإن وجد التعارض فلا نقبلها في سلسلة القيم التربوية."^(٣)، وهذا المصدر هو محور الدراسة، والتي تختص بدراسة شعر كعب بن زهير، ومعرفة ما تضمنه هذا الشعر من قيم إسلامية.

أي أنّ قبول القيم وخاصة ما أثار من الشعر العربي يشترط فيه موافقة الكتاب والسنة والإجماع على محتوى القيم، وهذا شرط قبولها كقيمة إسلامية وتربوية.

هذه أبرز المصادر التي تستمد القيم الإسلامية منها أهدافها متمثلة في ثوابت المجتمع الرئيسة من دين، وتراث وثقافة والفكر الاجتماعي والعلمي السائد تعد المنهل الأوّل الذي تستنبط منه القيم الإسلامية، فجميع المصادر السابقة تخدم القيم الإسلامية، وتحدد مفهومها وطرائقها وطبيعتها، إلى غير ذلك من خدمه الإنسان المسلم بتقديم إطار تربوي يعمل على رقيه، ورفي المجتمع الإسلامي كاملاً، وبعد العرض لأهم المصادر التي تستمد القيم الإسلامية منها تصوراتها، والتي تسعى بالإنسان المسلم إلى الكمال من خلال خصائصها التي تفردت بها عن غيرها من القيم، تلك التي تؤهلها وتحوّلها لتحقيق ذلك التميز.

المبحث الرابع- خصائص القيم الإسلامية:

لمّا كانت القيم الإسلامية تستمد قوامها من التربية الإسلامية الأم، وتنهج من نهجها، كان لا بدّ من أن تكون ملامح خصائصها شبيهة لخصائص ما استمدت منه كيانها. " فهي تربية تعتمد في الأساس على العقيدة والعبادة والشريعة الإسلامية، وعلى منهج الإسلام الذي يربط العبد بخالقه - سبحانه وتعالى - ؛ ليعبده حق العبادة بالمعنى الشامل، فالقيم الإسلامية ناشئة عن تربية تتعلق قبل كلّ شيء بتهيئة الإنسان وفكره وتصوراته عن الكون والحياة، وعن دوره وعلاقاته بهذه

(١) أحمد العليان، تاريخ التشريع والفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٣) حسن عبدالله الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشرعية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص

الدنيا." (١)

لذلك اختصت القيم الإسلامية؛ وتفردت عن غيرها من القيم في الفلسفات والنظريات التربوية قديمها وحديثها بخصائص وسماتٍ عديدة، لعل من أهمها ربانية المصدر، والغاية والوجهة، والوسطية والتوازن والاعتدال، والشمولية مع العمومية والتكامل، والواقعية والإيجابية التي يسرت للقيم الإسلامية الاستدامة والخلود، لما اختصت به هذه القيم من محافظة وثبات مع مواكبة التجدد؛ جعل منها خصائص واضحة بعيدة كل البعد عن التناقض، وفيما يلي نناقش تلك الخصائص كلاً على حده.

١ - ربانية المصدر والغاية والوجهة:

ويقصد بذلك أنّ المنهج الذي خطه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه منهجٌ ربانيٌ خالص؛ لأنّ مصدره وحيّ الله تعالى إلى نبينا محمدٍ - صلى الله عليه وسلم -، ولم يأت هذا المنهج نتيجة لرغبة فرد أو جماعة، وإنما جاء نتيجة لإرادة المولى - سبحانه وتعالى -، الذي أراد به الهداية والنور والبيان والبشرى والشفاء والرحمة لعباده " (٢)، فصدور هذه القيم من مصادر الإسلام ذاته جعل منها قيماً ربانية الأساس والمنطلق، فهي تنزّل من الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وهي أيضاً وحي من الله تعالى إلى رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم -، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ رِذْوَانُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النجم: ١-٤]، ولهذا جاءت التربية الإسلامية مبرأة من كلّ نقص، منزّهة عن كلّ قصور، غايتها وصل الإنسان بخالقه، وإخلاص العبودية لله - سبحانه وتعالى -، فطمئن نفسه، وتنتهي حيرته، ويتبدد خوفه، فيعيش هانئ النفس، مطمئن الفؤاد. " (٣)

"فهي تستمد فلسفتها وأهدافها وقيمها وأساليبها التربوية من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتربط سلوك الإنسان، وتصرفاته المختلفة بأسس العقيدة الإسلامية، ومضامين التشريع الإسلامي. " (٤)، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كِتَابٌ مِّن قَبْلِهِ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [النساء: ٨٢]

ومن أهم ما يميّز ربانية القيم الإسلامية في الإسلام كونها تراعي الفطرة التي خلق الله عليها الخلق كافة، وأنّ هذا المنهج الذي رسمه الله تعالى للإنسان على وجه الخصوص هو المنهج الذي لن يصلح الوجود كلّه إلّا باتباعه، لأنّه لا يوجد أعلم من الله تعالى بطبيعة من خلق، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، فباتت قيم مراعية لما

(١) سعيد إسماعيل علي، محمد معجب الحامد، وآخرون، التربية الإسلامية (المفهومات والتطبيقات)، ط ٢، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ٢٤.

(٢) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨١هـ، ص ٣٢.

(٣) عبد الله بن عقيل العقيل، التربية الإسلامية مفهومها، خصائصها، مصادرها، أصولها، تطبيقاتها، مبروها، مرجع سابق، ص ١٧.

(٤) محمد عبدالله آل عمرو، محمود يوسف الشيخ، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٤.

جبل عليه الإنسان من نزعاتٍ وميولٍ روحيةٍ وماديةٍ، معززة لما فيه صلاح النفس البشرية، لأنها قيّمٌ صيغت صياغةً إلهيةً، كتبها الله تعالى للإنسان قبل خلقه ورعاها منذ مرحلة العلق الرحمي حتى نضجه الإنساني، هذا ما جعل القيم الإسلامية أكثر قوةً وبقاءً " فربانية المنبع القيمي تربط القيمة الإنسانية العلمية الحركية بالمنبع العلوي، وهو الله - سبحانه وتعالى - ، ولهذا ما أكسب القيمة سمواً من ناحيةٍ، وقوةً ورسوخاً من ناحيةٍ أخرى." (١)

ولما كانت غاية الله تعالى في خلق الخلق، واستعمار الأرض هي العبادة لله تعالى وحده، والإخلاص له ، وتقرب العبد إلى ربه وحسن الصلة به، مما يسمو بعزة الإنسان وكرامته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقد تجلّت سمة الربانية في غايات القيم الإسلامية في كونها وازنت بين السعادتَيْن في الدارين الدنيوية والدار الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧]، فباتت قيماً لا تختلف عن منهجها الإسلامي، ولا تخالف موردها الرئيس، "قيماً ربانية المنهج والهدف والغاية." (٢)؛ فالقيم الإسلامية قيم مطلقة معصومة من الخطأ والتعديل، والانحراف والزيغ.

ولهذه الخاصية في القيم الإسلامية الفضل في عصمة النفس البشرية من اتباع الهوى، وسلامة النفس والعقل، وتحريرها من العبودية لغير الله تعالى، وتكريمها وصلاحتها في الدنيا والآخرة. وتبعاً لهذه الخاصية والمزية الربانية تأتي بقية الخصائص والمزايا فيما يلي:

٢ - الوسطية والتوازن والاعتدال:

"يتميز الإسلام بالوسطية، فهو دين يراعي طبيعة الإنسان، وطبيعة الأشياء ويعمل على ربط التربية بهذه المفاهيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ولما كانت القيم الإسلامية هي وليدة هذا المنهج الإسلامي؛ كان من الطبيعي أن ترث هذه القيم ملامح منبعها، فاتصفت القيم الإسلامية بالاعتدال والتوازن، حيث حققت التوازن بين الحياة المادية والحياة الوجدانية، والجمع بين الدنيا والآخرة، لأن مرجعها الإسلام الذي أقام الحياة كلها على التوازن، والذي تعمل من أجله التربية الإسلامية على تحقيق متطلبات هذا التوازن من خلال الاهتمام بجميع النواحي الإنسانية الروحية والجسدية، إلى جانب تلبية اهتمامات الفرد واحتياجات المجتمع، والربط بين الإيمان والعمل، والجمع بين العاطفة والعقل." (٣)

(١) جابر قميحه، المدخل إلى القيم، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٤٠٤ هـ، ص ١٣.

(٢) محمد جميل خياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٣) عبد الله بن عقيل العقيل، التربية الإسلامية مفهومها، خصائصها، مصادرها، أصولها، تطبيقاتها، مبروها، مرجع سابق، ص ١٨.

فالقيم الإسلامية تنظر إلى الإنسان على أنه مركب من جسدٍ وروح، ولكل منهما متطلباته، فأخلاق قيم الإسلام لا تجعل الجسد يطغى على الروح، ولا الروح تطغى على الجسد، " ليس ذلك فقط، بل وتوازن بينهما لا العبادة تطغى على سعيه إلى الرزق، ولا السعي إلى الرزق يطغى على واجب التعلم، ولا هذا وذاك يطغيان على واجب عمارة الأرض، ولا هؤلاء جميعا يشغلون عن إقامة شريعة الله في الأرض."^(١)

والقيم الإسلامية تعمل على تحقيق التوازن النفسي لدى الأفراد، كونها "تعتمد على الضبط وليس الكبت، وهي بذلك تراعي في الإنسان كل حاجاته، وتدرجه على إشباعها وفقاً لما جاء في كتاب الله وصحيح سنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - ؛ ليشب إنساناً سوياً بلا إفراط ولا تفريط، ولا تغل ولا غلو."^(٢)، إنما على الطريقة الوسطية المعتدلة، ومن ذلك التوازن بين العبادة والعمل، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. والتوازن في تلبية مطالب الجسد والروح، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ يَلْتَهُ الصَّيَامُ أَرْفَتْ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاتَّقِنَ بُشْرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْإِيلِ وَلَا تَبْشُرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم-: "يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً."^(٣)

والوسطية والاعتدال في الإنفاق، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وكذلك التوسط في الطعام والشراب، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِي عَادَمٌ حُدُودَ زَيْنَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]

لهذا كانت القيم الإسلامية معبرة عن الفطرة البشرية والطبيعة الإنسانية في واقعية كاملة.

٣- الشمولية والعمومية والتكامل:

"إنَّ القيم في الإسلام لم تدع جانباً من جوانب الحياة - بجميع مجالاتها - روحية، جسدية، دينية ودينيوية، عقليه

(١) محمد قطب، الإسلام كبديل عن الأفكار والعقائد المستوردة، القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص ٥١.

(٢) سعيد إسماعيل علي، محمد معجب الحامد، وآخرون، التربية الإسلامية (المفاهيم والتطبيقات)، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق، رقم الحديث: ٥١٩٩، ص ٦٦٣.

أو عاطفية، فردية أو جماعية، إلا رسمت له الطريق الأمثل للسلوك الرفيع. " تشمل كل الصفات الحميدة." (١)
 كما أنّها متكاملة " بشكل يجعل من بعضها أساساً وقوة تساعد على تطبيق البعض الآخر بنجاح، ودون أدنى
 تعارض أو تناقض، فالإيمان بالله والالتزام بقيم الشريعة يساعد على تطبيق قوانين السياسة والاقتصاد والاجتماع، وهكذا
 تتساند كل المفاهيم والقيم داخل إطار العقيدة؛ لتشكل وحدة تشريعية يساعد بعضها البعض الآخر، ويهيئ كل جزء منها
 لإنجاز مهمة الجزء الآخر" (٢).

بمعنى أنّ القيم في الإسلام لا تحصر حتى تضيق في عمل معين من أعمال الإنسان دون الآخر، ولكنها تشمل
 نشاط الإنسان كله، فالسياسة مثلاً لها شروطها والتي تنبثق من القيم في الإسلام، والاقتصاد له ظروفه والمنبثقة أيضاً من
 قاعدة القيم في الإسلام، والنشاط الفكري والنشاط الجنسي والنشاط الفني والنشاط العلمي، فهي عبارة عن نسيج
 متكامل وعام، كونها قيماً لدين كامل يفضي إلى توازن المسلم في جميع شؤون حياته، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي
 وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

إلى جانب شمول القيم الإسلامية لجميع العلاقات وروابط الصلات، فقد شملت علاقة الإنسان
 بخالقه- عز وجل -، وعلاقته بنفسه وببني جنسه، بل ويمتد ليشمل علاقة الإنسان بكل عناصر الكون " فلا
 يجوز لمسلم الإفساد في الأرض أو إيذاء الحيوانات، ولا يجوز له أن يتلف حتى النباتات، أو أن يخرب الجماد؛
 لأن ذلك من الفساد" (٣)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ
 وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

والمقصود بتكامل القيم الإسلامية هنا أي تناغمها فيما بينها، فلا تدحض قيمةً قيمةً أخرى، ولا تطغى عليها، بل
 إنّها تتكامل مع بعضها البعض، فمثلاً قيمة الأمانة تتكامل مع قيمة حفظ الجوارح، فلا يتجرأ صاحبها على الحرام،
 فيحصر جوارحه عن الحرام، ممّا يؤدي الأمانة التي بها لا يرتكب الآثام فيما لا يحل له؛ فكل قيمة تكمل الأخرى، ولا
 تعارضها، كذلك القيم الجسدية والعقلية والروحية والنفسية جميعها تكمل بعضها البعض.

٤ - الواقعية والإيجابية

أي أنّ القيم الإسلامية ليست قيماً نظرياً مثاليةً موضوعة، تتناسب مع فئة معينة من البشر دون الأخرى؛ إنّما
 هي خلاصة شريعة نزلت وفق وقائع وأحداث، واستجابت لمشكلات الناس وقضاياهم، ومن ثمّ فهي واقعية في أهدافها
 ومقاصدها ومراميتها، في استطاعة الإنسان أدائها، لأنّها توافق طبيعته وقدراته، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْقُضُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ

(١) مانع محمد المانع، القيم بين الإسلام والغرب "دراسة تأصيلية مقارنة، الرياض، دار الفيصلية، ١٤٢٦هـ، ص ١٥٦.

(٢) حسن عبد الله الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشرعية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص
 ١٧٨.

(٣) محمد ربيع جوهري، أخلاقنا، ط ٨، المدينة المنورة، دار الفجر الإسلامية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ص ٣٠.

وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ [التغابن: ١٦] إلى جانب أنّها " قيمٌ محفزةٌ للسلوك الإنساني الذي يطمح إليه، ويرغبه الإنسان بفطرته السليمة، فالإنسان في واقعه يجب العدل والأمانة، والإسلام يأمر بذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

فالعبادات واقعية، والأخلاق واقعية، وكذلك جميع القيم الإسلامية "راعت الطاقة المحدودة لجماهير الناس، فاعترفت بالضعف البشري، وبالمدافع البشري، وبالاحتياجات المادية، وبالاحتياجات النفسية، كما راعت واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة، ووجود شواهد، ودلائل تدلّ على حقيقة أكبر منه، ووجود أسبق منه، وأبقى من وجوده، ذلك هو وجود الله تعالى الذي خلق كلَّ شيء، و قدره تقديراً." (١)

كما أنّ نظرة القيم الإسلامية للكون والحياة والإنسان تنطلق من تصورٍ واقعيٍّ، " أي التحقق في عالم الواقع، فالمنهج الإسلامي هنا يتعامل مع الحقائق الموضوعية، ذات الوجود الحقيقي المؤكد، والأثر الواقعي الإيجابي، لا مع تصوراتٍ عقليةٍ مجردة، ولا مع مثاليات لا مقابل لها في عالم الواقع، أو لا وجود لها في عالم الواقع، ولا مع خيالات وأوهام." (٢)

والإنسان في واقعه يجب من يحسن إليه، والإسلام يأمر بذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

والإنسان في واقعه لا يجب الغرور والكبرياء، والإسلام يأمر بذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ [لقمان: ١٨]" (٣)

والإنسان في واقعة يجب التعامل باللين والمعروف والكلمة الطيبة، والإسلام يأمر بذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].

والقيم الإسلامية قيمٌ موجهة إلى الإيجابية السوية، وناذرة للسلبية، فكلُّ إنسان لديه استعدادات مختلفة ومتباينة، فيها الخير وفيها الشر، والسالب والموجب، في جميع اتجاهات حياته، والله - سبحانه وتعالى - يريد قوةً إيجابية، قوةً فاعلة وعاملة وموجبة، ويظهر ذلك جلياً في آيات الله تعالى ترغيباً وترهيباً، جزاءً وعقاباً، قال تعالى في جزاء المؤمنين: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ [البقرة: ٧١]، ويقول تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ [التوبة: ٢١].

أمّا في العقاب والترهيب يقول عزّ وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ [البقرة: ٨٦]، ويقول عزّ وجل: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ [البقرة: ١٦٢].

(١) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق، ص ١٥٠.

(٢) أحمد الحمد، التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٣) فاتن محمد عزازي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٧-٣٨.

فالقِيم الإسلاميَّة تنشر أجنحتها على سلوك الإنسان في جوانبه الدقيقة؛ لتضمن لها الارتقاء والتدرج في مستويات الكمال والذوق الرفيع، وهي تحت كلِّ واحد من أفراد المسلمين في المسابقة، والمسارة إلى الخيرات التي يسعى المسلم أن يصل من خلالها إلى الله تعالى، فيقف بين يديه وهو على قدر كبير من الصفاء والارتقاء. قال تعالى: ﴿خَتَمُهُ مِسْكًا وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

٥ - الاستدامة والخلود:

لقد اكتسبت القِيم الإسلاميَّة خلودها من خلود مصدرها، واستمدت قوامها من تربية " ليست محكومةً بزمان معين ولا بمكان معين، فهي لا تتوقف عند مرحلة عمرية معينة، وإنما تستمر مع الفرد المسلم طوال حياته، كما أنّها لا تكتفي بقدر معين من العلم والمعرفة، وقد نادي الإسلام بتربية مستدامة تمتد من المهد إلى اللحد." (١) قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]

"فالمبادئ والقِيم الإسلاميَّة خالدةٌ حية متجددة، خلافاً لمبادئ النظريات التربويَّة الوضعية التي تتحكم بزمن معين ومكان محدد، فهي مستمدةٌ من الوحي الخالد الذي لم يأتْ لأمةٍ معينة، أو فترةٍ محدودة، أو مكانٍ مخصص، والاستمرارية والتجديد في التربية الإسلاميَّة ترجع إلى سعة الشريعة الإسلاميَّة، حيث المبادئ والقواعد الرئيسيَّة، وهناك باب الاجتهاد في الأمور الفرعية." (٢)

كما أنّ هذه الاستمرارية لا تتحقق إلا إذا كانت هذه القِيم ربانية؛ أي: من عند الله تعالى، فالإنسان لا يمكنه من تلقاء نفسه أن ينشئ نظاماً حياتياً صالحاً له، ولا يمكنه أن يقيم منظومة قيمية تساعده على أداء دوره في الأرض؛ بسبب ما يطرأ عليه من ميلٍ للهوى، وما جبل عليه من ضعفٍ، ولذا فإنَّ الوحي هو الذي يستطيع ذلك، فقد جاء الوحي بقيم خالدة تحفظ على الإنسان جهده وحياته، ولترتفع به إلى المستوى اللائق به كخليفةٍ لله تعالى في الأرض. (٣)؛ فالإنسان مهماً علا شأنه، وبلغ من العلم والفهم ما بلغ؛ يبقى إنساناً جليلٍ على التقصير والضعف، تحكمه أهواؤه وعواطفه في أغلب الأحيان، ويفتقد إلى الموضوعية في أكثر الأحكام التي يصدرها، فنحن لم نبلغ الكمال ولن نبلغه، والله - سبحانه وتعالى - هو الأعلَم بفضرة ما خلق، وهو الأعلَم بما يصلح ويتمشى مع طبيعة النَّفس البشرية، وهو في وضعه لنظام الحياة أتم وأكمل للبشرية دينها، وأحكم قواعدها وأسسها وما يكفل لها الاستمرارية والخلود بأحسن الطرق وأتمها، قال تعالى: ﴿صَبَّعَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صَبَّعَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَكِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، وبهذا النظام الذي تفردت به

(١) عبد الله بن عقيل العقيل، التربية الإسلاميَّة مفهومها، خصائصها، مصادرها، أصولها، تطبيقاتها، مربوها، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) محمد جميل خياط، المبادئ والقِيم في التربية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ص ٨٢-٨٣.

(٣) صالح بن عبد الله بن حميد وآخرون، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -، ط ٣، ج ١، جدة، دار الوسيلة، ١٤٢٥هـ، ص ٨١.

القيم الإسلامية عن غيرها، جعل منها قيماً مكفولة البقاء والحفظ منذ بعثة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إلى يومنا هذا، قيماً لم تعارض يوماً أسس الحياة الإنسانية، فقد كانت رسالة الإسلام منذ ظهورها رسالة قائمة على مبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، إذ شعار الإسلام (لا إكراه في الدين)، إلى جانب (ادفع بالتي هي أحسن)، و(وجادلهم بالتي هي أحسن)، نتج عن ذلك إنساناً مسلماً متمسكاً بقيمه وعقيدته التي لم ولن يجد أنسب منها لنمط حياته، فخلدها منذ بعثة النبي -صلي الله عليه وسلم -، وإلى يوم يبعثون، مما جعلها باقيةً مستمرةً في النفس المسلمة، يطمئن بها مستأنساً لها، لما وجد فيها من صلاح تام لنفسه، ولتكوينه البشري، ولبقائه وحفظ نسله، ودوام أمنه وأمانه، وهذا ما كفّل للقيم الدوام، والاستمرارية، والخلود بدوام واستمرار حياة الإنسان الدنيا.

٦- المحافظة والتجدد:

لم يضع الإسلام لقيمه قوالباً منظمّة، ولم يحدّها في إطارٍ معين، وإنما أمر بتحقيق الجوهر بأشكالٍ متعددة، وهذه الأشكال تستجيب لحاجات الزمان والمكان وجميع الأحوال على اختلافها، فأمرت - على سبيل المثال - بتحقيق التكافل الاجتماعي، وتركت طرق تحقيقه مفتوحة على اجتهادات المقدمين عليه، وأمرت بالإنفاق في سبيل الله - مطلق سبيل الله - ليعم الخير كلّ مناحي الحياة، وعلى اختلاف طرق الإنفاق، فيغطي حاجات النفس الإنسانية.

وذلك لانسجام القيم الإسلامية بالمحافظة والثبات، وبالمرونة والتجدد في آنٍ واحد، فهي تحافظ على الأصول الراسخة، وتجدد في الفروع المتغيرة، وفقاً لمتطلبات العصر وتطوره، دون المساس أو الإخلال والتعارض مع الأصول التشريعية المستمدة من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه المصطفى - صلوات الله عليه وتسليماته -، وما ورد فيها من مبادئ سماوية خالدة كالعبادات، والحلال والحرام، والحدود والفرائض، فهي أحكام وأسس يجب المحافظة عليها، والعمل بها وهي باقية على صفاتها لا تتغير، أما المرونة والتجديد فهي تشمل جوانب الحياة الأخرى التي لم يرز في شأنها نصٌّ من القرآن والسنة، ولنا فيها فائدة وصلاح ومنفعة عامة، " ولمّا كان الإسلام ديناً صالحاً لكلّ زمانٍ ومكان، ولما كانت أحوال المسلمين تتجدد، وظروف العصر تتغير، فإنّ التربية الإسلامية لا بدّ لها أن تتعامل مع هذه التغيرات أخذاً وعطاء، فلا تتواني عن الاقتباس من الآخرين، ولا تمنع غيرها من الاستفادة من إنجازاتها، انطلاقاً من المبدأ الإسلامي الشهير: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحقّ الناس بها، شريطة ألا يتعارض ما تقتبسه من غيرها مع أصولها وثوابتها، وبذلك تجمع بين المحافظة والمرونة، والثبات والانفتاح، دون إفراط أو تفريط في سمة على حساب أخرى." (١)

فالمنظومة الإلهية كاملةً في نظامها، ثابتةً في مبادئها، راسخةً في تعاليمها، ولذلك يقول الله تعالى ﴿وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا مَحْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٧]، على النقيض من ذلك النظم الوضعية التي تتصف بعدم الثبات، والتغير المستمر؛ لفشلها وعدم تحقيقها للأمال المنشودة منها. " فالنظم الوضعية التي يعتريها عدم ثبات مبادئها؛ حيث تظهر بين الحين والحين

(١) عبد الله بن عقيل العقيل، التربية الإسلامية مفهومها، خصائصها، مصادرها، أصولها، تطبيقاتها، مريوها، مرجع سابق، ص ٢١.

نظرياتٌ جديدة تخدم السابقة عليها، وتبدل القواعد والأصول، ممّا يجعل المتأمل فيها يشكك في صحتها؛ نتيجة لتناقض معانيها وأفكارها، والعصمة في ذلك منهاج الله القائم على مبادئ وغايات من قبل العلي الحكيم - جل وعلا - .^(١) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

"وقواعدُ النَّظامِ الوضعي مؤقَّتة لجماعةٍ خاصَّةٍ في عصرٍ معين، فهي في حاجةٍ إلى التغيُّر كلما تطوَّرت الجماعة، وتجددت مطالبها، أمَّا قواعد الشريعة الإسلامية بصفةٍ خاصة لم تأت لقومٍ دون قوم، أو لعصرٍ دون عصر، ولكنها قواعد كلية ثابتة مستقرة، تسد حاجات الجماعة، وترفع مستواها في كلِّ عصر، فقد مرَّ على الشريعة الإسلامية زهاء أربعة عشر قرناً من الزمان، تغيَّرت فيها أوضاع الجماعات، واندثرت فيها مئات القوانين والأنظمة، ولا تزال تلك الشريعة غضةً صالحةً لكلِّ زمانٍ ومكان، تحمل نصوصها عناصر التَّموُّ والارتقاء."^(٢)

فالقيم الإسلامية قيِّمٌ تحقق السعادة للإنسان في كلِّ زمانٍ ومكان، مادام ملتزماً بالشريعة الإسلامية وقيمتها، ونتائجها ثابتة لا تتغير لا بالزمان ولا بالمكان، فهي صالحةٌ لكلِّ عصرٍ في حدود تفكيره، محققةٌ في ذلك القواعد والأصول التي وضعتها الشريعة الإسلامية أساساً للحضارة الإنسانية وتطورها.

ومن مظاهر قابلية تكيف القيم ومرونتها أيضاً قدرتها على التأثير، واستجابة حالة متلقيها لها على مختلف المراحل العمرية، والنفسية، والوجدانية، والعقلية، فلكلِّ طريقتها وأسلوبه، فالناقل لهذه القيم يتميز بقدراتٍ مختلفة عن متلقيها، وعلي ذلك فالتأثر والتأثير أمر حاصل بينهما، وذلك لتنوع الخطاب في القيم الإسلامية، واختلاف طرقه وأشكاله، وقدرته على التأثير في الأفراد كلِّ فرد على حده، يتمكن من ملامسة دواخله، والتغير من سلوكه إلى الأفضل.

٧- الوضوح وعدم التناقض:

إنَّ القيمَ الإسلامية واضحة، وليست بالملتوية ولا بالمعقدة، ولا بالغيرية المبهمة، "فآيات القرآن الكريم فيها من الوضوح والأحكام والتكيز ما يعجز عنه البشر، وكذا جاءت المبادئ التربوية الإسلامية واضحةً في أهدافها، وطرق تنفيذها، فلا يجد الإنسان مشقةً في فهمها وتطبيقها، حيث إنَّها لا تعارض مع فطرة الإنسان، وليس فيها أي غموض أو جنوح أو تحيز."^(٣)

"فالمسلم لا يجهل - وهو يتبع الكتاب والسنة - أنَّ الله تعالى يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، فأساس القيم الإسلامية تكمن عظمتها في بساطتها ووضوحها، فالجاهل بما لديه الدليل على وجودها، وجلِّ مقاييسها يعلمها بفطرتها، والعلم بما لديه دليلان: فطرته، وعلمه."^(٤)

فهي قيِّمٌ مباشرة تبعد كلَّ البعد عن الغموض والالتواء، تتفرد بطريقة أمَّا "تربي الضمير الإنساني ليكون رقيباً على

(١) أحمد عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، الرياض، دار النشر الدولي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٣٥.

(٢) مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي (التشريع والفقه)، ٢، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٢٠ - ٢١.

(٣) محمد جميل خياط، المبادئ والقيم التربوية الإسلامية، مكة المكرمة، معهد البحوث / جامعة أمّ القرى، ١٤١٦هـ، ص ٨٣ - ٨٤.

(٤) فايز عبدالله الحارثي، القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في بعض برامج الشَّباب بقناة المجد الفضائية، مرجع سابق، ص ٣٢.

المسلم في السر والعلن، يخشى العقاب الأخروي أكثر من خشيته للعقاب الدنيوي، فالفعل التعبدي أو المدني أو الجنائي، له أثر المترتب عليه في الدنيا من أداء الواجب أو إنشاء الحق أو زواله أو توقيع عقوبة أو ترتيب مسئولية، ولكن هذا الفعل يترتب عليه أثره في الدنيا، وله أثر آخر مترتب عليه في الآخرة هو المثوبة أو العقوبة الأخروي. ومن يتتبع آيات الأحكام يجد كثيراً منها قد رتب عليه جزاءان: جزاء دنيوي، وجزاء أخروي." (١)

ففي القتل يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]

"وذكر الله تعالى هنا وعيد القاتل عمداً وعيداً ترحف له القلوب، وتنصدع له الأفئدة، فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله، إلا وهو الإخبار أنّ جزاءه جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم قد أنهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والحزني المهين، وسخط الجبار، وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسارة." (٢)

فالقيم الإسلامية منبثقة من تشريع إسلامي يمتاز بسهولة الفهم والإدراك، فجميع الناس يشتركون في فهم التشريع، وهذا الوضوح إنما يرجع لمعرفة الله تعالى بالإنسان، ودرايته بخصائص تكوين البشر، فالقيم الإسلامية تنزّل الحكيم العليم الذي يعلم أحوال عباده، وما يصلح معاشهم ومعادهم، وما يحقق لهم الخير في دنياهم وأخراهم، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]

٨ - القيم الإسلامية قيم إنسانية عالمية:

وذلك لاحتوائها كلّ المجموعات البشرية مهما كان لونها وجنسها وعرقها ومكانها، دونما تمييز أو تفرقة إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهذا ما يؤكد قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، فالقيم الإسلامية تنبثق من تربية إسلامية، "إنسانية عالمية بعيدة عن التعصب، أو التمييز العرقي أو الاجتماعي، فلا شعوبية في الإسلام، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وبذلك كانت تربية عالمية، لأن الإسلام رسالة عالمية جاء للناس كافة، وعالمية الرسالة الإسلامية تعني أيضاً عالمية التربية الإسلامية" (٣)، وعالمية قيمها.

ثم "إنّ المصائب التي تنزل بالمجتمع الإنساني عامةً، والكوارث التي تصيب المجتمعات الإسلامية، وظلم الإنسان

(١) مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي (التشريع والفقه)، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص ١٩٣-١٩٤.

(٣) عبدالسلام عبدالله الجفندي، التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة، دمشق، دار قتيبة، ١٢٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص

للإنسان، واحتكار الدول القوية لخيرات الأمم الضعيفة، كل ذلك نتيجة لسوء تربية الإنسان، والانحراف عن ابتغاء كماله، وعن فطرته، وعن طبيعته الإنسانية.^(١)

ولمّا كان الإسلام هو المنهج الرباني المتكامل المواتي لفطرة الإنسان، والذي أنزل لصياغة الشخصية الإنسانية، وتهذيبها وتأديبها، والسمو بها إلى المرتبة التي كرمه الله تعالى بها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، كان من المحتم أن البعد عن هذا المنهج الرباني هو سبب الانحلال، والميوعة والانتقال إلى الدمار والضياع، وهذا أمرٌ مؤكد لمخالفة المنهج القويم الذي يرسم للفرد منهاج الحياة الهنيئة الكريمة، وذلك لما تغرسه التربية الإسلامية في النفس الإنسانية من الشعور بالعزة والكرامة، والاستماتة في سبيلها، مهما أحاطت بالفرد الشدائد، أو أذهلتها عنها المغريات.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ولقد اعترف المطلعون على تعاليم الإسلام وقيمه العظام من غير المسلمين بإنسانية قيم الإسلام؛ فهذا المؤرخ (هربرت جورج ولز) يقول عن قيمنا بأنّها "إنسانية السمة... خلقت جماعة إنسانية، يقل فيها ما يغمر الدنيا من قسوة، وظلم اجتماعي".

٩ - القيم الإسلامية مكتسبة:

إذن فالقيم الإسلامية قيّم مكتسبة عن طريق العديد من الطرق، أهمّها التعلم والتنشئة الاجتماعية، بمعنى أنّها تتكون لدى الفرد من خلال ما يتلقاه من الأوامر والنواهي، وما يتلقاه من الثواب والعقاب على أفعاله، ممّا يساعد في تكوين الضمير القيمي الأخلاقي، والذي يضل في عملية اكتساب للقيم، والخبرات على طول الحياة، ومحاسبة التجارب والخبرات والمواقف، فيتكون لدى الفرد مجموعة من القيم الإسلامية، والمثل العليا، كالفضيلة والشرف، والعفة والصدق، حيث تكون هذه الحصيلة بمثابة الميزان الذي يزن به الفرد سلوكياته وتصرفاته، وما هو مقبولٌ إيجابياً، وما هو سلبيٌّ مرفوض.

والتحوّل الجذري الذي يلمسه المتأمل في حياة الثقة المؤمنة، والتي انتقلت بإسلامها من حياة الظلم والشرك والجهل إلى حياة العدل والتوحيد، ورقة النفس ورفي المشاعر؛ لهو أكبر دليل على قابلية اكتساب القيم الإسلامية. كما يُعدُّ المجتمع الإسلامي هو اللبنة الأولى لإكساب الأفراد القيم الإسلامية، "والإسلام يؤكّد على أهمية العلاقات الاجتماعية، وأثرها في بناء شخصية الإنسان، وقد أولى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أهمية كبيرة لهذا الجانب الأساس من جوانب الشخصية المتكاملة؛ فقد كان حريصاً على أن تكون أواصر المحبة والعطف والحنان والرحمة بين أفراد الأسرة قويةً ومتينةً، وربط بين اختيار المجتمع وتفكك الأسر."^(٢)

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، ص ٢١.

(٢) فايز عبدالله الحارثي، القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في بعض برامج الشّباب بقناة المجد الفضائية، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٣) عبد السلام عبدالله الحقندي، التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

فالقيم الإسلامية قيّم يتشرها الأفراد من الوسط البشري الذي يعيشون فيه، وهي جزء لا يتجزأ من المجتمع، وكيانه الثقافي. "ويتضح تأثير البيئة الاجتماعية في الشخصية الإنسانية في تأثيرها الكبير على نمونا، فعن طريق الاحتكاك (التفاعل الاجتماعي) نتعلم اللّغة، والتقاليد والقيم، وطرق التعامل مع الحياة ومشكلاتها، فأثر البيئة الاجتماعية في شخصية الفرد قد يبلغ من الخفاء والتغلغل أن يؤثر في كل عرق من عروق تفكيرنا وخلقنا وحلقنا."^(١)

المبحث الخامس - القيم الإسلامية وعلاقتها بالشعر:

لقد خلف لنا التاريخ تراثاً هائلاً، الاعتزاز به أقل واجباتنا نحوه، والعمل على كشف مكوناته أهم ما يمكن أن نقوم به، فالمخزون الشعري للشعوب العربية والإسلامية يذخر بالعديد من القيم الأدبية والفكرية الإسلامية، وأنه من أفضل الأعمال والمهارات التعمق في الأدب الإسلامي الرفيع، والشعر العربي، وفهم مكوناته لمعرفة الماضي الذي يُعدُّ من ضروريات فهم الحاضر والمستقبل، واستخلاص الفوائد الحياتية، والعبء التي من شأنها الرقي بالمجتمع المسلم والعربي ولارباط القيم بالشعر أثر قديم، "فالتربية اليونانية القديمة - منذ حوالي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد - كان الاهتمام بالشعر وحفظه يحتل مكانة رفيعة بين المواد الدراسية؛ فقد كانت التربية الأثينية المبكرة تركز الاهتمام على حفظ أشعار (هوميروس) والتغني بها، ولم يتوقف الأمر عند حفظ الأشعار والتغني بها، وإنما استخلص ما في هذه الأشعار من قيم روحية واجتماعية ودينية، وما فيها من مفاهيم مختلفة لمظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة من حكمة، وحبّ البلاد والحرب والسلم، وما فيها من حكم سياسية."^(٢)

وفي عصر ما قبل الإسلام "كان الشعر الجاهلي كسائر الأدب في كل أمة من ناحية المضمون الفكري، حيث احتوى على الغزل الفاحش، كما كان فيه الغزل العفيف، كان فيه الهجاء المقذع، كما كان فيه التغني بالمناب والمخاض الإنسانية العليا، وكان فيه من الأوصاف ما هو موغل في الكذب، كما كان فيه ما يتدفق بالصدق."^(٣) وهذا منا يدل على أنّ الشعر الجاهلي كان "يحمل مثلاً أخلاقية، وقيماً اجتماعية تغني بها العرب، وسيطرت على حياتهم من واقع شعرهم الصحيح، المعبر بصدق وأمانة عما كان يدور في العصر الجاهلي من أحداث، وما يسودهم من قيم وأخلاق."^(٤)

(١) محمد عبد السلام العجمي - صلاح حسن خضر وآخرون، تربية الطفل في الإسلام (النظرية والتطبيق)، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص ٣٨.

* هوميروس: شاعر إغريقي عاش في القرن الثامن أو التاسع، له ملاحم شعرية أسطورية تسمى (الإلياذة والأوديسة) وهي تصف الملاحم الشعرية في القرن ١٢ قبل الميلاد من الحضارة المسيحية.

(٢) محمد حسن العمارة، أصول التربية التاريخية، الاجتماعية، النفسية، الفلسفية، مرجع سابق، ص ٦١

(٣) جابر قميحه، المدخل إلى القيم، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٤) حسن الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ٢٠٨

وجاء الإسلام فأشرقت العقول بمهدي الدين الجديد، ودعوة الإخاء والمساواة، ودعوة العقّة في القول والفعل والأدب الذي يليق بالمسلم، وحذرهم من باطل القول وزوره، ودعا أوليائه وأتباعه إلى الابتعاد عن كلّ رذيلة، وأنّ يكفوا عن القول والفعل إن كان في ذلك أو بعضه ما يؤذي نفس المسلم، فكان موقف الإسلام من الشعر موقفاً إيجابياً، وكان معيار الحكم على ما هو مقبولٌ وما هو مرفوضٌ إنّما يتركز على الجانب القيمي بالشكل الرئيس، والقيمة الفنيّة لهذا الشعر، أي: إنّ الإسلام لم يستنكر الشعر ويشجبه إنّما وجّهه الوجهة الصحيحة، وسخره نحو المنفعة الإنسانية، ولهذا الدور التوجيهي للشعر من قبل الإسلام، إنّما يعود لمدى معرفة الإسلام بمكانة الشعر عن العرب ومدى تأثيره في النفس، ومدى أهميّة هذا، فهم مفطورون على حب الشعر منذ الصبا، وله سلطانه على العقول، وينابيعه تفور من الوجدان، فجاء الإسلام مهذباً للفظّة الشعريّة، والشعراء "منعهم من أن يلموا منه إلّا بما عفا لفظه وشرف معناه، من أجل ذلك تحولوا عن معانيهم الشعريّة التي أجادوها وأبدعوا فيها، إلى المعاني التي أقرها الدين الحنيف ويرتضيها."^(١) جعل ذلك من الشعر منبعاً للقيم الإسلاميّة والتربويّة النبيلة.

"إنّ علاقة القيم الإسلاميّة بالشعر لها تاريخٌ قديم، لما أثر عن شعراء صدر الإسلام، وتمثيلهم للقيم الإسلاميّة في تاريخ الأدب العربيّ عامّةً، والشعر العربيّ خاصّةً، وأقول الشعر خاصّةً لدوره العظيم في صدر الإسلام، إذ واكب الشعراء رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في كلّ خُطوةٍ من خطوات دعوته السمحة، فتارةً يقفون إلى حوار يدافعون بألستهم وسلاحهم عنه أذى المشركين، ويدحضون مزاعمهم، وتارةً ينطلقون في رحاب الدّعوة يستهلون فكرها وتشريعها، ويعبرون عن ذلك في شعرهم، يصدرون عن روح الإسلام وقيمه ومبادئه، محلّقين بأخيلتهم في عليائه، وراحت معاني القرآن الكريم ولغته تأسر تعبيرهم الفنيّ فارتقت أحلامهم، وصفت لغتهم، وأضاء اللفظ وأشرق المعنى، فاتخذوا لأنفسهم سماتاً شعريّةً مستمدة من قيم الإسلام."^(٢) فالدين الإسلاميّ أضاف للشعر ما يسمى بالرسالة الهادفة، فحرص على أن يكون للشعر رسالة يؤديها للمجتمع، ويلتزم بها.

وربّما يعود ارتباط القيم الإسلاميّة بالشعر إلى أن الكثير ممّا يطرح في أشعار العرب يُعدُّ تفصيلاً عما يدور في حياتهم، وما يتخلل تلك الحياة من مواقف، وسلوكيات واتجاهات وقيم، فالشعر في مجملته ما هو إلّا تجارب وومواقف حياتية. "فالشعر في أبعد غاياته هو التعبير عن النفس البشريّة في إطارها الجماعي، وبهذا يفهم أنّ كتابة الشعر تنبع من الداخل، أي: إنّ الشعر تجربة فنيّة داخلية تتلاقى مع المؤثرات المتلقاة، ولذلك لا يمكن أن يقوم الشعر إلّا إذا كانت له علاقة بالنفس؛ بداخل الإنسان، المتمحور في مجتمع معين، وبذلك تكون العلاقة بين الشاعر والحياة علاقة رحم."^(٣)

(١) مصطفى السيوي، تاريخ الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ٧٧

(٢) وفاء فهمي السنديوني، شعراء صدر الإسلام وتمثيلهم للقيم الاجتماعيّة، مرجع سابق، ص ٩

(٣) منيف موسى، في الشعر والنقد، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م، ص ١٨٥

ومما يدل أيضاً على ارتباط القيم الإسلامية بالشعر، نتائج الدراسات السابقة؛ والتي أكدت أنّ الشّعر "مضمار فسيح لاستيعاب القيم إذا تمّ اختيارها بدقة وبحثّ عما يصب في بناء شخصية الإنسان المسلم، فهو وسيلة تربوية ناجحة في إكساب القيم التربويّة للطلاب، وتنمية استعداداتهم، وعلاج عيوبهم، فإذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - أذن لشعراء صدر الإسلام بالدفاع عن الدّين، وإظهار القيم الإسلاميّة، فما زال الإذن مستمراً للدفاع عن الدّين الإسلامي، من خلال نشر القيم التربويّة الإسلاميّة العظيمة."^(١)

ولقد تناولت الباحثة في الفصل الحالي ماهية القيم الإسلاميّة، وعلاقتها بالشعر، وتناولت من خلاله أهميّة القيم الإسلاميّة ووظائفها، ومصادرها، وخصائصها، وعلاقتها بالشعر، وسوف تتطرق الباحثة في الفصل التالي إلى شعر كعب بن زهير كنموذج للقيم الإسلاميّة في شعر صدر الإسلام.

(١) حسن الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، المرجع سابق، ص ٣٢٣

الفصل الرابع

شعر كعب بن زهير

المبحث الأول: نسب كعب بن زهير ونشأته وإسلامه.

المبحث الثاني: مكانة كعب بن زهير الشعرية.

المبحث الثالث: خصائص شعر كعب بن زهير الفنيّة والجماليّة

والفكريّة وموضوعاته الشعرية.

الفصل الرابع

شعر كعب بن زهير

تمهيد:

تزخر كتب الأدب والتاريخ بما نظم من أشعار للعرب، فلا يكاد يخلو حدث كبير من مواكبة الشعر له ومرافقته. "ومن يقرأ في شعر المخضرمين متصفحاً ما نثر في كتب التاريخ والأدب؛ يجد جمهور الشعراء يصدرون في جوانب من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحية التي آمنوا بها، وخالطت شغاف قلوبهم"^(١)، ولعلّ البيئة التي نشأ فيها كعب بن زهير كانت مضمناً خصباً لتدريبه وتمرينه على حوض الشعر ونظمه"^(٢)، والأسر العربية الأصيلة مستمرة في إنجاب أبناء يفتخر بهم من رعييل إلى رعييل، ومن هذه السلالات العربية كان مولد شاعرنا الذي كان شعره هو موضوع الدراسة الحالية لكعب بن زهير، وستعرض الباحثة من خلال هذا الفصل نسبه، ونشأته، وإسلامه، ومكانته الشعرية، ومميزات وخصائص شعره، من ثمّ تعرض من شعره، وعلاقة هذا الشعر بالتربية.

المبحث الأول – نسب كعب بن زهير ونشأته وإسلامه:

ولد كعب بن زهير في الجاهلية وهو "كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني (المتوفى نحو ٢٦ هـ - ٦٤٥ م) من أهل نجد، وأحد فحول المخضرمين المقدمين، ينسب إلى مزينة، إحدى القبائل المضرية، أمه كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم إحدى بني عبدالله بن غطفان، وهي أم سائر ولد زهير."^(٣)

"والمعروف عن كعب بن زهير أنه قال الشعر وهو صغير، وكان أبوه ينهاه ويضربه؛ مخافة أن يقول مالا خير فيه، فيقول القاضي: قال أبو بكر: قال أبو عباس ثعلب: وتحرك كعب بن زهير بن أبي سلمى وهو يتكلم الشعر، فكان زهير ينهاه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره؛ فيروى له مالا خير فيه، فكان يضربه في ذلك، ففعل ذلك به مراراً، فغلبه فطال ذلك عليه فأخذه فحبسه، ثمّ قال: والذي أحلف به لا تتكلم بيت شعر ولا يبلغني أنك تريغ الشعر - أي تطلبه - إلاّ ضربتك ضرباً ينكلك عن ذلك. فمكث محبوساً عدّة أيام، ثمّ أخبر أنه يتكلم به، فدعاه فضربه ضرباً شديداً، ثمّ أطلقه وسرحه في بومه وهو غلام صغير، فانطلق فرعاها ثمّ راح بها عشية وهو يرجز:

كَأَنَّمَا أَحَدُو بَيْهَمِي عَيْرًا مِنْ الْقُرَى مُوقِرَةً شَعِيرًا

- البهم: الصغار من ولد الضأن - ، فخرج زهيرٌ إليه وهو غضبان فدعا بناقته وكفلها بكسائه - والكفل إن يقتل

أزار أو كساء فيجعل حول السنام - ، ثمّ قعد عليها حتّى انتهى إلى ابنه كعب فأخذه بيده فأردفه خلفه، ثمّ خرج يضرب

(١) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٣.

(٣) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥.

ناقته، وهو يريد أن يتعنت كعباً، ويعلم ما عنده، ويطلع على شعره. فقال زهير حين برز من الحي:

إِنِّي لَتَعْدِينِي عَلَى الْهَمِّ جِسْرَةً تَخَبُّ بِوَصَالِ صَرُومٍ وَتَعْنِقُ

ثم ضرب كعباً وقال: أجزر بالكعب. فقال كعب:

كُنْيَانُهُ الْقَرْيَئِي مَوْضِعُ رَحْلِهَا وَأَثَارُ نَسْعِيهَا مِنَ الدُّفِّ أَبْلَقُ

فقال زهير:

عَلَيَّ لَا حُبَّ مِثْلَ الْمَجْرَةِ خِلَّتْهُ إِذَا مَا عَلَيَّ نَشِزاً مِنَ الْأَرْضِ مُهْرِقُ

ثم ضرب كعباً وقال: أجزر بالكعب. فقال كعب:

مُنِيرٌ هَدَاهُ لَيْلُهُ كَنَهَارِهِ جَمِيعٌ إِذَا يَعْلُو الْحَزَنُ أَفْرَقُ

ثم بدأ زهير في نعت النعام، وترك نعت الإبل، فقال زهير يعتسف بمش عمداً - أي: يأخذ في غير جهته -،

يعني طريقاً آخر من الشعر:

وَوَظَلَّ بِوَعْسَاءِ الْكَنْيِبِ كَأَنَّهُ خِبَاءٌ عَلَيَّ صِقْبِي بِوَانٍ مُرُوقُ

فقال كعب:

تَرَاحَى بِهِ حُبُّ الصَّحَاءِ وَقَدْ رَأَى سَمَاوَةَ فَشَرَاءِ الْوُظَيْفَيْنِ عَوْهَقُ

سماوة: شخص. وقشراء الوظيفين: يعني الساق. وعوهق: طويلة العنق.

فقال زهير:

تَحْنُ إِلَى مِثْلِ الْحَبَابِيرِ جُثْمُ لَدَى مَنْتَجٍ مِنْ قَيْضِهَا الْمُتَفَلِقُ

ثم قال: أجزر يا لكعب. فقال كعب:

تَحَطَّمَتْ عَنْهَا قَيْضُهَا مِنْ خَرَاطِمِ وَعَنْ حِدَقِ كَالنَّبَخِ لَمْ يَتَفَتَّقُ

النبخ: يعني الجدرى، شبه عين ولد النعام بالجدرى، لم يتفتق: لم يتفتقاً.

فأخذ زهيراً بيد ابنه كعب، ثم قال: قد أذنت لك يا بني في الشعر، فلما نزل كعب وانتهى إلى أهله وهو صغير

يومئذ، قال:

أَبَيْتُ فَلَا أَهْجُو الصَّدِيقَ وَمَنْ يَبِعُ بَعْرُضَ أَبِيهِ فِي الْمَعَاشِرِ يُنْفِقُ^(١)

(١) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، ط ٣، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٢ م، مقدّمة الكتاب ص (ف - ص - ق).

وكان هذا امتحانا تأكد بعده زهير من نبوغ ابنه ومقدرته الشعرية، فسمح له بالانطلاق فيه، فكان من المبرزين المقدمين.

فكعب بن زهير الذي تتلمذ على يد والده زهير، والذي نشأ في روضة الشَّعر، وباحة القريض، والذي رسخت فيه ملكته الشعرية احتل مكانة مرموقة بين شعراء عصره، وفحول زمانه، فأحسن في شعره، والتزم في مبادئ وسلوكيات قدمته على غيره، كيف لا وهو الذي أثنى عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بمقولته الشهيرة في زهير^(١): "كان لا يُعاضل بين الكلام، ولا يتبع وحشية، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه."

ومفهوم "المعاظلة عند النقاد ينحصر في أربعة جوانب" (٢) هي:

الأول: إدخال اللفظ في معنى لا يوافق حقيقته.

الثاني: مداخلة اللفظ في اللفظ مما يتعلق بسوء التركيب.

الثالث: وضع المعنى في موقع لا يوافق من حيث التقديم والتأخير.

الرابع: تكرير الحرف لغير داع، أو تكرير الصيغ بدون فواصل.

أما الوحشية في الكلام فيعرفها ابن رشيق في العمدة فيقول^(٣) هي: الوحشي في الكلام ما نفر عنه السمع، وإذا كانت اللفظة خشنة مستغربة لا يعلمها العالم المبرز والأعرابي القح، فتلك وحشية، وكذلك إن وقعت غير موقعها وأتى بها مع ما ينافرها، ولا يلائم شكلها.

ومقولة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - صادرة عن عالم بالشَّعر والأدب والعلم والنقد، وعن خليفة عادل تقي، يطلب في الشَّعر الصدق والواقعية، وفي القول العدل والإحسان، وفي السلوك الطهارة والعفة، وفي اللُّغة الفصاحة والبيان، وتلك صفات تحققت فيه من جانب أصله، ومحتده وعلمه ومعرفته، ومن جانب قوَّة إسلامه وعقيدته وتمسكه.^(٤)

ونفي تلك العيوب الكلامية التي تضعف من قوَّة الشَّعر وتقلل من قيمته اللُّغوية والفنية إلى غير ذلك من نفي القبح عن شعره، والتصنع والنفاق عن المخضرم زهير بن أبي سلمى، الذي كان المنهل الأول والمرئي الأعظم لابنه كعب بن زهير، من قبل رجل فذ وذو نظرة أدبية قوية ومكانة دينية مرموقة كمثل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -؛ إنما هي بمثابة الترجيح لكفَّة هذا الشاعر، وإعطائه مكانة شعرية وأدبية وتربوية عظيمة، تجعل من شعره وشعر من تربى على يده

(١) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج ١، جدة، دار المدني، (د:ت)، ص ٦٣.

(٢) عبدالله عبد الكريم العبادي، شاعرية زهير بن أبي سلمى في ميزان النقد، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٤١١هـ، ص ٢٣.

(٣) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مرجع سابق، ص ٢٦٩.

(٤) عبدالله عبد الكريم العبادي، شاعرية زهير بن أبي سلمى في ميزان النقد، مرجع سابق، ص ١١.

مادّة دسمة، ومرجعاً مهماً للفنون الشعريّة والأدبية، ومنهالاً مهماً للقيم التربويّة الإسلاميّة، وإن كان شعر زهير قد سما على غيره من شعر، فما ذلك إلا لسمو الأخلاق، ونقاء القول، ورجاحة العقل، وعفة اللسان عند زهير، والشعر الذي يحتوي على الحكمة والمدح للخير والعظة والصدق الواقعي فهو من أعظم الشعر وأرقاه؛ لما له من دور وأضح في تنمية فضائل الأخلاق، والحث على التمسك بها، ولهذا ما يحتاجه النشء المسلم. وهماو يثني على الخلق الكريم، ويقدمه على سائر الفضائل في إحدى أبياته فيقول^(١):

"وَعُودٌ مُؤَمَّةٌ هَرَمَ عَلَيْهِ وَمِنْ عَادَاتِهِ الْخُلُقُ الْكَرِيمُ
كَذَلِكَ خِيَمُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ إِذَا مَسَّتْهُمُ الصَّرَاءُ خِيَمٌ

فهو يثني على الخلق الكريم والسيرة الحسنة، وهذا يدلّ على تقديمه لهذه الصفات على غيره، فهي صفات الفضل والوقار.

لذلك نجد أنّ كعباً كان ممن جمع بين أخلاق العرب، والعروبة قبل الإسلام من شجاعةٍ وكرمٍ ومروءةٍ ووفاءٍ، وحسن جوار، وغيره على المحارم، ونخوةٍ وحرية، ومقتت الضيم، والحلم والأناة، إلى غير ذلك من الأخلاق العربيّة الأصيلة، وبين ما جاء الإسلام به من فضائل ليستنقذ ما كان لدى العرب من فضائل، ويوجهها الوجهة البناءة، ويخلصها من ركام الرذائل والموبقات، "فمن تلك الجاهلية التقط الإسلام النخبة الصالحة، وأنشأ بها المجتمع المسلم، ذلك المجتمع الذي بلغ القمة التي لم تبلغها البشرية قط، فلقد انتقل العرب بالإسلام نقلةً بعيدة، فبعد أن كان التسابق في الجاهلية نحو السمعة وحسن الأحذوثة، أصبح التسابق نحو القيم الإسلاميّة الجديدة."^(٢)

وقد أسلم كعب بن زهير عندما عظم أمر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وذاع صيت دعوته وأخذ الناس يتحدثون بالإسلام، وقيل: إنه أسلم في السنّة الثامنة للهجرة.^(٣)، ولم يحدثنا الرواة عن حياة كعب الشّيء الكثير إلا خبر إسلامه، واعتذاره إلى الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بقصيدته الشهيرة، والتي مطلعها (بانت سعاد)، وذلك أنّ بجيراً أcha كعب وفد إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في أواخر السنّة السابعة للهجرة فأسلم، ووصل خبر إسلامه إلى أخيه كعب، فاستاء كعب من عمل أخيه، وقال فيه أبياتاً يؤنبه على فعلته هذه، ويحثه على الارتداد عن الإسلام، والتي قال فيها^(٤):

أَلَا أْبْلَغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ ، وَيَحْكُ ، هَلَكَا

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٩.

(٢) محمد الناصر، أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، مكّة المكرمة، دار الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، ط٢، بيروت، دار صادر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٩.

(٤) محمود خليفة - عصام فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٧٢ - ١٧٣.

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً
فَانْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَاكَ
فَفَارَقْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَاتَّبَعْتَهُ
عَلَى مَذْهَبٍ لَمْ تُلَفْ أُمًّا وَلَا أَبَا
عَلَيْهِ ، وَلَمْ تَعْرِفْ عَلَيْهِ أَخًا لَكَ

ويقال: إِنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَمِعَ بِهَذَا الشَّعْرِ، فَتَوَعَّدَ كَعْبًا، وَأَهْدَرَ دَمَهُ."

وقصة إسلام كعب مشهورة، فقد جاء في (العمدة) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُوْعِدَ كَعْبًا لَمَّا أُرْسِلَ إِلَى أَخِيهِ بِجَيْرِ بِنَهَاءِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَذَكَرَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَا سَبَقَ ذَكَرَهُ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ أَحْوَهُ " وَيَحْكُ إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُوْعِدَكَ لَمَّا بَلَغَهُ عِنْدَكَ، وَقَدْ كَانَ أُوْعِدَ رَجَالًا بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ، وَيُوْذِيهِ فَقَتَلَهُمْ - يَعْنِي: ابْنَ خَطْلٍ وَابْنَ ضَبَابِهِ -، وَإِنَّ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ شَعْرَاءِ قُرَيْشٍ - كَانَ الزَّعْبَرِيُّ وَهَيْبَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ - قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهِ، فَإِنَّكَ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَطَرَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ مَنْ جَاءَ تَائِبًا، وَإِلَّا فَانْجِ إِلَى بُحَائِكَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ قَاتَلَكَ. فَضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ، فَأَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُتَنَكِّرًا، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَاةَ الْفَجْرِ وَضَعَ كَعْبَ يَدِهِ فِي يَدِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ كَعْبَ بْنَ زَهْرَةَ قَدْ أَتَى مُسْتَأْمِنًا تَائِبًا أَفْتُمِّنُهُ فَآتِيكَ بِهِ؟ قَالَ: "هُوَ آمِنٌ". فَحَسَرَ كَعْبٌ عَنِ وَجْهِهِ، وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَكَانَ الْعَائِذِ بِكَ، أَنَا كَعْبُ بْنُ زَهْرَةَ. فَأَمَّنَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَأَنْشَدَ كَعْبٌ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا "(1):

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ
مُتَمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ

فلما بلغ قوله "(2):

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
مُهْنَدٌ مِنْ سِيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ

وَهَبَ لَهُ بَرْدَتَهُ"، وَقِيلَ: لَقَدْ رَضِيَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ كَعْبٍ وَعَفَا عَنْهُ، وَأَعْجَبَ بِقَصِيدَتِهِ أَيْمًا إِعْجَابًا، وَبَلَغَ مِنْ أَعْجَابِهِ بِهَا أَنْ خَلَعَ بَرْدَتَهُ الشَّرِيفَةَ، وَكَسَاهَا كَعْبًا، تَأْلِيفًا لِقَلْبِهِ، وَإِعْلَانًا لَهُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَتْ فِي حَيَاتِهِ صَفْحَةٌ جَدِيدَةٌ، نَاصِعَةُ الْبِيَاضِ، فَلَمْ يَصْدُقْ كَعْبُ نَفْسَهُ، لِأَنَّهُ فِي لِحْظَةٍ وَاحِدَةٍ أَضْحَى مِنَ الْمُقْرِبِينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَكَانَ مَعْتَرًا بِتِلْكَ الْبَرْدَةِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ، وَكَانَتْ مَطْمَعًا لِكَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ تَبَرُّكًا بِهَا، فَيُقَالُ: إِنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ سَفْيَانَ اشْتَرَاهَا مِنْ أَبْنَاءِ كَعْبٍ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَتَوَارَثَهَا الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِ، وَكَانُوا يَلْبَسُونَهَا فِي الْعِيدِ، وَلَقَدْ اِكْتَسَى كَعْبٌ بِهَذِهِ الْبَرْدَةِ حَلَّةً لَا تَبْلَى مَعَ الْأَيَّامِ، وَلَقَبَتْ قَصِيدَتَهُ مِنْ أَجْلِهَا بِالْبَرْدَةِ، وَكَلَّ قَصِيدَةَ تَعَارُضَهَا أَوْ تَسِيرَ نَحْجَهَا بِ: نَحْجُ

(1) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مرجع سابق، ص 14 - 15.

(2) علي فاعور، ديوان كعب زهير، مرجع سابق، ص 6.

هكذا كان حال مجتمع النبوة، يذنب المذنبون فيصفتح عنهم الرسول الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، بل ويكافئهم لرجوعهم وتوبتهم، وما تنطق به قريحتهم من أشعار وأقوال، نعم كان مجتمعاً مثالياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، يلتبس التائب المغفرة فتقبل منه، فلم يكن لهذا الشاعر ليأس من رحمه الله تعالى، ثم عفو نبيه الأمين، وإتماً قاده شعوره بالطمأنينة ليأتي إلى هذا البشير النذير ليعتذر منه، بل وينشد أبياته في حضرته الكريمة، ولهذا الاطمئنان إتما هو نتاج رحمة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وطيب سمعته التي عرفت عنه في شتى أرجاء الجزيرة العربية، لذلك أصبح قدوة المسلمين في كل مكان وزمان.

ونشأة كعب بن زهير في بيئة جاهلية كانت من أهم أحداثها الحرب، والجذب، وحياة التحوال والتباهي والتفاخر بالذكر، وواد الأنتى، والتكاثر بالقبيلة، والاعتزاز بالقرابة، لا ينفي عنها فصاحة الألسن والقول، ورجاحة العقل والذكاء، وسرعة البديهة، والحكمة الرصينة، وهذا من أهم ما جعل من شعر كعب بن زهير شعراً قوياً مهنكاً، وجعله بعد إسلامه، واعتناقه دين النور أن يجمع في شعره مقومات قوة الجاهلية، وسماحة ورقة صدر الإسلام، هذا ما جبله على القوة كما جبل العديد من شعراء جيله وعهده، فالإسلام قام بتغيير نهج شعره وصوره وأسلوبه، وحتى موضوعاته الشعرية، فما كان يراه فالجاهلية يستحق الوصف أصبح بعد الإسلام يرى غيره من أولى وأحق بالوصف والذكر والإشادة، فالإسلام غير توجهاته، وحدد له موضوعاته، والتي زادت من شهرته، وجعلته شاعراً بحق، فإن أشهر قصائده على الإطلاق هي لاميته (بانت سعاد - البردة)، والتي كانت ومازالت ذات صيتٍ عظيمٍ وشهرةٍ كبيرة، والتي رسخت قدم شعر كعب بن زهير في ميدان الشعر، "فالمستبوع لأسلوب كعب يجد أن الإسلام قد أحدث فيه بعض التغيرات، إذ أمدته بكثير من المعاني الجديدة، التي كتب لها الخلود والبقاء، فهو في قصائده التي قالها بعد الإسلام يميل إلى الرقة واللين، بينما نراه في قصائده الجاهلية شديداً جافاً تبدو عليه غلظة الجاهلية وقسوتها، وضيق أفقها الذي يحصر الخيال والمشاعر في صور رتيبة ومجازات لا تسمح بالسروح والانطلاق، وهذا التغيير الذي قلنا إنه أصاب أسلوب كعب أحياناً، فإنه لم يكن ليشكل تغييراً جذرياً، لأن كعباً ظل ملتزماً فيه بالقيم الفنية التي ورثها عن أبيه، ومدرسته الشعرية التي حولت الشعر إلى صنعة تتطلب الكثير من الخبرة والرؤية والدراية، وهي صنعة في رأينا ليست متكلفة ولا بعيدة عن الذوق والعموية والصدق في نقل الصور، بل هو في نظرنا استلهم لمعاني جديدة كتب لها الإسلام الحياة، فظلت متداولة بين الناس، وصارت مألوفة مستساغة في كل عصر، بعكس تلك المعاني التي بقيت أسيرة الصحراء، وغمرتها رمال الزمان، فحرمتها نعمة التطور، وأضفت عليها البعد والغرابة والشدة." (٢)

(١) محمود خليفة - عصام فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٨١-١٨٢.

(٢) المرجع السابق، ٢٠٥ - ٢٠٦.

ومن الأبيات الشعريّة التي تدلّ على حسن إسلام كعب بن زهير، وأتّه أسلم وجهه لربه، والتي أخذ يستشعر فيها معاني الإسلام الروحية، وقيمه الدينية، على عكس ما كان عليه في الجاهلية من مفاخرة قبلية، وتهديداً وتوعداً قبل تهذيب الدّين الإسلامي له.

يقول كعب بن زهير ^(١):

أَعْلَمُ أَنِّي مَتَى مَا يَأْتِي قَدْرِي فَلَيْسَ يَحْبِسُهُ شَحٌّ وَلَا شَفَقٌ
 بَيْنَا الْفَتَى مُعْجَبٌ بِالْعَيْشِ مُغْتَبِطٌ إِذُ الْفَتَى لِلْمَنَايَا مُسْلِمٌ غَلِقُ
 وَالْمَرْءُ وَالْمَالُ يُنَمِّي ثَمَّ يُذْهِبُهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَيُفْنِيهِ فَيَنْسَحِقُ
 فَلَا تَخَافِي عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَانْتَظِرِي فَضْلَ الَّذِي بِالْغِنَى عِنْدَهُ نَتَقُ
 إِنْ يَفْنَى مَا عِنْدَنَا فَاللَّهُ يَرْزُقُنَا وَمَنْ سِوَانَا وَلَسْنَا نَحْنُ نُزْتَرَقُ

"ونراه هنا يردد كثيراً أنّ الله يرزق عباده، وأنّه لا يتركهم بدون رزق فهو راعيهم الذي يتفضل عليهم، وهو الغني الحميد، وهو في ذلك أقرب من زهاد المسلمين الذين كانوا يكرهون أن يفكر الشخص منهم في رزق الغد، بل كان منهم من يرى أن ذلك خطيئة لا تغتفر." ^(٢)

ويقول ^(٣):

فَأَقْسَمْتُ بِالرَّحْمَنِ لِأَشْيَاءَ غَيْرِهِ يَمِينُ امْرِئٍ بَرٍّ وَلَا أَتَحَلُّ
 لِأَسْتَشْعِرَنَّ أَعْلَى دَرِيْسِي مُسْلِمًا لَوَجْهِ الَّذِي يُحْيِي الْأَنَامَ وَيَقْتُلُ
 هُوَ الْحَافِظُ الْوَسَانُ بِاللَّيْلِ مَيْتًا عَلَيَّ أَنَّهُ حَيٌّ مِنَ النَّوْمِ مُثْقَلُ

فالشاعر هنا يتوكّل على الله تعالى كلّ التوكّل، وينام مسلماً وجهه له أنّه يفعل به ما يشاء، فهو سبحانه الخبي

والمميت.

(١) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٢) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، مرجع سابق، ٨٧.

(٣) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٧٢.

المبحث الثاني: مكانة كعب بن زهير الشعرية:

إنّ من شأن العرب إذا تبغ شاعر في القبيلة أتت القبائل فهنأته، وصنعت الأظعمة، واحتفلوا بهذا الشاعر احتفالاً كبيراً، وتباشر به الولدان والرجال، لما لمكانة الشاعر عندهم كونه حامي حماهم، والمدافع عن أعراضهم وأحسابهم، والمخلد لذكراهم ومآثرهم، والمشيد بذكورهم، فما بالنّا إن كان هذا الشاعر كعب بن زهير، وهو الذي " اتفق الشعراء على أن الشعر لم يتصل في ولد أحد من فحول الشعراء في الجاهلية اتصالة في ولد زهير، فكعب وأبوه زهير، وجده أبو سلمى، وعمتاه سلمى والخنساء، وخال أبيه بشامة بن الغدير، وابنا عمته تماضر، وأخوها صخر، وابنا بنته العوتبان وقريظ، وأخوه بجير، وولده عقبة، وحفيده العوام بن عقبة كلهم شعراء"^(١).

وكان زهير من ناحية أخرى راوية أوس بن حجر زوج أمه، وكان الحطيئة وكعب راوييه، وكان جميل راوية الحطيئة، وكان كثيرٌ راوية جميل، فاتصلت سلسلة الشعر بزهير من قبل النسب، كما اتصلت من قبل التعليم والرواية، وكان هؤلاء الشعراء يعرفون بعبيد الشعر لعنايتهم بتنقيح شعرهم وتحكيكه، وقد ظهرت هذه العناية واضحة في شعر كعب بن زهير.^(٢)، ومحككاً بمعنى منقحاً مُصنّف من الأذناس مهذباً^(٣) من خلال إزالة الزوائد أو الألفاظ الغريبة، واختيار الكلمات الأوضح والأنسب لمناسبة الحال والموقف الشعري، وهذا إنّما هو دليلٌ على جودة الشعر وقوته، وأفضليته وتميزه عن غيره، وفي ذلك قال الحطيئة: خير الشعر الحولي المحكك^(٤).

فلقد أشار الجاحظ إلى أنّ " من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً وزمناً طويلاً، يردد فيها نظره، ويحبل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه اتّماماً لعقله، وتتبعاً على نفسه، فيجعل عقله زمناً على رأيه، ورأيه عياراً على شعره، إشفافاً على أدبه، وإحرازاً لما خولّه الله تعالى من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات؛ ليصير قائلها فحلاً خنزيدياً، وشاعراً مفلحاً.^(٥)، والخنزيد: هو الشاعر المجيد المنقح المفلح، والخنزيد: العالم بأيام العرب وأشعار القبائل.^(٦)، وهو شاعر فحل مُكثر مُجيد، اقترن اسمه مع لبيد في طبقة واحدة، وقال خلف الأحمر: "لولا أبياتٌ لزهير أكّبرها الناس، لقلت: إن كعباً أشعر منه."^(٧)

(١) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، (مقدمة الكتاب، ص م)؛ علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥.

(٢) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥.

(٣) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٣م، ص ١٤.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٩.

(٦) العلامة ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٣، حرف خ - د - ذ، ص ٢٣٢.

(٧) يوسف عطا الطريفي، عصر صدر الإسلام، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص ٢٤٥.

ولقد انعقد إجماع الرواة على وصف شعر كعب بن زهير بقوة التماسك وجزالة اللفظ وسمو المعنى.^(١) كيف لا وأبوه زهير صاحب المعلقة، والحوليات، وأحد الثلاثة المقدمين على شعراء الجاهلية^(٢)، ويكفي أن ابن سلام روى في كتابه (طبقات الشعراء) أن الحطيئة قال لكعب: "قد علمت روايتي شعر أهل هذا البيت، وانقطاعي لكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكرك فيه نفسك وتضعني موضعاً، فإنّ الناس لأشعاركم أروى، وإليها أسرع، فقال كعب"^(٣):

فَمَنْ لِلْقَوَافِي شَأْنُهَا مَنْ يَحُوكُهَا إِذَا مَا تَوَى كَعْبٌ وَفَوَزَ جُرُولُ
كَفَيْتِكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا تَنْخَلُ مِنْهَا مِثْلَ مَا يُنْتَخَلُ
يَتَّقِيهَا حِينَ تَلِينُ مُنُونَهَا فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يُمْتَثَلُ

وروي أنه قيل لخلف الأحمر: أيهما أشعر زهيراً أم ابنه كعب؟ فقال: لولا قصائد لزهير يذكرها الناس ما فضّلته على ابنه كعب.^(٤)

ولقد سبق كعب إلى مذاهب في الشعر أخذها عنه الشعراء^(٥)، من أمثلة ذلك قوله:

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ نَزَلَتْ بِهِمْ شَهَاءٌ ذَاتُ مَعَاقِمٍ وَأَوَارٍ

سمعه بعضهم فقال:

رُمِيَتْ نِطَاطَةٌ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلِقٍ شَهَاءٌ ذَاتِ مَعَاقِمٍ وَأَوَارٍ

ابتدعها كعب بن زهير، ومن ثمّ أخذها عنه الشعراء وتداولوها.

ولما أشاد العديد من صنّاع الشعر - كما تقدّم - بمكانة كعب بن زهير الشعريّة، وقدرته الأدبية، والاتفاق المعقود مسبقاً على كون الشعر الإسلامي، وما فيه من قيم هو مصدر مهم في توجيه السلوك، وتحريك النفوس نحو الفضيلة، زاد ذلك من قيمة شعر كعب بن زهير، ورفع من مكانته، وجعله مادة دسمة لاستخلاص القيم الإسلاميّة المنبثقة من شعر شاعر مخضرم مشهود لشعره بالجدالة، والقوة والرصانة.

وقد بلغت شهرة كعب بن زهير ومكانته الشعريّة عصرنا هذا، والكثير من الناس تمسكوا بأشعاره وتداولوها فيما بينهم، وتعلموها وعلموها، وخاصةً أبياته الشعريّة بعد إسلامه، والتي ما إنّ "حسُن إسلامه حتّى انطلق يدافع من خلالها

(١) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، (مقدمة الكتاب ص - ن -).

(٢) محمد نبيه حجاب، روائع الأدب في العصور العربية الزاهرة، ط ٢، ج ١، مصر، دار المعارف، ١٩٧٣م، ص ١٦.

(٣) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج ١، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٤) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، مقدمة الكتاب، ص - ن -.

(٥) المرجع السابق، مقدمة الكتاب، ص (ن - ع - ف).

عن الإسلام ويشيد بانتصاراته." (١)، والشعر الذي ينطلق من باب الدفاع عن الدين الإسلامي محاولاً تقوية عراه، وتأصيله في النفس، هو شعر تروبي لا محالة، فهو من أهم ما يساند مصادر التشريع في تكوين القيم، وتعزيزها في النفس، ولما كان شاعرنا كعب بن زهير هو أحد المئة الذين كان لهم السهم الربيع في نخضة العرب الدينية والسياسية والاجتماعية، والذين كان شعرهم أقرب منالاً، وأوثق مبنئاً وأبرز معنى." (٢) كان من الضروري الغور في آثاره، والتي تتمثل في قصائد متفرقة، وأبيات منشورة هنا وهناك في كتب الأدب، وقد جمعت في ديوان يحمل اسمه، ولا يتجاوز عدد صفحاته المائة وعشر صفحات." (٣)

والمسألة ليست متعلقة في أن يكون الشاعر مُقلِّداً أو مُكثرًا، وإنما القيمة والعبرة في ما احتوى عليه هذا النتاج الشعري من قيم إسلامية، ومدى نفع هذا الديوان، وقدرته على التأثير والتغيير في المتلقي، ومن ثم التعديل والتنمية والتعزيز.

وهذا الديوان العظيم، والذي انكب العلماء والأدباء على تنقيحه وشرحه، وإيضاح مجمله، وتحقيقه وضبطه والتعليق عليه، وبذل الجهد في تنسيقه ومراجعته، من أمثال: أبي سعيد بن الحسن السكري، ومحمد يوسف نجم، وعلي فاعور، وهي شروحات الدواوين الرئيسية التي اعتمدت عليها الباحثة في استخلاص القيم الإسلامية من شعر كعب بن زهير، وتعرفت من خلالها على أبرز مميزات وخصائص شعرة الفنية والجمالية والفكرية، وموضوعاته الشعرية " والتي كانت كغيرها من موضوعات الشعر الجاهلي، تتراوح بين الفخر والمدح، والهجاء، والرثاء، والغزل، والوصف، وبعض الحكم، إلا أن في شعره نجد اتجاهين متباينين، لأنّ إسلام كعب غير في نوح شعره، وأمدّه بكثير من صور، ورقق ألفاظه ومعانيه، حيث كان كعب في المرحلة الأولى - أي قبل الإسلام - يميل إلى الشدة والتعقر، وخاصة في وصف الصحراء وحيوانها، بينما في المرحلة الثانية - أي بعد الإسلام - نراه يميل إلى إرسال الحكمة، والابتعاد عن الموضوعات الجاهلية." (٤)

" وقد كان كعب كأبيه يهذب الشعر، وينتقي ألفاظه، ويتخير معانيه، فهو ينتحل القوافي - أي القصائد - وينتقها؛ ولا عجب فالولد سر أبيه، وفي ذلك قال كعب مفاخرًا" (٥):

فَإِنْ تَسْأَلِ الْأَقْوَامَ عَنِّي فَإِنِّي أَنَا ابْنُ سُلَيْمَى عَلَى رَعْمٍ مِّنْ رَّعْمٍ
أَقُولُ شَبِيهَاتٍ بِمَا قَالَ عَالِمًا بِهِنَّ وَمَنْ يُشْبِهْ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ

ومما زاد من مكانة كعب بن زهير الشعرية براعته كبراعة أبيه في التشبيه، والتصوير الحسي، وله خاصته أيضاً في

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١١.

(٢) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط ٨، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ١٠٧.

(٣) محمود خليفة - عصام فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩٠.

(٤) المرجع سابق، ص ١٩١.

(٥) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨٣.

إرسال الأمثال الحكيمة، فقد كان زهير وكعب والحطيئة ينتحلون مذهباً أدبياً واحداً ذا صبغة واحدة، ويؤكد ذلك كلٌّ من محمود خليفة وعصام فهمي بقولهم^(١): "ولو جاز لنا أن نبني حكماً صحيحاً على شعر، لقلنا: إنَّ له من البراعة والتَّصرف في المعاني ما يضعه في مصاف أفحل الشعراء، وحسبنا أن نشير إلى تفننه في وصف الماء بعد أن مزج به الخمرة على ثغر سعاد، ثمَّ إلى تفننه في وصف حركات المرأة الثكلى بعد أن شبه ذراعي ناقتة بذراعيها، ثمَّ إلى إلحاحه في وصف ضراوة الأسد بعد أن فضَّل الرسول عليه في الهيب. نعم حسبنا أن ننظر إلى ذلك لتبين منزلة الشاعر السامية، وبراعته في سوق المعاني والتلاعب بها وبالألفاظ، والغوص على دررها البعيد القرار، وقصارى القول: إن كعباً شاعر مفطور بارع في فنه، ورسام بديع التصوير، ومخترع واسع المخيلة والحيلة، وأحد أساتذة المذهب الذي صفى الشَّعر، ونقحه وهذبته."

المبحث الثالث: مميّزات وخصائص شعر كعب بن زهير الفنيّة والجماليّة والفكريّة وموضوعاته الشعريّة.

إنَّ لشعر كعب بن زهير العديد من الملامح التي ميزته عن غيره، شأنه شأن جميع الشعراء، ويعرض هذا المبحث أهمّ مميّزات وخصائص شعره.

أولاً: مميّزات وخصائص شعر كعب بن زهير الفنيّة والجماليّة.

إنَّ من أهمّ ما يميّز شعر كعب بن زهير التصوير المادي الدقيق، وقد اتخذ لهذا التصوير جانبين؛ أحدهما: التصوير المادي، والآخر: التصوير الفني:

١ - التصوير المادي في شعر كعب بن زهير:

نجح كعب في هذا الفن، وأجاد في تصوير المواقف تصويراً حسيّاً مادياً تتيح فرصة تمثيل الصورة، من أجل ذلك كان يستخدم الصور السمعية التي تشترك الأذان في التقاط صورتها، وتحسس أصدائها، وكأنه قد تحول في شعره إلى آلة سينمائية يسجل الصورة من حيث الرؤية، وما يصاحبها من صوت ونغم، وصور كعب متداخلة يختار أجزاءها من عدة مخلوقات بشرية، وحيوانية، ومظاهر طبيعية جامدة، في أغلب أشعاره، إلى جانب استعانه بعنصر التدييح في رسم صورته إذ نراه في طائفة من أبياته حريصاً على إعطاء صور ألوانها الحقيقية حتّى تأخذ شكلها المادي، ويتم له إخراجها على الوجه الدقيق، ولجوء كعب لهذه الألوان إنما هو ليقرب إلينا الموصوف، ويضعه في نفس القارئ موضع الرؤية الواضحة الجلية^(٢)

فنجده من خلال شعره يهتم اهتماماً شديداً بالتفاصيل الجزئية، والدقة في انتقاء الألفاظ المراد تصويرها، فعلى سبيل المثال يعقد مقارنة تصويرية بين المهاجرين وهم صحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وبين غيرهم فيميزهم

(١) محمود خليفة - عصام فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩٢.

(٢) محمد عبد القادر احمد، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، ط ٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠١م، ص

ويرفع من مكانتهم قائلاً^(١):

شَمَّ العَرَانِينَ، أَبطالَ، لُبوسِهِم مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ، فِي الهَيْجَا، سَرَابِيلُ
بِضٌّ سَوَابِعُ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حُلُقُ كَانَهَا حُلُقُ القَفْعَاءِ مَجْدُولُ القَفْعَاءِ
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَأَلَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا، وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا نِيلُوا
يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمَالِ الزُّهْرِ، يَعصِمُهُمْ ضَرْبٌ، إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ

فالشاعر هنا يميّز بين المهاجرين في مشيهم إلى القتال بثقة ووقار، وهيبة وثبات؛ كأهمّ جمال بيض تتجه نحو هدفها بخطى ثابتة، وثقة كبيرة، لا يعترها خوف ولا تردد ولا اضطراب، على عكس غيرهم، والتي صور ملامح غيرهم بالاضطراب والخوف والجبن والهزيمة، فكعب لَوْن صورة المهاجرين باللون الأبيض المشرق الذي ترتاح له النفس، وتسرب به العين، بينما صور غيرهم بصورة الظلام السوداء، التي ينفر منها الذوق لما تخفيه هذه الصورة من معاني الذل والجبن التي صورها بهم.

وهذا التصوير الدقيق والحرص على إيصال الصور بتفاصيلها؛ أمر ليس بغريب على شاعر عاش بين فترتين زاخرتين بالوصف والتصوير الشعري، فشعراء الجاهلية كانت الطبيعة أقوى مؤثرات شعرهم، والصحراء والبادية متمثلة في جبالها، ومروجها، وسهولها، نباتاتها، وحيواناتها، أي تصويراً للبيئة الجاهلية، وأهمّ ما كان يثير فضولهم فيها قبل دخول الدين الإسلامي، وتغير ما قد تغير من أمطهم الحياتية على جميع الأصعدة، وشعراء صدر الإسلام كانوا مولعين بتصوير الفتوحات والحروب، والتغني بوصف وتصوير المعارك والانتصارات الإسلامية، وميادين القتال والجيوش، فكل شعر كان عبارة عن صورة للبيئة التي ولد فيها مصوراً لظروفها، ووقائعها، وشعوبها، وشعر كعب بن زهير كان خليطاً فريداً بين كلا التصويرين، ممّا جعله يتفرد عن غيره ويتميز بفنه.

٢ - التصوير الفني في شعر كعب بن زهير:

التصوير الفني سمة من سمات شعراء الصنعة، يتخذون منه وسيلة تساعد على إخراج معانيهم وأفكارهم في صور حية مدركة، تحالط الوجدان، وتشخص المجسّدات، وتجسم الانفعالات لتحتل في خيال الإنسان مركزاً حسّاساً يقربها من شعوره ووجدانه، ومن أهمّ ألوان التصوير الفني في شعر كعب بن زهير ما يلي:

أ - التشبيه*

ومن أمثلة التشبيه في شعره - على سبيل المثال لا الحصر - تصويره لسعاد بصورة الغزال في صوتها غنة، وفي عينها

(١) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٧.

* التشبيه: هو في إيضاح الخطيب القزويني: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى؛ وفي العمدة لابن رشيق (التشبيه: صفة الشيء لما قاربه وشاكلة من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة كاملة لكان إياه.

اكتحال وفتور، ويشبه لمعان أسنانها كأنها سقيت بالخمر في قصيدته (بانت سعاد). فيقول^(١):

وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ ، إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضِ الطَّرْفِ ، مَكْحُولُ
تَجَلُّو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

أغن: صفة للغزال الذي في صوته غنة، وهو صوت محبوب يخرج من أقصى الأنف. العوارض: الضواحك من

الأسنان، الظلم: ماء الأسنان وبريقها، المنهل: المسقى مرة أولى، الراح: الخمر، المعلول: المسقى مرة بعد أخرى.^(٢)

أيضا تشبيهه للرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالسيف الهندي.

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

المهند: المنسوب إلى الهند، وهو أجود السيوف عند العرب.^(٣)، وله أيضاً في التشبيه قوله^(٤):

عَيْنًا كَمِرَّةَ الصَّنَاعِ تُدِيرُهَا بِأَنَامِلِ الْكَفَّيْنِ كُلِّ مُدَارِ

شبه عين الناقاة بعين امرأة حاذقة في عملها دائماً مرآتها مجلوة، فشبّه عين هذه الناقاة في حدتها وصفائها بمرآة هذه

المرأة.

ويبدو للمطلع على التشبيهات في شعره أنه لا يأتي بتشبيهاته على نسق واحد، إنما يلون في صورها لأغراض

بلاغية، وهو غالباً ما يحذف وجه الشبه؛ لكي يتيح للخيال الفرصة للسعي خلف شتى وجوه الشبه الممكنة.

ب- الاستعارة*

لقد صور الناقاة بأنها تقسم وتقدر ما للقسم من عظيم المسؤولية، وتعمل جاهدة من أجل البر بقسمها، أن

تلامس الأرض بقوائمها دون التريث من نقلها من مكان إلى آخر. وفي قوله^(٥):

مَارَلْتُ أَقْتَطِعُ الْبَيْدَاءَ مُدْرِعًا جُنَحَ الظَّلَامِ وَتَوْبُ اللَّيْلِ مَسْبُورُ

أسلوب الاستعارة المكنية، شبّه فيها تجنح الظلام بالدم، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو

مدرع على سبيل الاستعارة المكنية.

وإلى جانب التشبيه والاستعارة نجد عند كعب صورة أخرى من الصور البيانية، وهي:

(١) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٠-٦١.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٠-٦١.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٤) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٠.

* الاستعارة: وهي في إيضاح الخطيب القزويني: ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له؛ وفي كتاب التعريفات للجرجاني: الاستعارة ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه، مع طرح ذكر المشبه من البين، كقولك لقيت أسداً وأنت تعني الرجل الشجاع.

(٥) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩٠.

ج- الكناية:

وقد استطاع كعب بن زهير عن طريق كنايته أن ينفذ إلى صورته الحسية المادية الدقيقة، فهو يكتفي الإنسان بـابن أنثى، ويكتفي شدة الحر بتغطية السراب لقمم الجبال، ويكتفي عمّا يحمل عليه الميت (النعش) بألة حدباء؛ لأنّ غطاء النعش يصنع على هيئة محدودة، وذلك في قوله " (١) :

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةِ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

د - البديع :

نذكر من البديع المحسن اللفظي **الجناس***، والذي جاء في شعر كعب بن زهير غير متكلف، ليكسب شعره انسجاماً في النغم، ويجعل له وقعاً موسيقياً في الأسماع، على نحو ما نرى من جناس ناقص في برده عندما قال: **(ضخم مقلدها فعم مقيدها)**، فقد جناس الشاعر بين لفظي (مقلدها - مقيدها)، ووزع إيقاعاته بالتساوي بين ضخم مقلدها، وفعم مقيدها، وليس غريباً أن نجد كثيراً من مظاهر التأني في إخراج الصورة، ودقة الصنعة في التعبير خلال دراستنا لشعر كعب، فهو امتداد لمدرسة أبيه شاعر الحوليات. " (٢)

وهذا التلوين والإبحار والتنوع في فنون الشعر، وترصيع الأبيات بالزينة والزخارف والصناعة الدقيقة، دليل على قدرة كعب الشعرية، وقوة ملكته التي تجلّت منذ صغر شاعريته، ممّا جعله يأتي بالرصين الجيد من الشعر، وهذا الإيجاد جعله يحمل على عاتقه ما حمل أبوه قبله من رعاية الشعر، وتفريغ لتلقيحه، محاولاً منه تخليد ذكرى والده الشعرية، ومكماً لمسيرته بعد مماته، فيقول في ذلك " (٣) :

وَأَذْرَكْتُ مَا قَدْ قَالَ قَبْلِي لِدَهْرِهِ زُهَيْرٌ وَإِنْ يَهْلِكَ تُخَلِّدُ نَوَاطِقُهُ

فكعب هنا يقرّ بإدراكه لشعر أبيه زهير، ومن واجبه - وواجب أيّ ابنٍ - أن يخلد أثر والده برأ له، واعترافاً منه بالفضل، فأراد كعب أن يخلد هذا الذكر، ويبقي لهذا الإرث العظيم، وفي قوله ما يشير إلى أنّه تعهد بهذا، "ومن الثابت أنّ كعباً حفظ شعر والده، ورواه من بعده، ثمّ درج على نظم قصائد يقلد فيها أبيه لفظاً ومعناً، وصياغة، وفي شعره ما يشير

□ الكناية: في تعريفات الجرجاني: هو كلام استتر المراد منه بالاستعمال، وان كان معناه ظاهراً في اللّغة، سواء كان المراد به حقيقة أو مجاز.

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨٩.

• البديع: في إيضاح القزويني هو علم يُعرّف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الله ووضوح الدلالة.

* الجناس: في تعريفات الجرجاني التجنيس ضروب كثيرة منها المماثلة وهي أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى مثل (المغيرة للمغير) - فالأولى اسم رجل والثانية اسم فرس، منها أن تزيد الحروف وتنقص كما في مثالنا (مقيدها - مقلدها).

(٢) محمد عبد القادر احمد، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٩.

إلى أنه من أصحاب الشعر المحكك ، يقول " (١) :

فَمَنْ لِلْقَوَافِي شَأْنُهَا مَنْ يَحُوكُهَا إِذَا مَا تَوَى كَعْبٌ وَفَوَّزَ جِرْوُ
يَقُولُ فَلَا يَعْبَأُ بِشَيْءٍ يَقُولُهُ وَمَنْ قَاتِلَهَا مَنْ يُسِيءُ وَيَعْمَلُ
يُقَوِّمُهَا حَتَّى تَقُومَ مُتَوْنِهَا فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلَّ مَا يَتَمَثَّلُ
كَفَيْتِكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ شَاعِرًا تَنْخُلُ مِنْهَا مِثْلَ مَا أَتَنْخُلُ

فهو يقول القصائد التي تطول متونها؛ ليبقى مقصراً عن بلوغ مستواها أي شاعر يحاول الإلحاق به، وهو يزعم أن

ليس هناك شاعر ينخل شعره مثلماً ينخله. " (٢)

أيضاً من أهم خصائص شعر كعب بن زهير الفنية الجمالية التنقل بسلاسة بين الموضوعات الشعرية في القصيدة منذ صغر سنة، ونذكر مثلاً على ذلك قصة كعب بن زهير مع والده " عندما ترك زهير الإبل ثم بدأ في نعت النعام، وكان زهير يأخذ في غير جهته ويعتسف عمداً " (٣)، أي يأخذ طريقاً آخر، ولكن كعباً كان يرتجز مع والده بكل سلاسة، ويتنقل معه من موضوع إلى آخر بكل يسر.

وتنقله أيضاً بسلاسة بين المواضيع المختلفة في قصيدة البردة، وتحوله من الغزل في مقدمة القصيدة إلى الوصف في وصفه للناقة، ومن ثم تحوله إلى المدح في مدحه للرسول - صلى الله عليه وسلم - من ثم الفخر بالمهاجرين، بكل سلاسة وسهولة.

كما أنّ من خصائص شعر كعب بن زهير ومميزاته التمسك بالبنية الفنية للقصيدة، وأصالتها شأنه في ذلك شأن الشعراء الجاهلين، فكانت القصيدة تبدأ بالمقدمة الغزلية كما ينتهج كعب بن زهير في شعره، ففي قصيدة البردة يبدأ بقوله " (٤) :

بَأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجَزَّ مَكْبُولٌ

وله قصيدة أخرى ابتدأها بقوله " (٥) :

أَبْتُ ذِكْرَةَ مِنْ حُبِّ لَيْلَى تَعُوذُنِي عِيَادَ أَخِي الْحُمَى إِذَا قُلْتُ أَفْصَرَا

(١) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) محمد عبد القادر احمد، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٣) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، مقدمة الكتاب، ص - ص.

(٤) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨٤.

(٥) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٣.

وقصيدته التي بدأها بقوله"^(١):

أَلَا أَسْمَاءُ صَرَّمَتِ الْجَبَالَ فَأَصْبَحَ غَادِيًا عَزَمَ ارْتِحَالًا

وربما يرجع تمسك الشاعر بالبنية الفنيّة للقصيدّة تمسكه على غرار العديد من شعراء جيله" ارتباطهم بالمثالية الجاهلية؛ لأنّ أكثر الشعراء الفحول كان نضوجهم الفني والعقلي في الجاهلية. فكعب بن زهير أدرك الإسلام وهو كبير، ممّا جعل النقاد يصنفوه مع الشعراء المخضرمين في عداد الجاهلين؛ لأنّهم بهم أشبهه، وبخصائصهم أُلصق."^(٢)

ثانيا: مميزات وخصائص شعر كعب بن زهير الفكرية:

إنه من المعروف أنّ حياة العرب في الجاهلية لم تساعدهم على تحقيق تقدم فكري من خلال الكتب والعلم، والعلوم والعمل المنظم، ولكن هذا لا يمنع من اكتسابهم لحصيلة فكرية أكثر من جيدة من خلال الطبيعة المفتوحة بين أيديهم، وتجارب الحياة العملية، وما يهديهم إليه العقل الفطري، وملكة الإحساس والتوقع والتصور، وهذه هي بعض أهمّ وسائل إثراء الحياة الفكرية في الجاهلية، وقبل بزوغ الدّين الجديد الدّين الإسلامي المبني على العلم والتصورات العلمية والحقائق الكونية الثابتة، وما احتواه من معرفة وثقافة، عرف العرب العديد من النجوم ومواقعها، والأنواء وأوقاته، واهتدوا إلى نوع من الطب لما اقتضت له الحاجة، وتوارثوه جيلاً بعد جيل، إلى جانب خبرتهم في علم الإنسان والفراسة، ودرايتهم بالقيافة والكهانة، ومن أهمّ ما يدل على قدرتهم الفكرية، أنّه كانت لديهم نظرات في الحياة، وفلسفات خاصة بهم، فليس بالغريب على العرب الذكاء والفراسة وسرعة البديهة وحضورها، وقوة الحفظ وفصاحة القول، لذلك كانت أبرز مظاهر حياتهم الفكرية لغتهم وشعرهم، وخطبهم ووصاياهم وأمثالهم وحكمهم؛ وتعرض الباحثة ذلك فيما يلي:

أ - الحكمة في شعره:

والحكمة التي كانت من أهمّ ما يُميز به العربي، ليست أمراً طارئاً على شعر كعب بن زهير، أو مستبعدة من أنّ تصدر من مثله، فهو ابن زهير ابن أبي سلمى، الشاعر الذي زحرت معلقته بكثير من المواعظ والحكم، وهو الذي مدح شعره عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في رواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال، قال لي عمر: أنشدني لأشعر شعرائكم. قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير."^(٣)، وهو الذي قال فيه أهل النظر: كان زهيراً أحصفتهم شعراً (أي أحكمهم وأجزلهم شعراً)، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير المعنى في قليل المنطق."^(٤)، وثناء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على زهير بالفضيلة في شعره، وهي لا تخرج عن سلامة القول، وشرف المعنى من جهة ولا تخرج عن

(١) المرجع السابق، ص ٧٨.

(٢) يحيى الجبوري، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مرجع سابق، ص ٣٤٩.

(٣) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج ١، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٤.

الثبات والاستمرار الناشئ عن صلاحيتها التي لا تضعف ولا تتغير من جهة أخرى." (١)، "كما أنّ مذهب المدرسة التي ينتمي إليها زهير بن أبي سلمى اشتهر بالرواية والتنقيح وإطالة النظر، والحكمة نتاج التأني والتأمل والصبر، فليس غريباً أن يشتمل ديوان كعب على حكم كثيرة مثبتة هنا وهناك في ثناياه، وأكثرها يمثل مقطوعات صغيرة مستقلة يبدو عليها أثر الإسلام واضحاً، إذ يستمد كعب من تعاليم دينه الجديد كثيراً من الآراء، ويستمد منها ما يخفف عن نفسه غي الدهر وصروفه التي أوجعت قلبه، فإذا بشعره الحكمي يتحوّل إلى نغفات خالدة ينفثها كلّ من يكابد من دهره ما كابد كعب، فهي مستلة الذات مشبعة بتعاليم المدرسة الإسلاميّة التي هي صوب لا ينقطع، ونبع لا يصمت عن الدفقان" (٢)، يقول كعب" (٣):

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لِأَعْجَبِي سَعِي الْفَتَى وَهُوَ مَخْبُوءٌ لَهُ الْقَدْرُ
يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا وَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُنْتَشِرٌ
وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُوداً لَهُ أَمَلٌ لَأَ تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَنْتَرُ

فالتعاليم الإسلاميّة في هذا الشعر واضحة كلّ الوضوح، وهي تشعرنا كيف أنّ كعباً أصبح ضليعاً في صنع الحكمة في شعره، وهذا إنّما نتج عن مدى تغلغل الإسلام في روحه ونفسه، والذي استطاع أن يقضي فيها على نزعاتها الجاهلية، فإيمانه بالله تعالى، وعطاؤه جدّد في نفسه الأمل، وأيقن أنّ فرج الله قريب منه. ويزداد الإيمان عمقاً في قلب كعب فيقول" (٤):

أَعْلَمُ أَنَّ مَتَى مَا يَأْتِينِي قَدْرِي فَلَيْسَ يَحْبِسُهُ شُحٌّ وَلَا شَفَقٌ
بَيْنَا الْفَتَى مُعْجَبٌ بِالْعَيْشِ مُغْبِطٌ إِذَا الْفَتَى لِلْمَنَايَا مُسْكِمٌ غَلَقُ
وَالْمَرْءُ وَالْمَالُ يَنْمَى ثُمَّ يُذْهِبُهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَيُفْنِيهِ فَيَنْسَحِقُ
فَلَا تَخَافِي عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَانْتَظِرِي فَضْلَ الَّذِي بِالْغَنَى عِنْدَهُ نَثَقُ
إِنْ يَفْنَا مَا عِنْدَنَا فَاللَّهُ يَرْزُقْنَا وَمَنْ سِوَانَا وَلَسْنَا نَحْنُ نَرْتَزِقُ

ويتمثل كعب قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]،

(١) عبد الله عبد الكريم العبادي، شاعرية زهير بن أبي سلمى في ميزان النقد، مرجع سابق، ص ١١١.

(٢) محمود خليفة - عصام فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٣) يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٦.

فيقول^(١):

فأقسمتُ بالرحمنِ لا شيءَ غيرهُ يمينُ امرئٍ برٍّ ولا أتحلُّ
لاستشعرنُ أعلىَ دريسي مُسلماً لوجهِ الذي يُحيي الأنامَ ويقتلُ
هو الحافظُ الوسنانَ بالليلِ ميتاً على أنه حيٌّ من النومِ مُثقلُ
من الأسودِ الساري وإن كانَ ثائراً على حدِّ ناييه السّمامِ المثلُّ

ويدعو كعب إلى الخلق القويم مقتبساً ذلك من قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]

فيقول^(٢):

إن كنتَ لا ترهبُ دمي لِمَا تعرفُ من صفحي عن الجاهلِ
فاخشُ سُكوتي إذ أنا مُنصتٌ فيك لمسموعِ خنا القائلِ
فالسامعُ الدائمُ شريكٌ له ومطعمُ المأكولِ كالأكلِ
مقالةُ السوءِ إلى أهلها أسرُ من مُنحدرِ سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّه بالحقِ والباطلِ
ولا تهجُ إن كنتَ ذا إربةٍ حربِ أخي التجربة العاقلِ
فإن ذا العقلِ إذا هجتهُ هجتَ به ذا خيلِ خابِلِ

فكعب - كما نرى - ينهى المسيء الذي تناول الناس بلسانه عن فعله، لأن ذلك في كثير من الأحيان يرتد عليه هجاء مرأ ومقذعاً، فبناء النفوس وإصلاحها أمرٌ يتطلب مجهود وصبر، بينما الإفساد في الأرض سرعان ما ينتشر انتشار النار في الهشيم.

ب - الخطاب التربوي في شعره:

إنَّ التَّربيةَ هي الأسلوب الصحيح في تقويم الفرد، ولقد حرص الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على تربية الصحابة والأجيال المسلمة، فتمم الأخلاق، وزكى النفوس، وهذب الطباع، وهي نعم عظيمة تستحق ذكر الله عليه وشكره، قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ* فَادْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾ [البقرة: ١٥١-١٥٢]، ويتمثل الشعر المهادف والأدب القويم في كونه ذا قيمة تربوية وذا وزن وتأثير في مجال التربية الإسلامية، ومن المهم جداً أن

(١) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٢) محمود خليفة - عصام فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩٤ - ١٩٥.

يجمع هذا الشعر ما بين الشكل الفني والمضمون الذي يحتمل قيم وقضايا إنسانية، فلا ينشغل الشاعر وينحاز بالشكل الفني للقصيدة، وما يتضمنها من صور وأخيلة، وإيقاع وتشكيل جمالي، ويغفل عن الدلالات المعنوية والقيم الإنسانية، والتي هي من أهم وظائف الأدب وأعظم أدواره، فلا بد أن يحتوي الشعر على خطاب تربوي يشكل من خلاله الشاعر منظومة تربوية متكاملة، يخاطب من خلالها هذا المتلقي، ويترك بواسطتها تأثيراً ودرساً تربوياً، وشعر كعب بن زهير على وجه الخصوص، وما يتضمنه من خطاب تربوي إلى مخاطبة الوجدان، وتوجيه السلوك، وضبط علاقات الفرد برّبه أولاً، ثم بأفراد مجتمعه، والتعبير عن هويته الفكرية.

ولقد عرف الخطاب التربوي بأنه: "مجموعة من القيم والمبادئ البناءة، التي تخاطب العقول فتقنعها، والقلوب والعواطف فتثيرها، لأنه خطاب موجه للإنسان المكون الأول للأسرة، والعنصر الرئيس للمجتمع والدولة، والإنسان ليس عقلاً مجرداً، إنه عقلٌ وقلب معاً، عقل يدرك أهمية القيم التربوية، ودورها في بناء الأفراد وتطوير المجتمعات، وقلب يشعر بقوة تأثيرها في الوجدان وانعكاسها على الأفعال."^(١)

فالشعر الذي احتوى على حصيلة من القيم الأخلاقية تهدف إلى تهذيب النفوس، وتربيتها على الخلق الفاضل، خلق القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، مع تنمية القيم النبيلة التي حث عليها الإسلام، وتخلق بها الصحابة الكرام، اعتبر بذلك خطاباً تربوياً له أبعاده الهادفة والمؤثرة، وإبعاد الخطاب التربوي في شعر كعب بن زهير تنبع من القيم الإسلامية، تنوعت وتعددت بين الأبعاد الإيمانية، والأبعاد الأخلاقية، والوجدانية، والاجتماعية، والثقافية، دون أن يفقدها ذلك التنوع وحدتها وتلاحمها، أو يبعدها عن الإطار العام للرؤية الشعرية الخاصة به، وسيسلط الضوء على الأبعاد التربوية لشعر كعب بن زهير من خلال استنباط القيم الإسلامية من شعره، وذلك في الفصل السادس من هذه الدراسة.

ثالثاً: أهمّ موضوعات كعب بن زهير الشعرية:

سوف نتطرق الباحثة في هذا المبحث إلى أهمّ موضوعات شعر كعب بن زهير من خلال طرحها لنموذج شعري من أقوى النماذج الشعرية لهذا الشاعر، وهي قصيدة من عيون شعر كعب بن زهير، والتي مدح فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهي قصيدة البردة المشهورة بمطلعها (بانت سعاد)، وستحاول الباحثة من خلالها تحليل القصيدة، واستخلاص أهمّ الأبيات التي تخدم هذا الجانب من البحث، ألا وهو الوصول إلى أهمّ موضوعات كعب بن زهير الشعرية، والتطرق إلى نماذج أخرى من شعره، لاستخلاص بعض الموضوعات الأخرى، والتي لم تطرق البردة لذكرها مثل الفخر والحماسة و الرثاء.

وتعتبر قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- من طلائع الشعر الإسلامي، ومن طلائع ما حفظته الذاكرة الأدبية في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وقبل تناول القصيدة بالتحليل والعرض

(١) محمد مصطفى كلاب، أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف، فلسطين، الجامعة الإسلامية بغزة -كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ص ٦٨.

للوصول إلى أهمّ موضوعات كعب بن زهير الشعرية، سوف يتمّ عرض القصيدة بين يدي الحديث، وتقسيمها إلى مقاطع حسب موضوعاتها.

١ - الغزل:

لقد ابتداء الشاعر قصيدته بمقدمة غزلية، وهذا من أهمّ ما يميز الشعر الجاهلي، وبدايات الشعر الإسلامي، فالنهج الجاهلي هو الشائع في أساليب الشعراء، وقصيدة البردة من القصائد المهمة في الاعتذار للرسول ومدحها، نجدها جاهلية حتى في ذكر الرسول ومدحها - عليه الصلاة والسلام -، وهذا يعني أنّه لم يحدث تطور وأسع في القصيدة العربية على هدي الإسلام، وهذا أمر طبيعي لأيّ انتقال حديث، فالظواهر الجديدة في الفن لا تستقر في النفوس والأذهان إلاّ بعد فترة. ^(١)، فقد بدأ الشاعر قصيدته بالغزل فقال ^(٢):

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُوءٌ مُتَيِّمٌ عَلَى إِثْرَهَا، لَمْ يَجْزِ مَكْبُوءٌ
وَمَا سَعَادُ، غَدَاةُ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ، مَكْحُوءٌ
هَيْفَاءُ مُقْبِلَةٌ، عَجْزَاءُ مُدْبِرَةٌ لَا يُشْتَكِي قِصْرَ مِنْهَا وَلَا طُوءٌ
تَجَلُّو عَوَارِضَ ذِي ظُلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُوءٌ
شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ صَافٍ بِأَطْحَ، أَضْحَى، وَهُوَ مَشْمُوءٌ

فالشاعر هنا يلج في التغزل بسعاد، ويشبهها بالظبي ويشبه ريقها بالخمير.

٢ - الوصف:

لقد احتوت أبيات قصيدة كعب بن زهير على العديد من الأوصاف والتصوير، ولعلّ أبرز ذلك الوصف كان وصف الناقة، والتي قام بمزجها مع استرساله في الحديث عن سعاد، ووصفها وعبته على بعدها وفراقها، فراح يبلغ أنّها بعدت عنه، ولن يستطاع الوصول إليها، ولن يبلغها إلاّ عن طريق (العتاق)، وهن النوق الكرام الأصول (النجيبات) السريعات السهلة اليدين في السير، فراح يقول في وصف الناقة ما يلي ^(٣):

أَمْسَتْ سَعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَّاسِيلُ
وَلَنْ يَبْلُغَهَا إِلَّا غَدَاةُ لَهَا عَلَى الْأَيْنِ إِزْقَالٌ وَتَبْعُلُ
مِنْ كُلِّ نَصَاخَةِ الدَّفْرَى إِذَا عَرَفَتْ غُرُضَتَهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُوُلُ

(١) يحيى الجبوري، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

(٢) على فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٠-٦١.

(٣) المرجع سابق، ص ٦٢ - ٦٣.

تَرْمِي الْغُيُوبَ بَعَيْنِي مُفْرِدٍ لَهْقِي إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحَزَائِرُ وَالْمِيلُ
 ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعَمَ مُقَيَّدُهَا فِي خَلْقِهَا عَنِ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ
 غَلْبَاءُ وَجَنَاءُ عَلَّكُم مَّدَكَّرَةٌ فِي دَفِّهَا سَعَةٌ قُدَّامَهَا مِيلُ
 وَجَلْدُهَا مِنْ أُطُومٍ لَا يُؤَيِّسُهُ طَلْحٌ بِضَاحِيَةِ الْمُتَسِينِ مَهْرُؤُ

وقال أبو عبيدة: أحسن ما قيل في وصف الدرع قول كعب^(١):

وَبِيضٌ مِنَ النَّسَجِ الْقَدِيمِ كَأَنَّهَا نَهَاءٌ بِقَاعٍ مَاؤُهَا مُتْرَابِعٌ
 تُصَفِّفُهَا هَوَجُ الرِّيحِ إِذَا صَفَتْ وَتَعْقُبُهَا الْأَمْطَارُ فَالْمَاءُ رَاجِعٌ

٣ - الاعتذار:

إنَّ الشاعر كعب بن زهير نظم هذه القصيدة، وغايته من خلالها الاعتذار للرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ،
 فكانت من أعظم القصائد، وأخلدها في التاريخ، وأصبح ذكرها مقترنا بالاعتذار، وطلب العفو من نبي الأمة، ونرى الشاعر
 يبدأ أبياته التالية بهذا الغرض فيقول^(٢):

وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ أَمَلُهُ لَا أَلْهَيْتَكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
 فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَالِكُمْ فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
 كُلُّ ابْنِ أُنْتَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءٌ مَحْمُولُ
 أَنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
 وَقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ مُعْتَذِرًا وَالْعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَقْبُولُ
 مَهَلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
 لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أُذْنِبْ وَقَدْ كَثُرَتْ فِي الْأَقْوَابِلُ

٤ - المدح:

لم يخرج كعب في مدحه عن منهج القصيدة الجاهلية في بناء قصيدته، إلا أنه لم يُعَرِّفْ عنه أنه كان ممن تكسبوا
 بشعرهم^(٣)، ومن أشهر أبياته في مدح الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومدحه لصحبه - رضوان الله عليهم -، وله
 قصائد أخرى مدح فيها الأنصار، والإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -.

(١) المرجع السابق، ص ٧.

(٢) المرجع سابق، ص ٦٥.

(٣) محمود خليفة - عصام فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩٩.

أ - مدح الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويقول الشاعر في^(١):

حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي لَا أَنْارِعُهُ فِي كَفِّ ذِي نَعَمَاتٍ قَبِيلُهُ الْقَبِيلُ
لِذَاكَ أَهَيْبٌ عِنْدِي إِذْ أَكَلَّمُهُ وَقِيلَ: إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ
مِنْ خَادِرٍ مِنْ لُيُوثِ الْأُسْدِ مَسْكَنُهُ مِنْ بَطْنِ عَثْرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلُ
يَعْدُو فَيَلْحِمُ صِرْعَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مَنِ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خِرَادِيلُ
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْرِكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهَوْمَ غُلُولِ
مِنْهُ تَظَلُّ سَبَاغُ الْجَوْضَامِرَةِ وَلَا تَمَشَى بَوَادِيهِ الْأَرَاغِيلُ
وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ مُطَّرَحَ الْبَرِّ وَالْدَّرَسَانَ مَاكُولُ وَالْدَّرَسَانَ
إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهْنَدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْئُولُ

والمتتبع لقصيدة (بانة سعاد) يجد أنها تضم وحدة نفسية وشعورية واحدة؛ من خلال براعة انتقال الشاعر بين مواضيع القصيدة المختلفة، وتحوله من غرض إلى غرض بكل سلاسة ويسر دون الإخلال بالمعنى، أو حتى دون انتباه القارئ لكونه خرج من غرض إلى آخر، فهو ينتقل من الغزل إلى الوصف إلى المدح مع ترابط الأبيات ترابطاً شديداً، وهذا يؤكد ما سبق ذكره من دقته في التصوير، وانتقاء ألفاظه بشكل محكم، يؤكد أنّ كعب بن زهير من الشعراء الفحول، والذين يمتلكون قدرة أدبية وشعرية كبيرة، وإن استرساله في الوصف والتعبير بمختلف الألفاظ، وتنويعه بين الغريب منها وبين السهل الميسر فيه دلالة واضحة على كونه يمتلك مخزوناً لغوياً، ومعجماً لفظياً ليس بالسهل، وربما يعود ذلك أيضاً إلى التقاء عصرين كبيرين في شخصيته، وفكره كالعصر الجاهلي والإسلامي. "وقد أجمع الناس على تقديم قول كعب بن زهير بمدح الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في قوله"^(٢):

تَحْمَلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبَرْدِ كَالْبَدْرِ جَلِي لَيْلَةَ الظُّلْمِ
وَفِي عِطَافِيهِ أَوْ أَثْنَاءِ رَيْطِنِيهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمِ

ب - في مدح الصحب الكريم (المهاجرين) - رضوان الله عليهم -"^(٣):

فِي فَتِيَّةٍ مِنْ فُرَيْشٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُؤَلُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِلُ

(١) على فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٦ - ٦٧.

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٣) على فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٧.

شُمُّ العَرَانِينَ أَبْطَالَ لُبُوسُهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ
بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا
لَا يَقَعُّ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَن حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

كانت هذه أهم الموضوعات التي تضمنتها قصيدة البردة، وهي: الغزل، والوصف، والاعتذار، والمدح، إلى غير ذلك من الموضوعات الشعرية التي تطرق إليها الشاعر في أبيات ومناسبات أخرى متعددة، والتي من أهمها:

٥ - الفخر والحماسة:

وتعد من الأغراض الشائعة في العصر الجاهلي، حيث كان الشاعر يتغنى بآثار قبيلته ويفخر بإنجازاتها، ولكعب العديد من الأبيات التي يذكر فيها صفاته التي يعتد بها، ويأتي على ذكر قومه وشدتهم وبأسهم وأمجادهم وانتصاراتهم وعزتهم، والمتتبع لأبياته يجد أن الفخر متأصل في نفسه، وأكثر شعره في الفخر كان قبل دخول الدين الإسلامي الجديد، وذلك لأن الإسلام أثر تأثيراً شديداً في أغراضه الشعرية - كما أسلفنا - ، وهذا الدين ينمي التواضع وخفض الجناح والقول اللين، وينهى عن التفاخر بالأنساب والأحساب. ومن أمثلة أبياته الشعرية في الفخر قوله^(١):

هَلَا سَأَلْتِ وَأَنْتِ غَيْرُ عِيْبَةٍ وَشِفَاءُ ذِي الْعِيِّ السُّؤَالُ عَنِ الْعَمَى
عَنْ مَشْهَدِي بِيْعَاثَ إِذْ دَلَفْتُ لَهُ غَسَّانُ بِالْبِيضِ الْقَوَاطِعِ وَالْقَنَا
إِنِّي أَمْرٌ أَقْنِي الْحِيَاءَ وَشِيْمَتِي كَرْمُ الطَّبِيْعَةِ وَالتَّجْنِبِ لِلْحَنَا
مِنْ مَعْشَرٍ فِيهِمْ فُرُومٌ سَادَةٌ وَلِيُوْتُ غَابٍ حِينَ تَضَطْرْمُ الْوَعَى

والشاعر هنا إنما يفخر بنفسه وبقبيلته، وبأخلاقه وبمحافظة على الحياء و المروءة، وبالتزامه بشيمه، فهو من سلالة قوم شرفاء، وهم سادة الأقبام، وهم أشبه بالليوث عندما تضطرم الحرب، وتشتد الحن. وهذه قصيدة أخرى يفخر فيها بنفسه وأبيه، يقول فيها^(٢):

أَنَا ابْنُ الَّذِي قَدْ عَاشَ تِسْعِينَ حِجَّةً فَلَمْ يَخْرَ يَوْمًا فِي مَعَدٍّ وَلَمْ يُلْمِ
وَأَكْرَمُهُ الْأَكْفَاءُ فِي كُلِّ مَعْشَرٍ كِرَامٍ فَإِنْ كَذَبْتَنِي فَاسْأَلِ الْأُمَمِ
أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يَخْزِنِي فِي حَيَاتِهِ وَلَكَّ آخِرُهُ حَتَّى تَغِيْبَ فِي الرَّجْمِ

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨٣.

فَأَعْطَى حَتَّى مَاتَ مَالاً وَهَمَةً وَوَرَّثَنِي إِذْ وَدَعَ الْمَجْدُ وَالكَرَمُ

وهذه قصيدة مفاخرها فيها يوم فتح مكة، ورجوع المسلمين إليها، وفي غزوة حنين والطائف^(١):

نَفَى أَهْلُ الْخَبَلِقِ يَوْمَ وَجَّ مُزِينَةٌ جَهْرَةً وَبَنُو خِفَافِ
صَرِينَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحَ النَّبِيُّ الْخَيْرَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ
صَبِحْنَاهُمْ بِالْفِ مِنْ سَلِيمِ وَأَلْفٍ مِنْ بَنِي عَثْمَانَ وَافِ
وَرَحْنَا غَانِمِينَ بِمَا أَرَدْنَا وَرَاخُوا نَادِمِينَ عَلَى الْخِلَافِ
وَأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْهَا مَوَاتِقًا عَلَى حَسَنِ التَّصَافِي

٦ - الرثاء:

ليس بين المديح والرثاء الفرق الكبير "إذ إنه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر من اللفظ ما يدل على أنه هالك، مثل: كان وتولى."^(٢)

ويعد الرثاء من أصدق الأغراض الشعرية، لأنه يصدر عن قلب نابض بالحسرة والأسى والحزن، وعن إحساس عميق بالفقد والزوال.^(٣)، ولذلك قيل: "سبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة؛ مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام"^(٤).

وهناك ضرب من ضروب الرثاء يتجه إلى التفكير في رحلة الحياة، ومصير الناس، وحثمية الأقدار، ونزول البلاء، وضعف الإنسان، أمام نوازل الدهر، ومصائب الزمان.^(٥)، في مثل ذلك يرثي كعب بن زهير الدار والمسكن والأيام الجميلة التي انقضت وولت، فيقول^(٦):

أَمِنْ نَوَارٍ عَرَفْتَ الْمَنْزِلَ الْخَلْقًا إِذْ لَا تُفَارِقُ بَطْنَ الْجَوِّ فَالْبُرْقَا
وَقَفْتُ فِيهَا قَلِيلًا رِيثَ أَسْأَلَهَا فأنهَلْتُ دَمْعِي عَلَى الْخَدَّيْنِ مُنْسَحِقًا
كَادَتْ تُبَيِّنُ وَحِيًّا بَعْضَ حَاجَتِنَا لَوْ أَنَّ مَنَزَلَ حَيٍّ دَارِسًا نَطَقًا

ويصف الشاعر من خلال هذه الأبيات مدى حزنه وأساه على ما جرى بالديار التي سكن فيما قبل، ويرثي

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ط ٣، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، (د:ن) ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ص ١٠٠.

(٣) هشام صالح مناع، الأدب الجاهلي، عجمان، دار الفكر العربي، ٢٠٠٥ م، ص ٢٢٥.

(٤) أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في معاسن الشعر، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٥) يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ط ٨، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٣١٤.

(٦) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٧.

المساكن التي باتت مهجورة، وعفت آثارها، يقول وقف يتأملها قليلاً فاحلّ دمه على خديه، وكثر انصبابه من وجد ما يشعر على فقدانها. وله أيضاً في رثاء الدار قوله^(١):

أَمِنْ دَمْنَةٍ فَفَرَّ تَعَاوَرَهَا الْبَلَى لِعَيْنِكَ أَسْرَابٌ تَفِيضُ غُرُوبَهَا
تَعَاوَرَهَا طَوْلُ الْبَلَى بَعْدَ جَدَّةٍ وَحَرَّتْ بِأَذْيَالٍ عَلَيْهَا جُنُوبَهَا
فَلَمْ يَبْقَى فِيهَا غَيْرُ أَسٍّ مُدْعَدٍ وَلَا مِنْ أَثَافِي الدَّارِ إِلَّا صَلْبُهَا

إلى جانب أنّ ممّا عرف عن الرثاء هو البكاء على الموتى ورحيلهم، وفي مثل ذلك يبكي كعب بن زهير بياض شعره، وزوال شبابه، "وبياض الشعر الأسود هو موته، وسواده حياته."^(٢)، فيقول في ذلك راثياً الشباب والقوة^(٣):

بَانَ الشَّبَابُ وَأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَزْفَا وَلَا أَرَى لِشَبَابٍ ذَاهِبٍ خَلْفًا
عَادَ السَّوَادُ بِيَاضًا فِي مَفَارِقِهِ لَا مَرْحَبًا هَائِدًا اللَّوْنِ الَّذِي رَدِفًا
فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى مِنْهُ مُبَيَّنَةً تَكَادُ تُسْقِطُ مِنِّي مِنْهُ أَسْفَا
لَيْتَ الشَّبَابَ حَلِيفُ لَا يُرَايِلُنَا بَلْ لَيْتَهُ ارْتَدَّ مِنْهُ بَعْضٌ مَا سَلَفَا

فأراد لا مرحباً بهذا الشيب، والمنة: هي القوة، يقال: قد ذهبت منة فلان، أي قوته، والأسف: أي الحزين، وسلف: تعني كلّ قديم قد سلف.^(٤)

كانت هذه أبرز الخصائص الفنيّة والفكريّة والموضوعات الشعريّة لشعر كعب بن زهير، والملاحظ من خلالها أن شعر صدر الإسلام قد واكب الدّين الحنيف، ونهج نهمجاً جديداً في مضامينه وأسلوبه، فكان انطباعاً لمبادئ الإسلام وقيمه، وترديداً لألفاظه ودلالاته، وكانت أكثر وظائف الشعر فاعلية هي الوظيفة الدّينية والاجتماعية، فكان الشاعر مسخراً نفسه وموهبته لخدمة الإسلام، ممّا زاد من رقي الشعراء المسلمين، وكان له دور بالغ الأهمية في انتشاره وتوسعه.

تناول الفصل الحالي شعر كعب بن زهير، الذي تضمّن نسب الشاعر كعب بن زهير ونشأته، ومكانته الشعريّة، ومميزات وخصائص شعره الفنيّة والجمالية والفكريّة، وأخيراً أهمّ الموضوعات الشعريّة التي تناولها في شعره دون غيرها. وسوف يتمّ في الفصل التالي الدّراسة التحليلية لشعر كعب بن زهير، والتعرّف على الخطوات الإجرائية لبناء معايير القيم الإسلاميّة المتضمنة في شعره.

(١) المرجع السابق، ص ١٢.

(٢) عثمان بن عمرو بن بحر، *البيخلاء للجاحظ*، تحقيق فؤاد بركات، القاهرة، مطبعة المدني، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٧٧.

(٣) أبو سعيد بن الحسن السكري، *ديوان كعب بن زهير*، مرجع سابق، ص ٧٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٧٠.

الفصل الخامس

(إجراءات تحليل المحتوى)

المبحث الأول: مجتمع الدراسة.

المبحث الثاني: وحدة التحليل.

المبحث الثالث: بناء أداة التحليل.

المبحث الرابع: صدق أداة التحليل.

المبحث الخامس: ثبات أداة التحليل.

المبحث السادس: قواعد التحليل.

المبحث السابع: فئات التحليل.

الفصل الخامس

(دراسة تحليل المحتوى)

سوف يتناول هذا الفصل - بإذن الله تعالى - الخطوات الإجرائية لبناء معايير القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، وتستعرض الباحثة من خلاله مجتمع الدراسة والمنهج المستخدم لتحقيق هدف الدراسة، والإجراءات التي تم استخدامها لبناء أداة التحليل والتحقق من صدق تلك الأداة وثباتها، وأخيراً تستعرض الباحثة فئات التحليل وصياغة معايير التصنيف المترتبة على الإجراءات السابقة، وسوف يتم ذلك وفق المباحث الرئيسة التالية:

المبحث الأول- مجتمع الدراسة:

يعد مجتمع الدراسة في عملية تحليل المحتوى من أهم ما يعترض الباحث، وهذا المجتمع إما أن يكون كبيراً جداً، بحيث لا يستطيع الباحث تحليل جميع عناصره؛ فيلجأ إلى عينة مختارة، وقد يكون مجتمع الدراسة متوسط الحجم يتيح إمكانية إجراء التحليل عليه " والوضع الأمثل في دراسات تحليل المحتوى، تطبيق أداتها على جميع مفردات المجتمع الأصلي الذي تتعلق به هذه الدراسة."^(١)

وتحقيقاً لأهداف الدراسة، فقد تم اختيار أسلوب تحليل المحتوى، والذي يُعرف بأنه: " مجموعة الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية لهذه المعاني من خلال البحث الكمي، الموضوعي، المنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى."^(٢)

"وأسلوب تحليل المحتوى يعتمد في الغالب على الوصف الكمي، إذ يرصد الباحث مفهوماً، أو جملة، ويحصى عدد تكرارها، ويعد الوصف الكمي ضرورياً عندما تتطلب الدراسة درجة عالية من الدقة والوضوح، ويهتم أسلوب تحليل المحتوى بالشكل والمضمون، ويقصد بالشكل الطريقة التي كتب بها المحتوى، وطريقة إخراجها، أما المضمون فيعني المفاهيم والقيم والاتجاهات المتضمنة فيه."^(٣) وهذا هو لبّ الدراسة الحالية.

أهم خصائص منهج تحليل المحتوى وخطواته:

يتفرد تحليل المحتوى بالعديد من الخصائص، والتي من أهمها ما يلي:

١ - تحليل المحتوى موضوعي **objective**: أي: أن جميع خطوات التحليل تتم في ضوء إجراءات ذات صياغة واضحة موضوعية، يستطيع أكثر من فرد الحصول على نفس النتائج عند تحليل نفس الوثيقة، وحتى تتحقق الموضوعية

(١) رشدي طعيمة، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه، أسسه، استخداماته، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٣٠.

(٢) محمد عبد الرؤف عطية، تحليل المضمون بين النظرية والتطبيق، مؤسسة طيبة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٣.

(٣) عبد الرحمن صالح عبدالله، البحث التربوي وكتابه الرسائل الجامعية، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٣٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ص ١٧.

يضع الباحث فئاتاً واضحة، يتمّ التحليل في ضوءها؛ إلا أنّ التحليل يتمّ بمنأى عن تحيزات المحلل.^(١)

٢ - تحليل المحتوى منظم **systematic** : ويعني التنظيم إجراء التحليل في ضوء خطة واضحة تتفق وقواعد البحث العلمي.^(٢)

- تحليل المحتوى علمي **scientifiz**: أسلوب تحليل المحتوى أحد أساليب البحث العلمي التي تتخذ منظورين: المنظور الكمي: الذي يركز على المضمون ذاته دون ارتباطه بالمتغيرات أو الظواهر الأخرى. والمنظور الكيفي: وهو الذي ينظر للمضمون باعتباره انعكاساً لظواهر المحور، وكثيراً ما يتبنى هذا المنظور عند تحليل موضوعات متشابهة ومتداخلة.^(٣)

ومن المهم التطرق إلى خطوات تحليل المضمون ولو بشيء من الإيجاز، فنجد أنّ خطوات تحليل المضمون تحدد فيما يلي^(٤):

- ١ - تحديد المفاهيم والفروض العلمية.
- ٢ - اختيار العينة.
- ٣ - تحديد وحدات التحليل وفئاته.
- ٤ - قياس ثبات التحليل.
- ٥ - التحليل الإحصائي ونتائج الدراسة.

وهذا ما جعل منهج تحليل المحتوى أو المضمون من أهمّ المناهج التي تخدم هذا المجال من البحوث، كونه أهمّ أدوات تحليل مضمون الرسائل والنصوص والاتجاهات والآراء، ويساعد على التعرف والوصول إلى المعارف والقيم والاتجاهات الآثار التي تحملها الكتب، أو الأدبيات التربوية والثقافية وغيرها، لذا كان أسلوب تحليل المحتوى أنسب المناهج لتحليل مضمون النصوص الشعريّة التي احتوت على القيم الإسلامية (الإيمانية- والأخلاقية- والوجدانية- الاجتماعية- والثقافية) المتضمنة في شعر كعب بن زهير، والمجتمع الكلي في بحوث تحليل المحتوى هو: "مجموع المصادر التي نشر أو ذيع فيها المحتوى المراد دراسته خلال الإطار الزمني للبحث"^(٥)، والمجتمع الكلي في هذه الدراسة يتمثل في الدواوين التالية:

- ١- شرح ديوان كعب بن زهير: أبي سعيد بن الحسن السكري.
- ٢- ديوان كعب بن زهير: تحقيق وشرح علي فاعور.

(١) كمال عبد الحميد زيتون، منهجية البحث التربوي والنفسي من المنظور الكمي والكيفي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص ١٠٤.

(٢) محمد عبد الرؤف عطية، تحليل المضمون بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص ١٧.

(٣) كمال عبد الحميد زيتون، منهجية البحث التربوي والنفسي من المنظور الكمي والكيفي، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٤) محمد منير حجاب، أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٥) محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، دار الشروق، جدة، ١٤٠٤هـ، ص ٩١.

٣- ديوان كعب بن زهير: تحقيق وشرح محمد يوسف نجم.

٤- كتاب قصيدة البردة لكعب بن زهير: شرح أبي البركات ابن الأنباري.

٥- بعض المراجع الأخرى التي احتوت على أبيات شعرية لكعب بن زهير.

ومن هنا فإنّ الباحثة قامت بتحليل النصوص الشعريّة من خلال الدواوين الشعريّة السابقة؛ لمعرفة القيم الإسلاميّة المتضمنة فيها، والتي صادف فيها بعض الاختلاف في الأبيات الشعريّة، ففي بعض الأحيان وجدت الباحثة أبياتاً شعريّةً لكعب بن زهير، ولم تجدها في ديوان آخر له، والعكس.

وتراوح هذه النصوص الشعريّة بين مقطوعاتٍ شعريّةٍ صغيرةٍ لا تتجاوز البيت الواحد، وبين قصائد طويلة قد تصل لتسعةٍ وخمسين بيتاً؛ كما جاء في قصيدة البردة (بانت سعاد)، ولكن دراسة الباحثة اقتصرّت على الأبيات الشعريّة التي احتوت قيماً إسلاميّةً وتربويّةً بشكلٍ أكثرٍ خصوصيّةً، وبعيداً عن التعميم والتطرق إلى جميع أبيات الدواوين.

ولما عرف المنهج الوصفي بكونه المنهج الأم لجميع المناهج البحثيّة، وله ارتباط وتداخل مع معظمها وخاصّةً في الدّراسات التحليليّة، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، والذي يعتمد على "دراسة الواقع ويهتم بوصفه وصفاً دقيقاً، ويعبّر عنه تعبيراً كميّاً أو تعبيراً كيفيّاً، فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أمّا التعبير الكمي فيُعطينا وصفاً رقمياً يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى."^(١)

وسوف يتمّ استخدام المنهج الوصفي لمحتوى الدّراسة من خلال الآتي:-

١ - جمع الأبيات الشعريّة لكعب بن زهير، ودراستها دراسة وافيه دقيقة.

٢ - تنظيم المعلومات وتصنيفها للوصول إلى النتائج والتوصيات.

٣ - تحليل محتوى هذه الأبيات واستنباط القيم الإسلاميّة في المجالات التي تمّ التصنيف على أثرها (الإيمانية-الأخلاقية-الوجدانية-الاجتماعية-الثقافية).

المبحث الثاني-وحدة التحليل:

إنّ تحليل المحتوى هو أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي للمضمون، وللوصول إلى الوصف الكمي لا بدّ من وجود وحدة يستند عليها الباحث، "والخطوة الأولى في التسجيل الكمي للمحتوى هي اختيار وحدة العد، ويتوقف هذا على طبيعة الدّراسة، وما تخدمه من مجالات، ويأخذ التسجيل في العادة شكلين أحدهما حساب التكرارات، ويقصد بذلك عدد المرات الذي تظهر فيها وحدة التحليل"^(٢)، وتحليل مضمون الأشياء بالشكل الموضوعي والمنظم، وهو اختصاص الدّراسة الحاليّة.

(١) ذوقان عبيدات - وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، ط١٠، دار الفكر، الأردن، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص١٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٠.

ويعرّف ماجد جلاّد تحليل المحتوى لتحديد القيم بأنه: "منهج علمي موضوعي يهدف إلى التعرّف على خصائص المنهاج التعليمي، ومكوناته المعرفية والوجدانية والمهارية، والعلاقات المنطقية والسيكولوجية التي تربط هذه المكونات ببعضها، وذلك لبناء المعايير الواضحة والمحددة مسبقاً."^(١)

ويُفرق (بيرلسون) بين مستويين من وحدات التحليل، فهو يفرّق بين وحدة التسجيل **Recording Unit** ووحدة السياق **Context Unit**؛ فقد تكون الكلمة هي وحدة التسجيل، إلا أنّ الجملة التي وردت فيها الكلمة تعتبر وحدة السياق.^(٢)، على سبيل المثال، "نفترض أنّ باحثاً وهو يحلل كتب اللّغة العربيّة أراد حساب عدد المرات التي ورد فيها لفظ (علم)، هنا تعتبر الكلمة وحدة تسجيل، إذ إنّ الباحث يستطيع حساب عدد مرات ورودها، وإذا أراد الباحث معرفة اتجاه هذه الكتب هل هو إيجابي أم سلبي، فعليه أن ينظر إلى الجملة التي ورد فيها الاسم: أي : معرفة السياق، والجملة هنا تعتبر وحدة سياقية."^(٣)

"ويعتمد التحليل على استخدام وحدة التحليل، وهذه قد تكون كلمة أو جملة مفيدة، أو فقرة، والهدف من استخدام وحدة التحليل تسهيل حصر تكرارات المفاهيم المتضمنة في المحتوى، ومعرفة مدى ملائمة المذكورة للأهداف، ومدى تحقيقها لها."^(٤)

"ويرى المختصون في تحليل المحتوى بأنّ هذا الأسلوب يتخذ خمس وحدات، وهي: الكلمة والفكرة، أو الموضوع، والشخصية، والمفردة، ومقاييس للمساحة والزمن. وأمّا أصغر وحدات التحليل على مستوى الكلمة، وقد تكون عبارة عن رمز أو مصطلح، أمّا الموضوع فأهم وحدات تحليل المحتوى، وقد تكون عبارة عن جملة بسيطة أو فكرة تتناول قضية معينة، أمّا الشخصية فتستخدم عند دراسة الشخصيات في كتب القصص والروايات والتاريخ والسيرة.

وتسمّى وحدة المفردة أحياناً بالوحدة الطبيعية، وتختلف باختلاف الدّراسة قيد التحليل، فعند تحليل محتوى كتاب معيّن يكون الكتاب هو المفردة، فقد تكون خطيةً أو برنامجاً، ويقصد بوحدة مقياس المساحة والزمن كوحدة من وحدات تحليل المضمون: المساحة التي يشغلها موضوع التحليل، مثل: عدد الصفحات، أو السطور، أو الأعمدة."^(٥)

وترى الباحثة أنّ الوحدة المناسبة لهذا البحث - بناءً على الدّراسة النظرية والدّراسات السّابقة - هي وحدة الفكرة، وهي الوحدة التي سوف تستخدم لتحليل مضمون شعر كعب بن زهير، وهي تمثل أهمّ وأكبر وحدات تحليل المحتوى وأكثرها

(١) ماجد زكي جلاّد، تعلّم القيم وتعليمها، مرجع سابق، ص ٨٥.

(٢) رشدي طعيمة، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه، أسسه، استخداماته، مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٣) حسن الرزقي القريني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، رسالة ماجستير، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٤) عبد الرحمن صالح عبدالله، البحث التربوي وكتابه الرسائل الجامعية، مرجع سابق، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٥) رشدي طعيمة، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه، أسسه، استخداماته، مرجع سابق، ص ١٠٣.

إفادة، حيث تهتم هذه الوحدة بالاعتناء بالقيم المطروحة من حيث الشرح والتحليل، كما أنّ الفكرة أكثر مناسبة لتحليل من الكلمة أو الجملة خصوصاً في استنباط القيم من المستوى الضمني.

المبحث الثالث-بناء أداة التحليل:

تتضمن عملية تحليل المحتوى خطوات رئيسة استشفتها الباحثة من خلال اطلاعها على كتب تحليل المضمون، ووجدت أنّ عملية تحليل المحتوى لهذه الدراسة تتطلب التالي:

أولاً: تحديد الهدف من التحليل، وذلك بوضع سؤال أو مجموعة الأسئلة، ففي حالة تحليل القيم - كما في الدراسة الحالية - يمكننا تحديد الأسئلة التالية:

- ١ - ما القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير؟
 - ٢ - ما هي تصنيفات القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير؟
 - ٣ - كيف تتوزع القيم الإسلامية على الأبيات الشعرية في دواوين كعب بن زهير؟
- ولما كان لهذا البحث يهدف إلى الكشف عن القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، ومن ثمّ توظيف الأساليب التربوية المقترحة لتنمية هذه القيم لدى الطلبة، كان من الضروري الوصول إلى الإجابة على هذه الأسئلة الرئيسة، والتي قامت الباحثة بما يلي للإجابة على ذلك:

- ١ - الرجوع إلى مراجع تخصص الباحثة في مرحلة البكالوريوس من أمّهات الكتب في اللغة العربية.
- ٢ - الرجوع إلى مراجع تخصص الباحثة في مرحلة الماجستير، والتي تناولت التربية الإسلامية.
- ٣ - الاطلاع على الكتب والمراجع التي تحدثت عن القضية القيمية، وأهميتها للفرد والمجتمع.
- ٤ - الاطلاع على الكتب والمراجع التي تحدثت عن الشعر العربي، وتاريخ الشعر العربي.
- ٥ - الاطلاع على مراجع الشعر والتربية.
- ٦ - الاطلاع على كتب أعلام الشعر والشعراء.
- ٧ - الاطلاع على الأبحاث والدراسات السابقة التي اهتمت بالشعر والتربية والقيم.
- ٨ - الاطلاع والبحث عن طريق الشبكة العالمية (الانترنت) عن الشعر، والقيم الإسلامية، والشاعر كعب بن زهير.
- ٩ - الاطلاع على كثير من تصانيف القيم في العديد من الكتب والرسائل العلمية، والأبحاث للاستفادة منها.
- ١٠ - القراءة التحليلية للأبيات الشعرية المأثورة عن الشاعر كعب بن زهير.

ثانياً: بناءً على المعلومات التي تمّ تجميعها من خلال التساؤلات السابقة؛ يتمّ تصميم أداة التحليل، والتي تتضمن وحدات التحليل الرئيسة، والفئات الرئيسة والفرعية.

ثالثاً: إجراء التحليل من خلال قراءة الأبيات الشعرية قراءةً دقيقةً، وإحصاء ما تتضمنه من قيم إسلامية وتربوية صريحة، ومن ثمّ تفرغها في أداة الدراسة تحت فئاتها الرئيسة والفرعية.

رابعاً: التوصل إلى نتائج التحليل وتوظيفها في عمليات التنمية والتفعيل والتعزيز لدى الطلبة.

وعلى هذا فالباحثة أعدت معياراً لتحليل مضمون أبيات كعب بن زهير الشعرية للوصول إلى القيم الإسلامية، وذلك وفق معايير مهمة من أهمها:

- ١- أن تكون القيم نابعة من مصادر التشريع الأسمى، كتاب الله والسنة النبوية المطهرة، والإجماع والقياس.
 - ٢- أن تتميز بالموضوعية والخصوصية باعتبارها قيماً تربويةً إسلامية، صادرةً عن تشريع إسلامي، تخاطب المجتمع المسلم.
 - ٣- أن تتميز بخصائص القيم الإسلامية من شمول ومواكبة التطورات والتغيرات التي تطرأ على الزمن، وخاصةً في هذه الآونة، وما يمتاز به الوقت الراهن من سرعة تغير.
 - ٤- أن تكون مراعيةً للأهداف التربوية التي يحرص الدين الإسلامي على تنميتها في نفوس الطلبة.
- وقبل الشروع في تحليل المحتوى لابدّ من تحديد أداة التحليل، والتي يقصد بها "الاستمارة التي يصممها الباحث لجمع البيانات، ورصد معدلات تكرار الظواهر والمواد إلي يحلل محتواها؛ ولأداة التحليل العديد من الفوائد، من أهمها أنّها تساعد الباحث على استيفاء عناصر التحليل، ومساعدته على اتباع نظام واحد في التحليل، أنّها تحقق معامل ثبات مرتفع لعملية التحليل."^(١)، إلى جانب أنّها توفر على الباحث الوقت والجهد مع الخروج بالبحث بشكل أكثر دقةً وموضوعيةً، كما أنّها تساعد الباحث على التركيز، والبعد عن تشتت الأفكار وتداخلها.

بناء أداة الدراسة وتحكيمها:

لبناء أداة الدراسة اطلعت الباحثة على الإطار النظري والدراسات السابقة في مجال القيم بصفةٍ عامةٍ، والقيم الإسلامية بصفةٍ خاصةٍ، وبعد الاطلاع على دواوين كعب بن زهير الشعرية، توصلت الباحثة إلى مجموعة من القيم الإسلامية والموزعة على المجالات التالية: القيم الإيمانية، والقيم الأخلاقية، والقيم الوجدانية، والقيم الاجتماعية، والقيم الثقافية.

وبعد استنباط القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، قامت الباحثة بإعداد أداة تحليلية الهدف منها الحكم على مجالات القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، والحكم على مدى انتماء القيمة المستنبطة من شعر كعب بن زهير إلى المجال العام على مختلف أنواعه، الإيماني، الأخلاقي، الوجداني، والاجتماعي، والثقافي، إلى جانب الحكم على وضوح القيمة المستنبطة ومدى تحديدها للمعنى، أي: إنّ أداة الدراسة تركز على مدى انتماء القيمة ووضوحها؛ وقد كانت أداة التحليل على النحو التالي:

القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير في صورتها الأولية "ما قبل التحكيم" انظر الملحق رقم (٣)

(١) المرجع السابق، ص ١١٢.

أولاً: القيم الإسلامية الإيمانية: وقد شملت تسع قيم، وهي: الإيمان بالله تعالى، الإيمان بالكتب السماوية، الإيمان بالرسول، الإيمان بالقدر خيره وشره، الإيمان بأسماء الله وصفاته، الإيمان بحقيقة الموت، التوكل الذي هو حقيقة التوحيد والإيمان، حفظ الدّين بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله.

ثانياً: القيم الإسلامية الأخلاقية: وقد شملت إحدى وعشرين قيمةً، وهي: الصّبر، الوفاء بالعهد، التسامح، العدل والمساواة، القناعة والزهد، مسئولية الكلمة، الأخذ بالنصيحة، الحلم والتروي، الشجاعة والإقدام، الأمانة، العزة، التفاؤل، الكرم وذم البخل، حفظ الجميل، الثبوت والتبني قبل الحكم، الجزء من جنس العمل، الحكمة، التوازن في ردة الفعل، ثقافة الاعتذار.

ثالثاً: القيم الإسلامية الوجدانية: وقد شملت ستة قيم وهي: المحبة، الثقة، لوم النفس والتندم، الخوف والرهبنة والرجاء، الاعتاز من تجارب السابقين، ترويض النفس.

رابعاً: القيم الإسلامية الاجتماعية: وقد شملت اثنتي عشرة قيمةً، وهي: التماسك والوحدة القومية، إيتاء ذي القربى وصلة الرحم، الشورى والمشاورة، التعاون، الدّعوة إلى توطيد العلاقات الإنسانية، حسن المعاملة، الترابط الأسري، النجدة وإعانة الملهوف، المناصرة وقضاء حوائج المسلمين وتفريج كربتهم، اختيار الرفقة الحسنة، ترشيد الإنفاق، إكرام الضيف.

خامساً: القيم الإسلامية الثقافية: وقد شملت ثلاث عشرة قيمةً، وهي: الاعتزاز بالهوية العربيّة، الاعتزاز بالدين الإسلامي، الاعتزاز بنبي الدّعوة الإسلامية محمد -عليه الصّلاة والسلام-، الاعتزاز بالخلفاء الراشدين -رضوان الله عليهم-، الاعتزاز بالصحابة الأخيار المهاجرين والأنصار -رضوان الله عليهم-، الاعتزاز بملامح البيئة البدوية والمناطق العربيّة، الاعتزاز بقبائل العرب، والافتخار بقيمتها الإسلامية العريقة، الاعتزاز بالتاريخ العربي تراثاً وعراقاً، تقدير الذات في اعتزاز الشاعر بملكته الشعرية، الاعتزاز بالشعر والشعراء العرب، تخليد أمجاد العرب وإحياء التراث، فهم الحياة وزيادة الثقافة، وإثراء الفكر، خدمة القرآن والسنة، وأقوال الأئمة والسلف الصالح.

ولقد قامت الباحثة بتوزيع خمسة عشر نموذجاً لأداة التحليل على - أعضاء هيئة التدريس الذكور والإناث - من قسم التربية الإسلامية، انظر الملحق رقم (٢) جدول المحكمين، ولقد جاءت آراء المحكمين بمقتراحات استفادت منها الباحثة في:

- إجراء تعديل في صياغة بعض الفقرات، بحيث تصبح الفقرة أكثر دلالةً على المعنى المقصود منها.
- إجراء تعديل في ترتيب المجالات، وتقديم المجال الأسبق، وإعادة ترتيب ما يلزم.
- حذف ما رآه المحكمون غير مناسب.
- إضافة ما رآه المحكمون مناسب.
- إعادة ترتيب القيم تحت مجالاتها الأكثر ملائمة لها.

مجممل ملاحظات ومقترحات المحكمين:

- ١- إشكالية تعدد المصطلحات، إذ المصطلح الواحد قد يكون له أكثر من تعريف، كما أنّ بعض معاني المصطلحات قد تتداخل وتشترك في المعنى الواحد، أو يصعب الفصل بين معانيها، كالخوف والرهبه.
 - ٢- القيم الإسلاميه تتغير وتتجدد، فهناك قيم قد يتغير فهم العامة لها، كالكرم، وذم البخل، فلم يعدّ مباحة بكثرة ما يقدم الكرم للضيف من واجب الضيافة، بل أصبح في حسن الاستقبال، وطلاقة الوجه.
 - ٣- القيم الإسلاميه ليست منفصلةً مستقلةً عن بعضها البعض، وإنما هناك تداخل وأضح بينها لهذا اجتهدت الباحثة لتصنيفها ضمن المجموعات القيمية التي تكون أقرب لها من غيرها، ولا يعني هذا أنّها لا تمت بصلة إلى المجموعات الأخرى، فمثلاً القيم الأخلاقية والاجتماعية تشكل وحدةً كاملةً فتؤثر وتتأثر بغيرها.
 - ٤- بعض المصطلحات قد يندرج تحتها جميع ما سبق من القيم على جميع مختلف المجالات، كالإيمان بالله تعالى.
 - ٥- تحفظ العديد من المحكمين على بعض المصطلحات جاءت الآراء مؤيدة لتغييرها أو استبدالها، مثل: التماسك والوحدة القومية، فالإسلام لا يدعو إلى القومية، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].
 - ٦- الفصل بين العديد من القيم الإسلاميه التي تُخدم المعنى الواحد تجنباً للتكرار والإطالة، مثل: العدل والمساواة، الكرم، وذم البخل.
 - ٧- اختصار بعض المصطلحات، مثل: قيمة التوازن في ردة الفعل إلى التوازن، الاعتزاز بالصحابة الأختيار المهاجرين والأنصار إلى الاعتزاز بالصحابة - رضوان الله عليهم-.
- ولقد قامت الباحثة بالتعديلات اللازمة بناءً على مقترحات المحكمين، والمشاورة مع المشرف المختص على الرسالة، وبعد الانتهاء من كافة تعديلات المحكمين قامت الباحثة بإعداد أداة الدراسة في صورته النهائية، انظر الملحق رقم (٤)، وهي كالتالي:
- مجالات تصنيف القيم الإسلاميه المتضمنة في شعر كعب بن زهير في صورته النهائية " ما بعد التحكيم " :
- أولاً-القيم الإيمانية: وقد شملت تسع قيم، وهي: الإيمان بالله تعالى، الإيمان بأسماء الله وصفاته، الإيمان بالكتب السماوية، الإيمان بالرسول، الإيمان بالقدر خيره وشره، الإيمان بحقيقة الموت، التوكل على الله، تقوى الله، حفظ الدّين ونشر العقيدة بالدعوة إلى الله.
- ثانياً - القيم الأخلاقية: وقد شملت إحدى عشرة قيمةً، وهي: الصّبر، الوفاء بالعهد، العفو والصفح، العدل، صون اللسان، العطاء والبذل، الشجاعة والإقدام، الأخذ بالنصيحة، الأمانة، العزة، التفاؤل، ذم البخل، حفظ الجميل، الثبوت والتبين قبل الحكم، الجزاء من جنس العمل، التوازن، الحياء والعفة، الحلم والتروي، الزهد، ثقافة الاعتذار، الحكمة.
- ثالثاً -القيم الوجدانية: وقد شملت ست قيم، وهي: الثقة، المحبة، لوم النفس والتندم، الخوف والرهبه، الاتعاظ من تجارب السابقين، ضبط النفس.

رابعاً - القيم الاجتماعية: وقد شملت عشر قيم، وهي: التماسك الاجتماعي، صلة الرحم، الشورى، التعاون، الدعوة إلى توطيد العلاقات الإنسانية، حسن المعاملة، الترابط الأسري، النجدة والمناصرة وإعانة الملهوف، اختيار الرفقة الحسنة، الكرم.

خامساً - القيم الثقافية: وقد شملت عشر قيم، وهي: الاعتزاز بنبي الدعوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، الاعتزاز بالخلفاء الراشدين - رضوان آله عليهم -، الاعتزاز بالصحابة - رضوان الله عليهم -، الاعتزاز بلامح البيئة البدوية، الاعتزاز بقبائل العرب والافتخار بقيمتها الإسلامية العريقة، تقدير الذات في اعتزاز الشاعر بملكته الشعرية، الاعتزاز بالشعر والشعراء العرب، تخليد أجداد العرب وإحياء تراثهم، زيادة الثقافة وإثراء الفكر، خدمة القرآن والسنة وأقوال الأئمة والسلف الصالح.

المبحث الرابع - صدق أداة التحليل:

يقصد بالصدق أو الصحة **Validity**: "صلاحية الأسلوب أو الأداة لقياس ما يراد قياسه، أو بمعنى آخر هو صلاحية أداة البحث في تحقيق أهداف الدراسة، وبالتالي ارتفاع مستوى الثقة فيما توصل إليه الباحث من نتائج، بحيث يمكن الانتقال منها للتعميم."^(١)، ويقصد بالصدق أيضاً في هذا المقام: "شمول الاستمارة لكل العناصر التي يجب أن تدخل في التحليل من ناحية، ووضوح فقراتها ومفرداتها من ناحية ثانية، بحيث تكون مفهومة لكل من يستخدمها بالأسلوب الواحد نفسه."^(٢)

أي: أنّ الصدق يتعلق بالمدى الذي تقيس أداة معينة ما يفترض أنّها تقيسه، ويعرّف الصدق بشكل أكثر تحديداً بكونه الصحة والدلالة الهادفة والفائدة للاستدلالات المحددة الناجمة عن درجات الاختبار.

وهناك عدة أساليب لإثبات صدق الأداة في منهج تحليل المحتوى أو المضمون، من أهمها "التأكد من مدى صحة اختيار الوسيلة أو الطريقة المناسبة لجمع البيانات، وجعلها على أعلى مستوى من الكفاءة، وذلك للتأكد من أنّ الأداة التي نستخدمها في القياس تقيس فعلاً الظاهرة المراد دراستها."^(٣)

وللتأكد من صدق الاستمارة الخاصة بتحليل المضمون قامت الباحثة بتوزيع الاستمارة على مجموعة من المحكمين المختصين والخبراء التربويين؛ لإبداء ملحوظاتهم وآرائهم حول مدى مناسبة الفقرات للفئة الموجودة ضمنها، ووضوح عبارتها وصحة مفرداتها، ومدى ملائمة الفئات الفرعية للقيم مع الفئات الأولية وانتساجها لها، ومدى احتوائها على كلّ القيم التي ينبغي أن يشملها المعيار، وإجراء أيّ تعديلات يرونها مناسبة لها من حذف أو إضافة، وهو ما ذكرته الباحثة فيما سبق في جزئية بناء أداة التحليل.

(١) محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

(٢) ذوقان عبيدات - وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، مرجع السابق، ص ١٤٨.

(٣) محمد منير حجاب، أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٥٨.

المبحث الخامس - ثبات أداة التحليل:

إنه لا بدّ لتحليل المحتوى - باعتباره أداة علمية - من توفر صفة الثبات، والمقصود بالثبات " إمكانية الحصول على النتائج نفسها فيما لو أعيد استخدام الاستمارة نفسها ثانية لتحليل المحتوى نفسه."^(١)

وفي دراسات تحليل المحتوى يحتل مفهوم الثبات مكاناً متميزاً؛ لما يختص به هذا الأسلوب من صفات، وما يحكمه من اعتبارات منهجية. ولقياس الثبات طرق مختلفة من أكثرها شيوعاً، الطرق التالية: طريقة إعادة الاختبار، طريقة الصور المتكافئة، طريقة التجزئة النصفية، والطريقة الأولى من أكثر الطرق مناسبة لتقدير الثبات في دراسات تحليل المحتوى، فلكل من الطريقتين الأخيرتين سلبيات في مثل هذه الدراسات، إذ يتعذر الحصول على صورتين متكافئتين لمحتوى مادة الاتصال حتى يمكن قياس العلاقة بينهما، كما يتعذر ضمان وحدة المقارنة بين نصفي المادة التي يتم تحليلها، أما بالنسبة لطريقة إعادة الاختبار^(٢) فغالباً ما يتم فيها التأكد من " ثبات أداة التحليل من خلال الطرق الإحصائية، والتي تكشف عن درجة التوافق بين نتائج التحليل في مرتي استخدام الأداة للغرض الواحد نفسه، وغالباً ما يعبر عن درجة التوافق هذه بمعامل ارتباط، أو من خلال استخدام أساليب إحصائية أكثر تقدماً من ذلك."^(٣)

فالثبات والاستقرار أمرٌ في غاية الأهمية بالنسبة للبحوث العلمية والدراسات التحليلية، والبحث التربوي لا يستقيم بدون ثبات الأداة، " فالأداة الغير الثابتة كالميزان الذي يعطي أوزاناً متباينة للشيء الواحد الذي لم يطرأ عليه تغير. وثبات الأداة يدلّ على مدى قدرتها على إعطاء نتائج متقاربة، إذا ما طبقت على مجموعة واحدة في أوقات مختلفة، والأداة التي لا تتمتع بالثبات لا تفيد البحث التربوي، وحالها كحال الميزان الذي أصابه خلل، فأصبح استخدامه ضاراً غير مفيد."^(٤)

المبحث السادس - قواعد التحليل:

لقد اتبعت الباحثة في عملية تحليل المحتوى الخطوات التالية:

١ - اعتماد الأبيات الشعرية للشاعر كعب بن زهير من مختلف الدواوين، وتطبيق معايير القيم الإسلامية على جميعها باعتبارها أداة للبحث عن القيمة الإسلامية، واستثناء من تلك الأبيات ما كان لا يحمل قيمة إسلامية، ويعيداً عن موضوع الدراسة.

٢ - تمّ تحليل الأبيات الشعرية وفق معايير القيم الإسلامية دون التحليل اللغوي أو الأدبي أو الفني والنقدي، إذ إنّ ذلك ممّا تختص به البحوث العلمية المتعلقة بالنقد واللغة والأساليب الفنية للشعر، أمّا ما يهم البحث في المجال

(١) ذوقان عبيدات، وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، مرجع السابق، ص ١٤٨

(٢) حسن الرزقي القريني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، رسالة ماجستير، ص ٢٣٣.

(٣) ذوقان عبيدات - وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، مرجع السابق، ص ١٤٨.

(٤) عبد الرحمن صالح عبدالله، البحث التربوي وكتابه الرسائل الجامعية، ص ١٧٤.

التربوي فهو الجانب التربوي لهذه الأبيات الشعرية.

٣ - تم تحليل القيم الإسلامية حسب تكرارها في سياق الأبيات الشعرية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، ومحاولة التنويه ما إذا كانت القيمة ضمنية وليست تصريحية، فالقيم الإسلامية ترد عادةً في سياق الأبيات الشعرية، فقد ترد قيمة ضمنية غير مذكورة بالمعنى وليست باللفظ، وقد ترد باللفظ الصريح، إلى جانب أن القيم الإسلامية قد ترد في شطر البيت أو في بيت، أو قد يتم الحديث عنها في عدة أبيات شعرية، كما أنه قد يحتوى البيت الشعري الواحد على عدة قيم.

٤ - تم تحليل الأبيات الشعرية دون الالتفات إلى الجو والمؤثرات. التي كانت تحيط بالشاعر، أو الظروف البيئية، أو أفكاره أو اتجاهاته، أو الظروف التي أحاطت بجو القصيدة. " فالمنهج العلمي لا يخلط بين الأقوال وقائلها، فالحكم على القائل يستند إلى المعرفة بعقيدته وامتائه وسلوكه، ولا يصح أن ينسحب على مقالة قائلها، والحكم على مقالة بعينها، ولا يصح أن ينسحب على قائلها في تحديد هويته الشاملة تستغرق حياته كلها. "(١)

ومن هذا المنطلق فإنّ التحليل انصب على استخلاص القيم الإسلامية دون غيرها من القيم المخالفة لتعاليم الإسلام، ولن يتأثر التحليل بأيّ ظروف أخرى، وسوف يحكم على البيت الشعري من خلال دلالاته على القيم الإسلامية، وما يفيد الدراسة في إتمام مهمتها، ألا وهي الوصول إلى القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، والأساليب التربوية المقترحة لتنمية تلك القيم لدى الطلبة.

المبحث السابع- فئات التحليل:

يقصد بفئات التحليل **Categorie**: " العناصر الرئيسة والفرعية التي يتم وضع وحدات التحليل فيها، والتي يمكن تصنيف كل صفة من صفات المحتوى على أساسها. وتحديد فئات التحليل بدقة وموضوعية أمر يلزمه توفر عدة صفات، لعل من أهمها ما يلي :

- ١ - أن تكون الفئات مستقلة مانعة للتبادل، بمعنى أن لا تقبل مادة المحتوى التصنيف تحت فئتين مختلفتين في آن واحد.
- ٢ - أن تكون الفئات شاملة لمختلف الجوانب التي يتعرض لها التحليل.
- ٣ - أن تتحد الفئات بدقة، حتى تفي باحتياجات الدراسات وأهدافها.
- ٤ - أن يكون من بين الفئات فئة تتسع لظواهر أخرى لا تصلح أن تصنف تحت الفئات المحددة سلفاً. "(٢)
- ٥ - " أن تكون الفئات صادقة، وصدق الفئات ينبع من ارتباطها بأسئلة الدراسة.

(١) حسن الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، رسالة ماجستير، ص ٢٣٧.

(٢) محمد عبد الرؤف عطية، تحليل المضمون بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص ٢١.

٦ - أن تكون الفئات جامعةً، حتى تتمكن من استيعاب جميع الوحدات المنظمة في النص.^(١)

"والفئات هي مجموعة من التطبيقات أو الفصائل يقوم الباحث بإعدادها طبقاً لنوعية المضمون ومحتواها، وهدف التحليل، لكي يستخدمها في وصف هذا المضمون، وتصنيفه بأعلى درجة ممكنة من الموضوعية والشمول، مما يتيح إمكانية التحليل، واستخراج النتائج بأسلوب سهل وميسور."^(٢)، وفي مرحلة فئات التحليل يبدأ البحث بصياغة معايير التصنيف **Classification Criteria**؛ حتى لا تصبح الفئات المختارة مجرد مسميات، أو عناوين دون دلالات تصنيفية، وتيسر على الباحث عملية التصنيف وتحديد الفئات.^(٣)

ولقد تمت في هذا الفصل الدراسة التحليلية لشعر كعب بن زهير، والتعرف على الخطوات الإجرائية لبناء معايير القيم الإسلامية المتضمنة في شعره، وسوف يتناول الفصل التالي - بإذنه تعالى - نتاج هذا التحليل، والتعرف على القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير في مختلف المجالات، المجال الإيماني، والأخلاقي، والوجداني، والاجتماعي، والثقافي، من خلال الاستشهاد بالأبيات الشعرية التي احتوت على كل قيمة.

(١) عبد الرحمن صالح عبدالله، البحث التربوي وكتابه الرسائل الجامعية، مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٢) سمير محمد حسن، تحليل المضمون، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٨.

(٣) محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، مرجع سابق، ص ١١٣.

الفصل السادس

القيم الإسلاميّة المتضمنة في شعر كعب بن زهير ومجالاتها

الفصل السادس

القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير ومجالاتها

لقد احتوى شعر كعب بن زهير على العديد من القيم الإسلامية، وجاءت دراسة الباحثة من أجل الوقوف على القيم الإسلامية المتضمنة في شعره، وفي هذا الفصل سوف يتم عرض وتحليل هذه القيم وفق المباحث التالية:

المبحث الأول: عرض وتحليل القيم الإيمانية المتضمنة في شعر كعب بن زهير:

إنّ من أبرز الأهداف التربوية للشعر في صدر الإسلام ترسيخ العقيدة وتحقيق العبودية لله تعالى وحده، وتوطيد العلاقة بين الفرد وربه من خلال تدعيم البناء العقدي الإيماني في الفرد، حتى يصل إلى الغاية الكريمة المثلى، ألا وهي تقليد هذا الفرد لكرامة العبد، والوصول به إلى مرحلة العبودية الخالصة لله، وهذا أمر ذو أهمية بالغّة يتطلب من التربويين العناية بشأنها، نشرًا واستقصاءً لها من مصادرها.

ويعرّف الإيمان في اللّغة: " ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق، ضده التكذيب." (١)

وفي اصطلاح أهل العقيدة هو: "الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر كله." (٢)

ومعنى الإيمان الكامل هو: " مجموع ثلاثة أمور: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل صالح بالجوارح." (٣)

وتتجلى خمسة من أركان الإيمان الستة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُواْ وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ

الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

أمّا الركن السادس وهو الإيمان بالقدر، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]

وقد تجلّى في شعر كعب بن زهير العديد من القيم الإيمانية المستمدة من المصادر التشريعية؛ القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة. ومن أبرز القيم الإيمانية التي استنبطتها الباحثة من شعر كعب بن زهير ما يلي:

أولاً- الإيمان بالله تعالى:

والإيمان بالله تعالى هو: " الاعتقاد الجازم من دون ريب بوجود الله، وبقدرته المطلقة على الخلق والتدبير والتصرف، فهو المستحق وحده للعبادة، وعبادة غيره باطلة." (٤)، وهو أساس عقيدة المسلم.

(١) العلامة ابن منظور، لسان العرب، ج١، مرجع سابق، ص ٢٣٢.

(٢) العلامة محمد المكي بن عزم، العقيدة الإسلامية، جدة، دار نور المكتبات، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ١٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٤-١٢٥-١٢٦.

(٤) صالح بن فوزان الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ، ص ١٦.

وقد وردت قيمة الإيمان بالله تعالى في شعر كعب بن زهير بعدة صورٍ منها:

١ - توحيد الله تعالى وحده، ونفي عبادة من سواه من المعبودات الباطلة، وفي انتماء الشاعر إلى الله وحده والاعتزاز به، وموالاته، والانضواء تحت لوائه؛ تحقيقاً لمعنى الألوهية التي هي لا معبود ولا إله إلا الله؛ ومن أمثلة ذلك قول كعب " (١):

أَزَادُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ إِلَهًا كَفَىٰ بِاللَّهِ دُونَ اللَّاتِ كَافٍ

٢ - القسم بالله دون غيره ، تحقيقاً لما ورد عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في تحريم القسم والحلف بغير الله، "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت." (٢)؛ ومما يدل على ذلك قوله " (٣):

فَأَقْسَمْتُ بِالرَّحْمَنِ لَأَ شَيْءَ غَيْرِهِ يَمِينُ امْرِئٍ بَرٍّ وَلَا أَتَحَلَّلُ

٣ - الإخلاص للدين الإسلامي، والعمل بمقتضاه، والبقاء على الملة الإسلامية؛ حين قال " (٤):

لَأَسْتَشْعِرَنَّ أَعْلَىٰ دُرَيْسِي مُسْلِمًا لَوَجْهِ الَّذِي يُحْيِي الْأَنَامَ وَيَقْتُلُ

واستشعرن: أي ألبسه شعاراً، والدريس: الثوب الخلق، يقول الشاعر: لألبسن ثوبي على الإسلام. " (٥) والشاعر هنا كأنما يفتخر بعقيدته الإسلامية، ويتباهى بها، كيف لا وهي العقيدة التي جمعت شتات العرب، ولت شعنتهم ووحدهم، وربطت بين أفرادها بدون نسب أو صلة.

ثانياً - الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته:

والإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته: "هو إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف، ولا تمثيل." (٦)، ويشمل الإيمان بحقائق التوحيد بالله، وربوبيته، وألوهيته؛ والعديد من الأسماء والصفات التي تفرد بها الله - عزَّ وجلَّ -، واختص بها - سبحانه وتعالى - دون غيره، وقد وردت هذه القيمة في شعر كعب بن زهير بعدة صور، منها:

١ - إِنَّ اللَّهَ - عزَّ وجلَّ - هو الحافظ والكالئ عبده، وهو الحي الذي لا ينام ولا يغفى، فيما ينام من دونه من

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم، رقم الحديث: ٦٦٤٦، ص ٨١٤.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨١.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٥) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨١.

(٦) احمد الحمد، التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٢.

المخلوقات، يقول "(١):

هُوَ الْحَافِظُ الْوَسَّانَ بِاللَّيْلِ مَيْتًا عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ مِنَ النَّوْمِ مُثْقَلًا

والشاعر إنما يريد أن يثبت صفة الضعف البشري، وأنَّ البشر إنما هم تحت عناية الله - عزَّ وجلَّ - ، وأن الإنسان إذا نام فهو كالميت لا يقدر على شيء، وأن الله هو الحافظ من هذه الأشياء المهلكة. "(٢)، لنفي صفة النوم عنه تبارك وتعالى جلَّ في علاه، وإثبات صفة اليقظة الدائمة المستمرة له - عزَّ وجلَّ - .

٢ - أن الله - عزَّ وجلَّ - هو الرازق، وهو الغني وما دونه لا يقدر على نفع نفسه، وهو مالك خزائن النعيم الذي لا تنضب، وهو المعطي المتفضل المتكرم على عباده الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً. ومن ذلك قوله "(٣):

فَلَا تَخَافِي عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَانْتِظِرِي فَضْلَ الَّذِي بِالْغَيْبِ مِنْ عِنْدِهِ نَتَقُّ

إِنْ يَفْنَى مَا عِنْدَنَا فَاللَّهُ يَرْزُقُنَا وَمَنْ سِوَانَا وَلَسْنَا نَحْنُ نَرْتُقُّ

٣ - إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى، والمثبتة في كتاب الله - عزَّ وجلَّ - في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠]، وهو المطلع على عباده، والعالم بكل نجوى، ومن ذلك قوله "(٤):

لِيُوفُوا بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ تَعَاقدُوا بِخَيْفٍ مِنِّي وَاللَّهُ رَأَى وَسَامِعٌ

خيف مني: "الخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء. ومنه سمي مسجد الخيف من منى، ومنى في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار، سمي بذلك لما يعنى فيه من دماء أي يراق. "(٥)، ولعلَّ هذا الموقع هو المكان الذي تعاقد وتعاهد فيه الشاعر مع قومه. والشاعر هنا إنما أراد أن يخبر قومه أن المطلع على ما تعاقدوا عليه هو الله - عزَّ وجلَّ -، وهو الشاهد على ذلك إن لم يوفوا بوعدهم.

ثالثاً- الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب السماوية: "هو الإيمان بالكتاب الذي أنزل على رسوله، يربطهم بالمنهج الذي اختاره الله لحياتهم وبينه لهم في هذا الكتاب، والأخذ بكل ما فيه، بما أن مصدره واحد، وطريقه واحد وليس بعضه بأحق من بعضه بالتلقي والقبول والطاعة والتنفيذ، والإيمان بالكتاب الذي أنزل من قبل، بما أن مصدر الكتب كلها واحد هو الله - عزَّ وجلَّ -،

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨١.

(٢) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٦ - ٥٧.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٥) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٠.

وأساسها كذلك واحد وهو إسلام الوجه لله، وإفراد الله سبحانه بالألوهية، والإقرار بأنَّ منهج الله وحده هو الذي تجب طاعته وتنفيذه في الحياة.^(١) وقد أنزل الله تعالى الكتب السماوية تضم بين دفتيها مجموعة من أحكام الله تعالى، وأوامره ونواهيه، ومواعظه وإرشاداته لعباده، ليتدبروها ويتفهمون معانيها، وقد وردت قيمة الإيمان بالكتب السماوية في شعر كعب بن زهير بعدة صور منها:

١ - أنَّ القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى على رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وفيه مواعظ وتفصيل تبين للناس درب الحياة القويم والطريق المستقيم؛ ومن ذلك قوله^(٢):

مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً الْقُرْآنِ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلٌ

والنافلة هنا بمعنى: العطية.^(٣) وفي رواية الزيادة، ومنه يقال: لما زيد على الفرائض من العبادات النافلة.^(٤)

والشاعر هنا كما يقول: إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَعْطَاكَ يَا مُحَمَّدُ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ زِيَادَةً فِي الْخَيْرِ "لأنَّ الله تعالى أنعم على رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعلوم كثيرة علمه إيَّاهَا، وجعل الكتاب زيادة على تلك العلوم، إذ النافلة: العطية المتطوع بها زيادة على غيرها."^(٥)

رابعاً - الإيمان بالرسول

الإيمان بالرسول هو: "التصديق برسالتهم، والإقرار بنبوَّتهم، وأنهاهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، وقد بلغوا الرسالات وبينوا للناس ما لا يسع أحدٌ بجهله."^(٦)، والإيمان بأنَّ رسالتهم حق من عند الله - عَزَّ وَجَلَّ - أمر أقره كعب بن زهير في شعره، وقد وردت قيمة الإيمان بالرسول في شعر كعب بن زهير بعدة صور منها:

١ - أنَّ نبي الله محمداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول الحق، وهو نور يضيء لينتشل الناس من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الإسلام بتبليغه للرسالة، والشريعة، والقرآن الكريم.

٢ - أنَّ الرسول محمداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جاء بالرسالة التنويرية، بما يهتدي الإنسان إلى العلم الصحيح والفهم الدقيق؛ من ذلك قوله^(٧):

(١) فاتن محمد عزازي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٢) محمود حسن زيني، قصيدة البردة لكعب بن زهير، جدة، تامة للنشر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١١١.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨٩.

(٤) محمود حسن زيني، قصيدة البردة لكعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١١١.

(٥) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٩.

(٦) صالح بن فوزان الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٧) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦.

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَصَارِمٌ مِّنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ

وفي رواية أخرى^(١):

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ مِّنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ

والشاعر إنما يريد أن يوضح أهمية رسالة نبي الله محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في جلاء ظلمة الجهل، وإنارة الطريق، فهو يقول أنه نور يهتدي به الناس، ويطلبونه إذا اشتدت عليهم الظلمات.

٣- الإقرار بنبوته محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والتصديق برسالته؛ ومن ذلك قوله^(٢):

أُنْبِتْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدُنِي وَالْوَعْدُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُورٌ

وقوله^(٣):

تَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيداً مِنْكَ كَالْأَخْدِ بِالْيَدِ

ففي تكرار الشاعر لكلمة رسول الله، واقتراح كلمة رسول بالله تعالى تأكيد على نبوة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وتفخيم وتعظيم لله تعالى، وكأنما يريد الشاعر إقرار وتأكيد صدق رسالة هذا النبي الكريم، وإثبات صدق دخول الشاعر في هذا الدين الذي جاء به رسول الله - عليه الصلاة والسلام -.

وفي إقراره لنبوة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول الشاعر أيضاً^(٤):

مَسَحَ النَّبِيُّ جَبِينَهُ فَلَهُ بِيَاضٌ فِي الْخُدُودِ
وَبُوجْهِهِ دِيبَاجَةٌ كَرْمٌ النَّبْوَةِ وَالْجُدُودِ

فجميع الألقاب التي يكررها الشاعر (نبي الله - رسول الله)، تدل على إقراره لنبوة هذا النبي، وإيمانه برسالته وبهديه، والشاعر يقول: إن الله تعالى تفضل على رسول الله بكرم النبوة وفضلها.

٤ - الإيمان بالرسول - عليهم السلام - الذين سبقوا نبي الله محمداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يقول^(٥):

شَمَّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لِبُؤْسِهِمْ مَنْ نَسَجَ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

والشاعر هنا يضرب المثل بنسج داود، وهي الصنعة التي كان يحترفها - عليه السلام - والتي قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٢) محمود حسن زيني، قصيدة البردة لكعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٣) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨.

(٥) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩١.

صَنَعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بِأَسِيكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿[الأنبياء: ٨٠]﴾، "وعلمناه صنعة لبوسٍ لكم: بمعنى علم الله داود - عليه السلام - صنعة الدروع، فهو أول من صنعها وعلمها، وسرت صناعته إلى من بعده." (١)، فالشاعر يشبه صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقت المعارك والغزوات بالدروع التي صنعت من نسج داود - عليه السلام -، لتمييزها بالدقة في الصنع والقوة والحصانة والمنعة.

خامساً - الإيمان بالقدر خيره وشره:

الإيمان بالقدر خيره وشره: "وهو أن تعتقد بأنه يقع شيئاً في الكون إلا بعلم الله وقدرته وإرادته، وقد أمر الله - عز وجل - القلم، فكتب في اللوح ما سيكون إلى يوم القيامة." (٢)، الإيمان بالقضاء والقدر من لوازم الإيمان بالله تعالى، وقد وردت قيمة الإيمان بالقدر خيره وشره في شعر كعب بن زهير بعدة صور منها:

١ - أن كل ما قدر الله آت لا محالة، ولا مانع لما قضى الله، ولا راد لأمره - عز وجل -، ومن ذلك قوله (٣):

أَعْلَمُ أَنِّي مَتَى مَا يَأْتِي قَدْرِي فَلَيْسَ يَحْبِسُهُ شَيْءٌ وَلَا شَفَقٌ
بَيْنَمَا الْفَتَى مُعْجَبٌ بِالْعَيْشِ مُغْتَبِطٌ إِذَا الْفَتَى لِلْمَنَايَا مُسْلِمٌ غَلِقُ

والشاعر هنا إنما يوضح أنه إذا جاء قدره، وأزفت ساعته، فلا يستطيع أن يمنعه خوف أو وجل، وهو يوضح أن الإنسان رهين المنايا، فحالته دائماً في تقلب، وإن لا نعمة تدوم على صاحبها، وكأنما يؤكد الشاعر قول الإعرابي: "الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس يُعَرَّفُ ضَوْعُهَا وَلَا يَحْتَمُ عَلَى حُدُودِهَا." (٤) ويقول أيضاً (٥):

يَسْعَى الْوُشَاةُ بِجَنبِهَا وَقَوْلَهُمْ: إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَيْمٍ لِمَقْتُولٌ
فَقُلْتُ: خَلُّوا طَرِيقِي، لَا أَبَا لَكُمْ فَاكُلْ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ

ويقصد الشاعر أن الوشاة يسعون حول ناقته، ويجذروه من الذهاب إلى رسول الله - صلي الله عليه وسلم -، لما ورد عن الرسول الكريم من تهديد لكعب بن زهير، ولكن الشاعر يؤكد لهم أن كل ما قدر الله سوف يكون، ولا راد لأمره، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهو مسلم بذلك، قابل به.

وفي هذا الأسلوب الحوارية قيم تربوية عديدة، من أهمها توصيل رسالة مهمة لأصدقاء الشاعر أولاً، وللقرائ

(١) العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص ٥٢٨.

(٢) العلامة محمد المكي بن عوز، العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٣) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٤) احمد بن محمد أبن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٢، القاهرة، مكتبة مصر، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ١٢٩.

(٥) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٥.

والمستمع لشعره ثانياً؛ بأنّ التّوكل على الله هو لب النجاة، وإثبات بأنّ ما يقدره الله تعالى هو الأمر الواقع، وإنّ لا نصرة للإنسان بكثرة من حوله، بل بقدره الله تعالى وإرادته، وعلى المسلم الفطين ألا يعلّق بالعباد آمالاً، وإنّما يكون الأمل بالله- عزّ وجلّ-، فهو الوحيد القادر على تحقيق ما يطمح إليه كلّ فرد، سواء في النجدة والنصرة، أو في التوفيق وتحقيق الآمال.

٢ - أنّ الأقدار دائماً في تغير وتقلب، والحياة لا تبقى على حال واحد، وفي ذلك يقول^(١):

كَذَلِكَ الْمَرْءُ إِنْ يَنْسَأْ لَهُ أَجَلٌ يَرْكَبُ بِهِ طَبَقٌ مِنْ بَعْدِهِ طَبَقٌ
قَدْ يُعْوِزُ الْحَازِمَ الْمَحْمُودُ نَيْتُهُ بَعْدَ الثَّرَاءِ وَيُثْرِي الْعَاجِزُ الْحَقِيقُ

ويقصد الشاعر أنّ المرء وإن يؤخر له أجله، فسوف تتقلب الأحوال من حال إلى حال لا محالة، وأنّه قد يفتقر ويحتاج من كان محمود الثراء في يوم وليلة، ويغتنى من كان عاجزاً لا يقدر على شيء.

سادساً- الإيمان بحقيقة الموت:

الإيمان بحقيقة الموت: "يطلق الموت على فقدان الحياة ومغادرة الروح الجسد الإنساني."^(٢) لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]. إنّ الله تعالى جعل الموت نهاية حتمية لهذه الحياة، والإيمان بحقيقة الموت أي بالتسليم التام بأنّ الروح سوف تغادر الجسد في يوم من الأيام، وقد وردت قيمة الإيمان بحقيقة الموت في شعر كعب بن زهير بعدة صور منها:

١ - أنّ كلّ نفس ذائقة الموت لا محالة مهما بلغ بالمرء طول الأجل، ومهما تنعم بالصحة والعافية والسلامة، فالموت سيصيب التّاس جميعاً بدون استثناء، وإنّ كلّ حيٍّ مصيره الموت، يقول^(٣):

كُلُّ ابْنِ أَثْنَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

آلة حدباء: قيل: أراد بالآلة السرير الذي يوضع عليه الميت، وحدباء: أي فيها ميل.^(٤)

٢ - لا خلود لبشر، ولا بقاء لمخلوق في الدنيا، ولا ديمومة لبني آدم، ومصيرنا إنّما هو مصير أبائنا وأجدادنا، ومن سبقونا في هذه الحياة وأدركهم الموت، يقول^(٥):

إِنْ يُدْرِكَكَ مَوْتُ أَوْ مَشَيْبٌ فَاقْبَلْكَ مَاتَ أَقْوَامٌ وَشَابُوا

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٢) عبد الرحمن عبدالله العوضي، الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي، الكويت، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص ٤٦٣.

(٣) محمود حسن زيني، قصيدة البردة لكعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١١٠.

(٥) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٣.

وَإِنَّ سَبِيلَنَا لَسَبِيلُ قَوْمٍ شَهِدْنَا الْأَمْرَ بَعْدَهُمْ وَغَابُوا
فَلَا تَسْأَلُ سَتُّكَ كُلَّ أُمَّمٍ إِذَا مَا أُخُوَّةٌ كَثُرُوا وَطَابُوا

٣ - يحفز الشاعر قيمة اغتنام الحياة قبل الموت، وأنبأ العمل مفتوح مادام الإنسان حياً يرزق، قادراً على العطاء والإيجاز، من ذلك قوله "(١) :

لَأَيِّ زَمَانٍ يَحْبَأُ الْمَرْءُ نَفْعُهُ غَدَاً فَعَدَاً وَالذَّهْرُ غَادٍ وَرَائِحُ
ورواية عجز البيت أيضاً (غدا بل غد والموت غاد ورائح).

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفْعَعْ حَيًّا فَنَفْعُهُ قَلِيلٌ إِذَا رُصَّتْ عَلَيْهِ الصَّفَائِحُ
"ورصت عليه الصفائح: بمعنى دَفَنَ." (٢)

وكأنما يقول الشاعر: إنَّ الحياة الدنيا هي اختبار يمر به الإنسان، وهو اختبار لمرة واحدة؛ لذلك يجب استغلال هذه الحياة القصيرة في القيام بما على الإنسان من واجبات وفروض، والثبات على الحق والفضيلة.
سابعاً- التوكل على الله تعالى.

التوكل: "مشتق من الوكالة: يقال: وكل أمره إلى فلان، أي فوضه إليه واعتمد عليه فيه، والتوكل على الله هو أن يثبت في نفسك أنه لا فاعل إلا الله، والاعتقاد مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد، ثم تمام العناية واللطف والرحمة بجملة العباد والآحاد، وأنه ليس وراء منتهى قدرته، ولا وراء منتهى علمه، ولا وراء منتهى عنايته بك، ورحمته لك عناية ورحمة." (٣)، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١]، وفي ربط التوكل بالإيمان يقول عز وجل: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقد وردت قيمة التوكل على الله -عز وجل- في شعر كعب بن زهير بعدة صور، منها:

١ - المؤمن يتوكل على الله تعالى فهو حسبه، يستودع الله نفسه، ويتيقن بالتكفل والحفظ منه تعالى، يقول "(٤) :

أَنْخُتُ قَلُوصِي وَآكْتَلَاتُ بِعَيْنِهَا وَأَمَرْتُ نَفْسِي أَيَّ أَمْرِي أَفْعَلُ
أَأَكْلُوهَا خَوْفَ الْحَوَادِثِ إِنَّهَا تَرِيبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَمْ أَنْتَوَكَّلُ

يصف الشاعر موقفاً حدث له إحدى المرات في إحدى القفار التي لا نبت فيها، وذلك عندما أناخ بعيره وأراد أن

(١) المرجع السابق، ص ١٦ .

(٢) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٢٦ .

(٣) سعيد حوي، المستخلص في تزكية الأنفس، ط ٩، القاهرة، دار السلام، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ٢٧٧-٢٧٨ .

(٤) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٥ - ٥٦ .

ينام وحيداً في هذا القفر الموحش، "والقلوص: البعير."^(١)، ويصف الشاعر حالته النفسية التي كانت بين الخوف وبين التوكل على الله، ومن ثمّ يختار التوكل على الله والنوم وترك الأمر كلّ الله، في قوله مسترسلاً أبياته: إنّ الله - عزّ وجلّ - هو الحافظ، "هو الحافظ الوسنان بالليل ميتاً."^(٢)

فالشاعر يحدث نفسه "هل أكلؤها أي أحفظها يقصد نفسه وأظل يقظاً خوفاً من الحوادث المرعبة أم أتوكل علماً بالله."^(٣)، وعكس الخوف والريبة هو الاطمئنان والسكون، وهذا ما يقصده الشاعر في توكله على الله، وتفويضه الأمر كلّ له - عزّ وجلّ -.

٢ - من التوكل على الله تعالى الإيمان بأن إرادة الله نافذة فوق كلّ إرادة، وأنّ الله - عزّ وجلّ - غالبٌ على أمره لا يعجزه شيء، ويقول كعب في ذلك "^(٤):"

صَبَحْنَا الْحَيَّ حِيَّ بَنِي حِحَاشٍ بِمَكْرُوثَاءَ دَاهِيَةٍ نَادَا نَادَا
فَإِنْ تَكُ أَخْطَأْتُ سَعْدُ بْنَ بَكْرٍ فَقَدْ تَرَكْتُ مُوَالِيَهَا عِبَادَا
بَنِي عَوْفٍ وَدَهْمَانَ بِنَصْرٍ وَكَانَ اللَّهُ فَاعِلَ مَا أَرَادَا

والشاعر إنّما يصف ما حدث في إحدى الغزوات، ويقول صبحناهم: أي أغرنا عليهم في الصباح، أغاروا على بني ححاش في مكروثاء: وهي موضع في ديار بني ححاش، والناد بمعنى الشديدة.^(٥)، ويقول الشاعر، إنهم انتصروا على أعدائهم جعلوا منهم عبيداً بإرادة الله تعالى، ونفاذ أمره - عزّ وجلّ - .

٣ - ربط وعقد تنفيذ الأعمال بمشيئة الله، وتقديم مشيئته - عزّ وجلّ - فيه دليل على حقيقة الإيمان بالله، والتوكل عليه في إتمام جميع الأمور، يقول في ذلك "^(٦):"

لِظَلِّ يَرَعُدُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ الرِّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ، تَنْوِيلُ

يقدم الشاعر إذن الله ومشيئته قبل إذن الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ويقول: إنه متخوفٌ من مقابلة رسول الله وما سوف يكون موقفه - صلوات الله وسلامه - من كعب بن زهير، ولكنّه يرجو بإذن الله تعالى التنويل من رسول

(١) المرجع السابق، ص ٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٦.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨١.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٦.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٦.

(٦) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٦.

الله، والتنويع: من النائل وهو العطاء، يقال: نلته وأنلته، والتنويع هاهنا: الأمان والعفو." (١)

ثامناً - تقوى الله

التقوى في اللغة: "بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية. وعند أهل الحقيقة: هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك." (٢)

وقد وردت قيمة تقوى الله في شعر كعب بن زهير بعدة صور منها:

- ١- أن خير الزاد التقوى، وأن دين المرء لا يكتمل في غياب تقوى الله، ومراقبته في كل الأمور، وأن التقوى اللبنة الأولى التي ينبغي البدء في غرسها في نفس الفرد المسلم.
- ومن ذلك قوله" (٣):

سَأدْعُوهم جُهْدِي إِلَى البرِّ والتَّقَى وَأمرُ العُلا مَا شايَعَتني الأَصابعُ

حدد الشاعر النقطة الرئيسة لدعوته في سبيل الله إلا وهي البر وتقوى الله، وفي إقرانه بين الكلمتين دليل على تأثير القرآن الكريم فيه، فقد اقترن البر والتقوى في الذكر الحكيم في عدة مواضع، منها قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، ويقول عز وجل: ﴿وَتَنَجَّوْا إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩]

- ٢- أن من يتقي الله يجعل له مخرجاً، وأن من يتق الله ويصبر فإنه سيفوز بالنصر لا محالة، فالتقوى أهم أسباب التمكين والعزة، يقول" (٤):

وَأَعْطِينَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَّا مَوَاتِقاً عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي
فَجَزْنَا بَطْنَ مَكَّةَ وَامْتَنَعْنَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَالبَيْضِ الخِفَافِ

"جزنا: أي قطعنا، والبيض الخفاف: أي السيوف السريعة العمل." (٥)

يقول الشاعر: إن الأسباب التي مكنتهم من نيل غايتهم وانتصارهم وتفوقهم على عدوهم، هي تقوى الله - عز وجل - أولاً، ومن ثم يعود الفضل لسيوفهم الخفاف السريعة المدربة، التي وإن دلت إنما تدل على مهارة حاملها وفنهم وقدرتهم على خوض المعارك، والظفر بنتيجتها لصالحهم ولصالح الإسلام والمسلمين، فالتقوى تقود إلى الكرامة والنصر.

(١) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٢) علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٠.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٥٣.

تاسعاً - حفظ الدّين ونشر العقيدة بالدعوة إلى الله تعالى:

ويحفظ الدّين وتنتشر العقيدة بالدعوة إلى الله: "وتكون الدّعوة إلى الله عن طريق الدّعوة إلى الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وذلك لهداية العالمين وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور."^(١)، "والدعوة إلى الله هي نوع من أنواع الجهاد في سبيله، تتطلب بذل الإنسان جميع ما في وسعه من قول أو فعل، فالجهاد يتحقق بأمر الدّين بالعمل وتعليمها ونشرها."^(٢)، وقد وردت قيمة حفظ الدّين، ونشر العقيدة بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله في شعر كعب بن زهير بعدة صور، منها:

١ - نشر العقيدة الإسلاميّة، والجهاد في سبيلها، وسبيل نشرها، وهيمنتها على العالم أجمع، والدّعوة إلى الله هي إحدى أهمّ مقومات حفظ الدّين، وهي أمر ينبغي على كلّ مسلم حمل لوائه، ومن ذلك قوله"^(٣):

رَحَلْتُ إِلَى قَوْمِي لِأَدْعُو جُلُومَهُمْ
سَأَدْعُوهُمْ جُهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقَى
إِلَى أَمْرِ حَزْمٍ أَحْكَمْتُهُ الْجَوَامِعُ
وَأَمْرُ الْعُلَا مَا شَايَعْتَنِي الْأَصَابِعُ

وفي رواية" سأدعوهم جهراً"^(٤) إلى البر والتقى، ما شيعتني الأصابع: أي ما دمت حياً."^(٥) ومناسبة النصّ أنّه حين أسلم كعب وحسن إسلامه، وصلح شأنه ركب إلى قومه يدعوهم للدخول فيما دخل فيه، فأسلم ناس كثيرون."^(٦)

٢ - امتداحه لحاملي لواء محاربة الشرك والمشركين، ونصرة دين الله تعالى، والسعي في إعلاء رايته. وفي ذلك قوله"^(٧):

إِنْ عَلِيًّا لَمِيمُونَ نَقِيبَتُهُ
مُقَاوِمٌ لِبَطَاةِ الشَّرِكِ يَضْرِبُهُمْ
بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَفْعَالِ مَشْهُورٌ
حَتَّى اسْتَقَامُوا وَدِينُ اللَّهِ مَنْصُورٌ

٣ - امتداحه للمدافعين عن الدّين الإسلامي، وعن نبي هذا الدّين محمّد - صلوات الله عليه وسلامه - ببذل النفس والمال والولد، والجهاد حق الجهاد؛ لبقاء هذا الدّين رغم المتربصين له والطامحين في زواله، يقول"^(٨):

وَالْبَائِدِينَ نَفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ
وَالدَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ
بِالْمَشْرِفِي وَبِالْقِنَا وَالْحَطَارِ
يَوْمَ الْهِيَاجِ وَقَبَةِ الْجَبَّارِ

(١) سليمان عبد الرحمن الحقييل، نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، ط ١٥، الرياض، (د:ن)، ١٤٢٤هـ، ص ٦٧.

(٢) نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ط ٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٢٧٣٢٧٤.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٠.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٢.

(٦) يحيى الجبوري، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

(٧) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤١.

(٨) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٤.

وفي رواية^(١):

وَالْبَادِلِينَ نَفُوسَهُمْ وَإِذَا مَاءَهُمْ يَوْمَ الْهَيْجِ وَسَطْوَةِ الْجَبَّارِ

والشاعر هنا يصف حال صحابة رسول الله - صلوات الله عليه وسلّم -، وموقفهم -رضوان الله عليهم - تجاه دين نبي الله، ونصرتهم له بدمائهم وأرواحهم.

هذه أبرز القيم الإيمانية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، وسوف تورّد الباحثة في المبحث التالي القيم الأخلاقية.

المبحث الثاني: عرض وتحليل القيم الأخلاقية المتضمنة في شعر كعب بن زهير:

تعتبر الأخلاق الإسلامية هي المقوم الأول للسلوك الإنساني؛ وتنمية هذه القيم النبيلة الفاضلة مطلب ذو أهمية بالغة، تحتم على كلّ مربي مسؤولية البحث والتقصي حول قيم الأخلاق، وتنميتها لدى الطلبة؛ للوصول من خلال أبناء هذه الأمة الإسلامية إلى الريادة والسيادة بين الأمم أجمع، والمتتبع لشعر كعب بن زهير يجده عامراً بالقيم الأخلاقية، والتي كانت نتاجاً لمعاصرتة للعصرين الجاهلي والإسلامي، ولا يخفى على الجميع مدى تشبع هذان العصران بالقيم الأخلاقية، فالأخلاق الكريمة صفة وسلوك جبل عليه العربي منذ القدم، والسمات الأخلاقية الحسنة ليست بالغريبة على الأمم العربية قبل ظهور الدين الإسلامي، ومن ثمّ جاء هذا الدين، وأيد هذه القيم ورفع من شأنها، وزاد من أهميتها، وحثّ على البقاء عليها، وتنميتها في أفراد المجتمع المسلم، وكان من أبرز مهام دعوة نبي هذه الأمة محمد - صلّى الله عليه وسلّم - ترسيخ جذور مكارم الأخلاق في الفرد المسلم، واستئصال ما دونها من التقاليد والعادات الجاهلية المنبوذة، فيروى عن أبي ذر - رضي الله عنه - لما بلغه مبعث النبي - صلّى الله عليه وسلّم -، قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال: رأيتني يأمر بمكارم الأخلاق^(٢)

والأخلاق في اللغة: مفردتها خلق، والخلق في اللغة حالة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من

غير الحاجة إلى فكر وروية.^(٣)، وقيل: هو الدين والطبع والسجية.^(٤)

وعرّفت الأخلاق في نظر الإسلام بأنّها: "العمل بالقرآن الكريم والسنة المطهرة بنية مخلصّة وطيبة من غير

تكلف، ابتغاء مرضاة الله وحسن الثواب."^(٥)

أو هي: "تصور وتقييم وما ينبغي أن يكون عليه السلوك متمشية في ذلك مع مثل أعلى، أو مبدأ أساسي تخضع له

(١) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الأدب، باب رقم ٣٩: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث: ص ٧٤٩.

(٣) المعجم الوسيط، مادة (خلق)، مرجع سابق، ص ٢٥٢.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٨٩.

(٥) أحمد الحمد، التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٣٠.

التصرفات الإنسانية، ويكون مؤازراً للجانب الخير في الطبيعة البشرية.^(١)

"وينحصر الخلق الحسن في فعل ما يجمل المرء ويزينه، واجتناب ما يندسه ويشينه. أو بعبارة أخرى ينحصر في فعل الفرائض والفضائل، واجتناب المنكرات والردائل."^(٢)

ومن أبرز القيم الأخلاقية التي استنبطتها الباحثة من شعر كعب بن زهير ما يلي:

أولاً - الصبر:

الصبر: " الصبر هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله إلا إلى الله."^(٣)، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

والرسول - عليه الصلة والسلام - يقول " أفضل الإيمان الصبر والسماحة"^(٤)

وقد وردت قيمة الصبر في شعر كعب بن زهير بعدة صور منها:

١ - أن الصبر من شيم الكرام، والصبر صفة من الصفات التي تخلق بها الشاعر، يقول^(٥):

فَأَصْبِرِي مِثْلَ مَا صَبِرْتُ فَإِنِّي لَا أَخَالُ الْكَرِيمَ إِلَّا صَبُورًا

٢ - جدير على المرء أن يتخلق بالصبر، وأن يتعامل بصبر مع من حوله في جميع علاقاته، ومن ذلك قوله^(٦):

أَلَمْ تَعَلِّمِي أَنِّي إِذَا وَصَلْتُ خِلَّةً كَذَلِكَ تَوَلَّى كُنْتُ بِالصَّبْرِ أَجْدَرًا

فالشاعر يرى أنه أحق بالصبر في تعاملاته، وعلاقاته فيما بينه وما بين المحيطين به، لأنه يعلم كل العلم أن الصبر

على المكاره يحمده العواقب.

٣ - أهمية الصبر عند نزول الابتلاء والشدائد، وأن الصبر هو أكثر ما يحتاج إليه الناس عند وقوع النوازل.

ويروي الشاعر واصفاً صبر صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المهاجرين - رضوان الله عليهم -، في

قوله^(٧):

لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاخُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا

(١) حسن الشرقاوي، نحو ثقافة إسلامية، ج ١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ٢٣٨.

(٢) حامد محمد العبادي، خطب ومواعظ مختارة، ج ١، مكة المكرمة، (د. ن)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص ١٤٩.

(٣) علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٤) محمد عمر الحاجي، واحة الصالحين، ط ٣، تقدم محمد النابلسي، سوريا، دار المكتبي، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٢٩٧.

(٥) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٦) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٧) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩١.

أي: إنهم لا يفرحون إذا هزموا عدوهم؛ لأنهم اعتادوا على النصر، وإن تغلبهم على أعدائهم أصبح أمراً معتاداً ليس بالأمر الجديد، "وهم أيضاً صبر إذا نكبوا."^(١)

ثانياً - الوفاء بالعهد :

والوفاء بالعهد: "هو ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلقاء."^(٢)

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]

ويقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]

"وهذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أي: بإكمالها وإتمامها وعدم نقضها ونقصها، وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة."^(٣)

والوفاء بالعهد قيمة إسلامية وخلق نبوي كريم، وخصلة من حصل الإيمان، والمسلم مطالب بالوفاء بعهد ملزماً بإتمامه، وقد وردت قيمة الوفاء بالعهد في شعر كعب بن زهير بعدة صور، منها:

١ - أهمية الوفاء بالعهد وحفظه والوفاء بالوعد، وإنّ العهود إذا قطعت وجب تنفيذها، وفي ذلك يقول "٤):

لِنَذْرِكَ وَالتَّذْوُرُ لَهَا وَفَاءٌ إِذَا بَلَغَ الْخَزَايَةَ بِالْفَوْهَا

يشبه الشاعر العهود بالنذور والوفاء بما أمر واجب. والمؤمن ملزم بالوفاء بالعهود والعقود، ويقول أيضاً وهو يأمر بالوفاء بالعهد "٥):

فَأَوْفِ بِمَا عَاهَدْتَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِي أَبَا نَصْرٍ إِذَا سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِغُ

٢ - الفرق الكبير بين من يبر بعهد، وبين من لا يفي به، ولا يرضى له ذمة، وفي ذلك يقول "٦):

لَشَتَّانِ بَيْنَ مَنْ يَدْعُو فَيُوفِي بِعَهْدِهِ وَمَنْ هُوَ لِلْعَهْدِ الْمُؤَكَّدِ خَالِعٌ

وخلع العهد هو: نقضه."^(٦)، والوفاء بالعهد إتمامه.

(١) المرجع السابق، ص ٩١.

(٢) علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(٣) العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص ٢١٨.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٥) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥١.

(٦) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٣.

٣ - إن الله تعالى مطلعٌ على العهود ويراقب قاطعياً، وينبغي على المرء مراقبة الله في ذلك، وإتمام هذا العهد مخافة العقوبة، يقول^(١):

لِيُؤْفُوا بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ تَعَاقَدُوا بِخَيْفٍ مِنِّي وَاللَّهُ رَائٍ وَسَامِعٌ

ثالثاً - العفو والصفح:

العفو والصفح: "قيمة أخلاقية حضارية، تبعث على نشر المحبة وتحقيق السلام، وهي ذات دلالة عالية على نضج الحس الإنساني في كلِّ الحضارات وعند كلِّ الشعوب."^(٢) قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]

ويقول عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأِنَّبَاءً لِنِيبٍ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾

[الحجر: ٨٥]

والعفو والصفح: "شعورٌ نفسي يترتب عليه التسامح، والتنازل عن الحق إذا كان المعتدي ظالماً، أو جائراً، بشرط أن يكون المعتدي عليه قادراً على الانتقام، وأن لا يكون الاعتداء على كرامة الدِّين ومقدسات الإسلام، وإلا كان العفو ذلة ومهانة واستسلاماً وخضوعاً."^(٣)

ويقول الله - عز وجل - في كتابه العزيز: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

[الشورى: ٤٠]

مبيناً مدى عظم جزاء المتحلي بهذه القيمة الأخلاقية، ويقرن - عز وجل - العافين عن النَّاس والمتجاوزين عنهم مع مرتبة المحسنين؛ فهي من سبل الوصول إلى درجة التقوى والفوز بالجنة، قال تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ

وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]

وقد وردت قيمة العفو والصفح في شعر كعب بن زهير بعدة صور، منها:

١ - أن العفو من أهمِّ القيم الواجب تنميتها على مستوى الفرد والجماعة، وهي قيمة عظيمة ينبغي تربية الأبناء على

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥١.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٣) فاطمة يعقوب خوجة، تنمية القيم لدى الشباب، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ١١٣.

(٤) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ط ٢، ج ١، حلب، دار السلام للطباعة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٣٧٠.

التخلق والتطبع والتواصي بها، وفي ذلك يقول، وفي ذلك يقول^(١):

وبالعفوِ وصَّاني أبي وعشيرتي وبالذِّفَعِ عنها في أمورِ ثريبها

٢ - أن العفو والصفح الجميل قيمة إنما تنم عن حكمة صاحبها وعقله الرشيد، وفي ذلك يقول:

إن كنت لا ترهب ذمي لِمَا

فأخش سُّكوتي إذ أنا مُنصتٌ

تَعرفُ مِن صَفْحِي عَن الجَاهِلِ

فِيكَ لِمَسْمُوعِ حَنَا القَائِلِ

فقد كان الشاعر في شعره الجاهلي مفاخرًا متوعداً مههدداً حتّى إذا أسلم أخذت نفسه تصفو، وأخذ يستشعر معاني الإسلام الروحية، وما دعي إليه من الخلق الفاضل، حتّى لنراه في المهجاء نفسه يعلن لهاجيه أنه يصفح الصفح الجميل، سائفاً له لا من الشتم والسباب، بل من الحكم، ما يحاول به أن يكف أذاه عنه.^(٢)

٣ - لقد تحلّى كعب بن زهير بقيمة العفو والصفح؛ ومعلومٌ ما للدعوة من أثرٍ بالغ؛ إذ تحلّى الداعي بما يدعوا إليه، يقول^(٣):

ورضيتُ عنها بالرضا لَمَّا أتتُ

مِن دُونِ عُسْرَةٍ ضَعْفِهَا بَيْسَارِ

وفي رواية: "ورضيت عنها بالنجاء وساحت، ويروى أيضاً: بالرضا وساحت، واليسار: اليسر واللين."^(٤)

رابعا - العدل:

العدل: "هو إعطاء كلّ ذي حق ما يعادل حقه ويساويه دون زيادة ولا نقصان، وهو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذ، وهو التزام الحق قولاً وفعلاً، والمساواة بين أصحاب الحقوق، وعدم الرضا بالظلم على أي إنسان."^(٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

والعدل إنما "يكون في الحكم والابتعاد عن الجور في القضاء، ويكون بين الأولاد، وبين المتخاصمين، والعدل مع الأعداء، من غير تفرقه بين قوي ولا ضعيف، ولا بين أبيض وأسود، ولا بين عربي ولا أعجمي، ولا بين مسلم وغير مسلم، ولا بين حاكم ولا محكوم."^(٦)؛ وقد وردت قيمة العدل في شعر كعب بن زهير:

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢١.

(٢) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٨٨.

(٣) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢

(٥) عادل سعيد الزهراني، المضامين التربوية المستنبطة من أحاديث كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح أمام البخاري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣١ - ١٤٣٢هـ، ص ٢٥٦.

(٦) سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، ط ٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص ١٦١.

١ - أن العدل من القيم التي تميز المتخلق بما عن غيره من الناس، وهو يذكر ذلك في وصفه على بن أبي طالب - رضي الله عنه - أراد علياً مقيماً للعدل، عاملاً به بين الناس، وفي ذلك قوله "(١):

إِنَّ عَلِيًّا لَمَيُونٌ نَقِيْبُهُ
بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَفْعَالِ مَشْهُورٌ
بِالْعَدْلِ قَمْتُ أَمِينًا حِينَ خَالَفَهُ
أَهْلُ الْهَوَى وَذُوو الْأَهْوَاءِ وَالزُّورِ

والنقيبة: هي السحبية والطبيعة. "(٢)

يقول الشاعر أن علياً بن أبي طالب - رضي الله عنه - تحلّى بالعديد من الأخلاق والفضائل، وكان مشهوراً بذلك بين الناس، وإنَّ العدل من سجايه التي تمسك بها في الوقت الذي كان العديد من الناس من أهل الزور والأهواء، وكان هو - رضوان الله عليه - المقيم للعدل فيما بينهم.

خامساً - صون اللسان:

صون اللسان: إنَّ مسئولية الكلمة أمر عظيم، وإن من أبرز ما يترتب على الفرد العاقل البالغ مسئوليته عمّا يقول " والمسئولية في نظر الإسلام واسعة الدلالة، وهي ترمز إلى معان شتى، مناطها جميعاً شعور المرء بتبعته في كلِّ أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنَّه مسئول عنه أمام ربه، ولا عذر له في ترك الحق. "(٣)، " وعلى الفرد أن يكون راعياً ومسئولاً على نفسه، وتجاه جوارحه وأعضائه، وقواه وحواسه وكلِّ ما وهبه الله تعالى، وأن يكون رقيباً على أقواله وأفعاله. "(٤)، فلا يقول إلاّ الجميل، ولا يفعل إلاّ الفعل الحسن مراعيّاً في ذلك رب العالمين، واضعاً نصب عينيه قول الله - عزّ وجل - : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]، فعلى المسلم مراقبة كلامه، وصون لسانه، والاحتباس من الخوض في الباطل والمراء والجدال، وحفظه عن الفحش والاستهزاء، وكلِّ ما شاكل ذلك، بل عليه أن يختار الصّمت في الوقت الذي لا يكون للكلام ضرورة، وهو خلق تربوي قويم، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت. "(٥)، ويقول عليه الصّلاة والسلام: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. "(٦)

(١) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ٤١.

(٣) فاطمة يعقوب حوجة، تنمية القيم لدى الشباب، مرجع سابق، ص ٢١١.

(٤) صالح أبو عراد، دروس تربوية نبوية، ط ٣، المدينة المنورة، دار الزمان للنشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٧٥.

(٥) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، وقول النبي: - صلى الله عليه وسلم - "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"، رقم الحديث: ٦٤٧٥، ص ٧٩٧.

(٦) سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب: الإيمان عن رسول الله، باب: ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث: ٢٦٢٧، ص ٥٩٢.

وقد وردت قيمة صون اللسان في شعر كعب بن زهير بعدة صور، منها:

١ - عدم الخوض باللسان في الباطل، والبعد عن ذم النَّاس، والتقليل من شأنهم.

وَلَا تَهْجُ أَنْ كُنْتَ ذَا إِرْبَةٍ حَرْبَ أَخِي التَّجْرِبَةَ الْعَاقِلِ
فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ إِذَا هِجْتُهُ هِجْتِ بِهِ ذَا خَبِلِ خَابِلِ

يقول الشاعر: إنَّ الذين يبسطون ألسنتهم بالهجاء سرعان ما يرتد عليه هجاء مرأً ومقدعاً، سواء بالحق وبالباطل،

والشاعر هنا يقوم بتقريع من هجوه بدلاً من الطعن في الأعراض سننهم القديمة.^(١)

ويقول في مثل ذلك أيضاً^(٢):

أَبَيْتُ فَلَا أَهْجُو الصَّدِيقَ وَمَنْ يَبِيعُ بِعَرَضٍ أَبِيهِ فِي الْمَعَاشِرِ يَنْفَقُ
- ٣ - التحفظ في القول والحرص على البعد عما يعتذر منه، فإنَّ الكلمة السيئة تعود على صاحبها بالضرر.
ومنه قوله^(٣):

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ دَمُوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرٍ سَائِلِ

٤ - حفظ الأسرار والحرص على عدم إفشائها، وإنَّ أفضل الأسرار وأحصنها هي التي يحتفظ بها المرء في مكان نفسه فتكون أكثر أماناً، ومنه قوله^(٤):

لَا تَقْشِرْ سِرِّكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي ثِقَةٍ أَوْ لَأْ، فَأَفْضَلُ مَا اسْتَوْدَعْتَ أَسْرَاراً

ويسترسل الشاعر في وصف الشَّخص الأمين المستودع على السر، فيقول^(٥):

صَدْرًا رَحِيبًا وَقَلْبًا وَاسِعًا صَمْتًا لَمْ يَخْشَ مِنْهُ لِمَا اسْتَوْدَعْتَ إِظْهَارًا

٥ - شراكة السامع للقائل في الشر، وتساويهما في الخوض في الحديث الباطل الذي يلحق الضرر بالآخرين، ولا طائل

منه سواء كان نغمة أو هزل، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ

(١) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٨٨.

(٢) محمود خليفة، عصام فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٧٢.

(٣) احمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٢ مرجع سابق، ص ١٧٢.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٨٣.

فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿النساء: ١٤٠﴾، وفي ذلك قول الشاعر^(١):

فَالسَّامِعُ الدَّامِ شَرِيكَ لُهُ وَمُطْعِمُ المَأْكُولِ كَالْأَكْلِ

٦- صون اللسان والبعد عن الفحش في الكلام؛ ويجذر من عواقب هذا التطاول، فيقول في ذلك^(٢):

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُقْصِرْ عَنِ الجَهْلِ أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

"وقال العتيبي في مثل ذلك: حدثني أبي عن سعد القصير قال: نظر إلى عمرو بن عتبة ورجل يشتم رجلاً بين يدي، فقال لي: ويلك - وما قال لي ويلك قبلها - نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن الكلام به، فإنَّ السامع شريك القائل، وإنه عمد إلى شرِّ ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو ردت كلمة جاهل في فيه، لسعد رادها كما شقي قائلها."^(٣)

سادساً- العطاء والبذل:

يعد العطاء والبذل من مكارم الأخلاق، وهو بشكل مختصر أن تقدم لغيرك ما تجود به نفسك، من غير مسألة منهم واستجداء، وهو معنى من معاني المنح، وهي من أعظم القيم الإسلامية الواجبة التنمية في نفوس أبناء الأمة، لما لها من منفعة عامة تشمل القريب والبعيد، حيث تخلق جواً من الترابط والتآلف بين أبناء المجتمع، وتكسو صاحبها مكانة ورفعة بين الناس، ومما يؤيد ذلك قول الرسول - عليه الصلاة والسلام -:"اليد العليا خير من اليد السفلى."^(٤) فالمعطي أعلى منزلة من الآخذ، وأعظم مكانة؛ لأنه بعمله هذا يفرج كرب المسلمين، ويقضي عنهم ما أهمهم من أمر الدنيا، والشخص الباذل المعطاء له مكانته في المجتمع التي لا يصبو إلى الوصول إليها كل ذي لب، وقد وردت قيمة البذل والعطاء في شعر كعب بن زهير على الوجه التالي:

١ - أن العطاء والبذل من أبرز قيم الصحابة أنصار رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي ذلك قوله^(٥):

تَرْنُ الجِبَالِ رَزَانَةً أَحْلَامُهُمْ وَأَكْفُهُمْ خَلْفٌ مِنَ الأمْطَارِ
والبَازِلِينَ نَفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ يَوْمَ الهِجَابِ وَقُبَّةِ الجَبَّارِ

حيث شبه الشاعر عقول الصحابة الأنصار الأخيار - رضوان الله عليهم - بالجبال في الرزانة والحكمة، ويصل في

(١) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٨٨.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٣) احمد بن محمد أبن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٢ مرجع سابق، ص ١٢١.

(٤) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غني، رقم الحديث: ١٤٢٧، ص ١٨٠.

(٥) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٩.

وصفهم إلى أعلى مراتب العطاء والبذل، فيجعل عطاءهم بمنزلة الغيث والمطر، ومن المعروف أن المطر هو أسمى ما يحبه العرب، والغيث بالنسبة لهم هو الحياة، فسُمي كعب بن زهير ببذل الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى أعلى درجات العطاء حين شبههم بالمطر.

سابعاً - الشجاعة والإقدام:

الشجاعة هي: "هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والحين، بما يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها، كالقتال مع الكفار ما لم يزيدوا على ضعف المسلمين."^(١)، وعلى المسلم أن يتحلى بقيم الشجاعة والإصرار، خاصة في الأمور التي يتحصل من خلالها على خيري الدارين والدنيا، وأن يبذل كامل وسعه في ذلك، بالتوكل على الله تعالى أولاً، ثم العزيمة والجد بكل قوة وثبات، والدين الإسلامي إنما عني بتكوين الشخصية المسلمة الصلبة القوية، القادرة على التأثير، ومن ثم التغيير الإيجابي؛ فبذلك تقوى الأمم ويشتد عضدها، أفراد وجماعات مكونين مجتمعاً صلباً، يعدّ منطلقاً لمواجهة العدو، فقد قال تعالى آمراً باتخاذ كل سبل القوة الحسية والمعنوية في مواجهة العدو: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد وردت قيمة الشجاعة والإقدام في شعر كعب بن زهير بعدة صور، منها:

١ - الجد في طلب الحاجة بشجاعة وإقدام وإصرار، وعدم الاستسلام دون تحقيق المبتغى، يقول "٢):

وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْهَوْلَ بَغِيَةً وَلَيْسَ لِرَجُلٍ لِحَطَّةِ اللَّهِ حَامِلٌ

ومنه قوله "٣):

وَعَنْ اِعْتِنَاقِي ثَابِتاً فِي مَشْهَدٍ مُتَنَافِسٍ فِيهِ الشَّجَاعَةُ لِلْفَتَى

٢ - الشجاعة في الحرب، والصمود والثبات أمام العدو والقتال ومواجهة عدوهم بكل قوة، يقول "٤):

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ نَزَلَتْ بِهِمْ شَهَاءٌ ذَاتَ مَعَاقِمٍ وَأَوَارٍ

الشهباء: الكتيبة التي يلمع سلاحها، المعاقم: أي الهلاك، الأوار: شدة الحرب وضراوتها."٥)

ومنه قوله "٦):

(١) علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٠.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٧.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٠.

(٦) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩١.

لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْوِهِمْ مَا إِنَّ لَهُمْ عَن حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ

هم مقاتلون شجعان، "لا يقع الطعن إلا في أعلى صدورهم؛ لأنهم يواجهون العدو عند اللقاء ولا يفرون. وتهليل: بمعنى تكذيب، يقال هلل الرجل إذا جبن في حملته."^(١)

ثامنًا - الأخذ بالنصيحة:

الأخذ بالنصيحة: أي قبول الإرشاد والتوجيه، وتطبيق كل ما هو مأخوذ ممن هم أهل للدعوة والنصح والإرشاد، الداعيين لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال. قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - : إن شئتم لأنصحن لكم. إن أحبّ عباد الله الذي يحببون الله تعالى إلى عباده، ويعملون في الأرض نصحاء.^(٢)

فالمناصحة بين الناس قيمة أخلاقية ذات أهمية، والأخذ بهذه النصيحة لا يقل أهمية عن وجوب النصح بين الناس. وقد وردت قيمة الأخذ بالنصيحة في شعر كعب بن زهير بعدة صور، منها:

١ - أهمية أخذ النصح وحفظه ممن هم أصحاب خبرة وعلم وتجربة، يقول^(٣):

وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ مَنْ هُوَ نَاصِحٌ لِي عَالِمٌ بِمَا قِطِبِ الْخِلَافِ

٢ - أن قبول النصح من الأخلاق الكريمة التي تحمل الفرد وتسمو به، وفي ذلك قوله^(٤):

أَكْرَمُ بِهَا خَلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ مَوْعُودَهَا، أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولٌ

والمعنى: ما أكرمها خليلاً لو وفيت بالوعد وقبلت النصح.^(٥)

تاسعًا - الأمانة:

الأمانة وهي: "القيام بالتكاليف التي كلف الله بها الإنسان، والأمانة أمر جامع لكل ما كلف به الفرد أو استؤمن عليه، وهي تشمل حقوق عدة، منها: حقوق الله تعالى، ومنها حقوق العباد."^(٦)

ومنه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ

(١) المرجع السابق، ص ٩١.

(٢) شهاب الدين محمد الأبيشي، تحقيق مصطفى الذهبي، المستطرف في كل فن مستظرف، مرجع سابق، ص ١١٢.

(٣) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٤) محمود حسن زيني، قصيدة البردة لكعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩٥.

(٥) المرجع السابق، ص ٩٥.

(٦) أحمد العليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٢٧-٢٢٨.

ظَلُّومًا جَهُولًا ﴿ [الأحزاب: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ زَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨]، ويقول عزّ وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧] ويقول عزّ وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]

وحفظ الأمانة صفةٌ يعتز بها كعب بن زهير، ويمدح نفسه بها، ويجعلها ممّا يحمد بها فعله وفعل الآخرين، وقد وردت قيمة الأمانة في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - إِنَّ الأمانة هي ضد الخيانة؛ وإن رعايتها أمر يحتم على المرء تأدية ما استؤمن عليه، وعدم التفريط والتهاون به، حيث لا يحمد عقبي الخيانة، يقول في ذلك^(١):

أزعى الأمانة لا أخون أمانتي إنَّ الخونَ على الطريقِ الأُنكبِ

عاشراً - العزة:

العزة وهي: "حالة مانعة للإنسان من أن يغلب." ^(٢)، وهي القوة والشدة والغلبة والعز والعزة والرفعة والامتناع، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّيْمَاتِ الْكَافِرَاتِ وَالْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨]. اعتزاز الفرد أو الجماعة بما يتميزون به عن غيرهم من المكارم الأخلاقية، أو الصفات التي من الله - عز وجل - بها عليهم، ويميزهم من خلالها عن غيرهم، أمر من الأمور التي ميّزت العرب، ميّزهم الله بالعديد من الصفات، والتي تغنى ببعضها كعب بن زهير في شعره، وقد وردت قيمة العزة في:

١ - أنّ العزة والرفعة من أهمّ صفات صحابة رسول الله - رضوان الله عليهم -، وأهمّ سادة قومهم، وخير المسلمين، يقول^(٣):

وَرثُوا السِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِنَّ الْكِرَامَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ

ويفاخر الشاعر بعزة ورفعة قومه وعشيرته، فيقول^(٤):

أعيرتني عزّاً عزيزاً ومعشراً كراماً بنوا لي المجد في بادخ أشم

والبادخ: العظيم الشأن، والأشم تعني: العالي.^(٥)

١١ - التفاضل

(١) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٣.

(٢) الحسين بن محمّد الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٦١م، ص ٣٣٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١.

(٤) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩٩.

(٥) المرجع السابق، ص ٩٩.

التفاؤل: "من الفأل، والفأل اصطلاحاً: هو الكلمة الصالحة أو الكلمة الطيبة أو الكلمة الحسنة، مصداقاً ذلك ما

جاء في الحديث الشريف من أنه عليه الصلوة والسلام: (سئل ما الفأل؟ فقال: الكلمة الصالحة يسميها أحدكم)."^(١)

ومن ثمّ يكون المراد بالتفاؤل: انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح أو

الحسن."^(٢)

وإنّ تنمية قيمة التفاؤل من الأمور التي تبعث الطمأنينة والرضا والثقة في النفس، وعلى النقيض تماماً اليأس الذي

حذر من الله تعالى في القرآن الكريم بل ويصف أصحاب هذه الصفة بالكفر، فيقول عزّ وجلّ:

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]

وقد وردت قيمة التفاؤل في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - تقديم الفأل الحسن على سوء الظن، يقول"^(٣):

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُورٌ

وفي رواية:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْوَعْدُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُورٌ

وفي قول الشاعر والوعد تفاؤل بقبول الرسول الكريم له وعفوه عنه، فالوعد في الخير والإيعاد في الشر، وقوله:

والعفو عند رسول الله مأمول أي: العفو عنده مأمول بعد الإيعاد."^(٤)

٢ - الرضا بقضاء الله تعالى من خلال التفاؤل بانفراج كل غمة، والبقاء على الأمل بالله الذي هو ضد اليأس والقنوط،

يقول"^(٥):

إِنْ يَفْنَى مَا عِنْدَنَا فَاللَّهُ يَرْرِقْنَا وَمَنْ سَوَانَا وَنَحْنُ لَيْسَ نَرْتَرِقُ

وله قوله"^(٦):

وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لَا تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَنْثَرُ

(١) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير، ج ٤، رقم الحديث: ٢٢٢٣، ص ١٧٤٥.

(٢) بثينة محمد هوساوي، منهج التربية الإسلامية في تربية النفس على التفاؤل وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ، ص ٨.

(٣) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٤) محمود حسن زيني، قصيدة البردة لكعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٥) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٦) المرجع سابق، ص ٤٠.

١٢ - ذم البخل

البخل هو ضد الكرم، الكرم هو الصفة المحمودة التي تعني "الإعطاء بالسهولة"^(١)، "والبخل صفة ذميمة، وخصلة مقبحة، وهي تعني منع الحق عن مستحقه، وهو من أسوأ الأخلاق الإنسانية وأقبح الصفات البشرية، لأنه يتنافى مع سمات المجتمع المسلم الذي ينبغي أن يكون مجتمع التكافل والتضامن والتعاون."^(٢) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في التحذير من هذه الصفة، "خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق."^(٣)

ومن أخلاق الجاهلية والإسلام ذم البخل، والحث على الجود، والتحبيب في التحلي بكل ما يحمد من أفعال الخير، كالإعطاء والإنفاق والجود، والله -عز وجل- إنما يوصي بالتحلي بهذا الخلق القويم، والتمثل به سلوكاً عملياً، ويحجز ذلك بجزء عظيم في كتابه الكريم، فيقول عز وجل: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقد وردت قيمة ذم البخل في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - الحرص على اختيار الصديق الكريم، والبعد عن الرفيق البخيل، يقول"^(٤):

وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَلُولِ وَلَا الَّذِي يَلُومُ عَلَى الْبُخْلِ الْبَخِيلِ وَيَبْخُلُ

يوضح الشاعر أهمية اختيار الصديق والصاحب، وبما أن الصديق له قوة تأثير كبيرة على أقرانه، فإنه ينصح بالبعد عن الصاحب البخيل.

٢ - استنكار الشاعر لصفة البخل، وفي ذلك يقول"^(٥):

فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهَا شَمَائِلًا فَمَا شئتَ مِنْ بُخْلِ وَمِنْ مَنعٍ نَائِلِ

والشمائل: الخلائق."^(٦)

٣ - أن البخل ومنع العطاء من أسوأ الصفات التي قد يتصف بها الإنسان، وهي صفة مقرونة بالجن، وكلاهما صفتان يبغيضها الإسلام، فقد استعاذ منهما المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - بقوله: [اللهم إني أعوذ بك من البخل،

(١) علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، مرجع سابق، ص ١٦٨.

(٢) صالح أبو عراد، دروس تربوية نبوية، مرجع سابق، ص ١٥٢-١٥٣.

(٣) الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد الجامع للأدب النبوية، مرجع سابق، باب: الشح، رقم الحديث: ٢٨٢، ص ١٥٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٧٧.

(٥) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٦) المرجع السابق، ص ٩٢.

وأعوذ بك من الجبن.^(١)، ويقول كعب بن زهير في ذلك^(٢):

بُخْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنًا مِنْ عَدْوِكُمْ لَيْسَتْ الْخِلْتَانِ الْبُخْلُ وَالْجُبْنُ

٤ - تأييد الشاعر لخلق الكرم ومدحه للممدوح بالكرم والسماحة، يقول^(٣):

فَتَى لَمْ يَدْعَ رُشْدًا وَلَمْ يَأْتِ مُنْكَرًا وَلَمْ يَدْرِ مِنْ فَضْلِ السَّمَاحَةِ مَا الْبُخْلُ

فالشاعر هنا يمدح ويثني على ممدوحه بأخلاقه الحسنة، فيقول إنَّ لهذا الفتى لا يترك أي أمر رشيد إلا وجاء به وصنعه، وفي المقابل فهو يتعدى كلَّ البعد عن المنكرات، وأنه من غلبة السماحة به وبجس أخلاقه لا يُعرِّف ما هو البخل.

١٣ - حفظ الجميل:

حفظ الجميل: هو العرفان والامتنان، وشكر ذي الفضل على فضله والوفاء لصانع المعروف، وهي من خصال المروءة والشهامة، والتفلس الإنسانية تميل لمن أحسن إليها، وتحبَّ حفظ الجميل ورده لصانعيه امتناناً لهم، وتقديراً لمعرفهم. وقد وردت قيمة حفظ الجميل في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - حفظ الجميل للوالدين، وتخليد ذكراهم، وتمجيدهم في الشعر من الإحسان لهما، والتكريم لعظيم شأنهما، يقول^(٤):

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُخْزِنِي فِي حَيَاتِهِ وَلَمْ أَخْزِهِ حَتَّى تَغِيْبَ فِي الرَّجْمِ
فَأَعْطَى حَتَّى مَاتَ مَالًا وَهَمَّةً وَوَرَّثَنِي إِذْ وَدَّعَ الْمَجْدَ وَالْكَرْمَ

إنَّ الشاعر إنما يحفظ الجميل لوالده، ويقول: إنه لم يخزّه حينما كان على قيد الحياة، وكعب في المقابل حفظ له الإحسان، ولم يخز أباه حتى مات، وتغيّب في الرجم: بمعنى القبر.^(٥) ويقول الشاعر: إن والده كان نبعاً من العطاء، وأنه ورث منه المجد والكرم.

وكعب في حفظه لجميل والده، وتخليده له ولذكراه يقول أيضاً في قصيدته التي أسماها بنواطق خالدة، يقول^(٦):

وَأَفْنَى شَبَابِي صُبْحُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٌ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مُسِيئَةٌ وَمَشَارِقُهُ
وَأَذْرَكْتُ مَا قَدْ قَالَ قَلْبِي لِدَهْرِهِ زُهَيْرٌ وَإِنْ يَهْلِكُ تُخَلِّدُ نَوَاطِقُهُ

(١) صحيح البخاري، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من البخل، الحديث رقم: ٦٣٧٠، ص ٧٨٥.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٩٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٩٨.

(٦) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٤.

وهو في ذلك كأنما يريد على أبيات شعرية قد نظمها والده زهير بن أبي سلمى عندما قال^(١):

فَلَوْ كَانَ حَمْدًا يُخَلِّدُ النَّاسَ لَمْ وَلَكِنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخَلِّدٍ
وَلَكِنَّ مِنْهُ بَاقِيَاتٌ وَرَائَةً فَأَوْرَثَ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَرَوُدَ

فزهير هنا إنَّما يقول: إن الفعل المحمود يخلد بما يبقى ويتوارث، فأورث بنيك بعض مكارمك ومحامدك حتى تكون لك زاداً لأخرك، وذكرى تنفعك في دنياك، ووجد ابنه كعباً خيراً من خلد ذكره، وتاريخ شعره العريق.

١٤ - الثبوت والتبين قبل الحكم:

الثبوت والتبين قبل الحكم: أي عدم الاعتماد على الظنون الضعيفة والشكوك والأوهام دون الاستناد على أدلة قطعية تدين المظنون، لما في ذلك من أضرار بالناس، وخدش لأعراضهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وفي الآية تأكيداً على أهمية الثبوت والتأكد من المعلومة قبل إصدار الحكم؛ لأنَّ من أهم ما أمر الله تعالى به صيانة عرض المسلم وسمعه.

والتسرع في الحكم على الآخرين دون تثبت من الجهل والطيش، وهو من الأمور التي نهانا الله - عز وجل - عنها، وأمرنا بالتأني والتدقيق والتمعن قبل إصدار الأحكام، وتقييم الناس، والتعميم عليهم.

وقد وردت قيمة الثبوت والتبين قبل الحكم في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - عدم الحكم على الأمور من خلال ما نسمع، ومن الأهمية بمكان الاستماع إلى جميع الأطراف، والحرص على تقصي الحقائق. وفي ذلك يخاطب كعب بن زهير نبي الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - فيقول^(٢):

لَا تُأَخِذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبُ وَلَوْ كَثُرَتْ عَنِّي الْأَقَاوِيلُ

٢ - أهمية أخذ الوقت الكافي في التفكير قبل اتخاذ أي قرار مهماً كان نوع هذا القرار، وتحكيم العقل في اتخاذه. يقول^(٣):

عَدَلْتُهُ حَتَّى إِذَا قَالَ إِنِّي - فَذَرِينِي - سَأَعْقِلُ التَّفْكِيرَ

١٥ - الجزء من جنس العمل:

"إنَّ الجزء هو النتيجة المترتبة على المسؤولية، ويكون حسناً لمن جاء بالمعاملات الخيرة، وشرراً لمن بالخلق والتعامل السيئ." ^(٤)، ويقول تعالى في كتابة العزيز: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] أي: الذي مقصوده مقصود السيئ.

(١) عبد الله عبد الكريم العبادي، شاعرية زهير بن أبي سلمى في ميزان النقد، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

(٢) محمود حسن زيني، قصيدة البردة لكعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١١١.

(٣) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٤) أحمد العليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٨٣.

سيئ وماله ما يرمي إليه سيئ باطل، فمكرهم إنما يعود عليهم." (١)

ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨]

ويقول تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، ومن أقوال العرب المأثورة مقولة: (كما تدين تدان) وهذه

العبارة إنما توضح معنى قيمة الجزاء من جنس العمل، فالإنسان إنما يوفى ما عمل، ومثلما زرع الإنسان سوف يحصد،

يقول الله - عز وجل - في كتابه العزيز: ﴿جَزَاءُ وِفَاقًا﴾ [النبا: ٢٦] أي: جزاء لهم ووفقاً على ما عملوا من الأعمال." (٢)

ومن المعروف في التعاملات بين الناس والعلاقات الإنسانية مبدأ أن من يطرق أبواب الناس سوف يطرق بابه،

وهذا إنما جزاء عمله، لذلك وجب على كل إنسان توخي الحذر في الخوض بالكلام في الناس، والكف عن تتبع عورات

المسلمين، فهي لن تعود على فاعلها إلا بما هو أقيح أثراً، وأبقى وسماً. ولقد وردت قيمة الجزاء من جنس العمل في شعر

كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - أن من يبسط لسانه بالهجاء والتطاول سرعان ما يعود عليه هجاؤه وقذعه بشكل أمر، وأن مقالة السوء إنما ترجع

إلى أهلها بشكل أسرع، وهم المتضررون منها بشكل أكبر، يقول " (٣):

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمَّةِ دَمُوهُ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مَنَحْدِرِ سَائِلِ

١٦ - التوازن:

التوازن: بمعنى الاعتدال في الحالة العاطفية، فلا غلو في سعادة ولا تقصير في حزن، والاتزان مطلب مهم من

مطالب التربية الإسلامية في السلوك الإنساني، وفي جميع النواحي الحياتية بشكل عام، والتوازن من القيم الإسلامية التي ربما

تميز وتفرد الدين الإسلامي بها عن غيره من الديانات الأخرى، ففي جميع الثقافات والديانات تجد قيمة التوازن غائبة تماماً،

وتجد إما أن يطغى الغلو والإفراط، وإما أن يطغى التفریط والتقصير على خلاف قيم الدين الإسلامي المتوازنة المعتدلة. وقد

وردت قيمة التوازن في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - التوازن بين العقل والعاطفة واتزان المشاعر وردة الفعل. يقول " (٤):

لَا يَفْرُحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاخُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا

فالمسلمون المقاتلون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا يتصفون بالاتزان في المشاعر، فهم كما يصفهم

(١) الإمام العلامة عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص ٦٩١.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٠٧.

(٣) احمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٢، مرجع سابق، ص ١٧٢.

(٤) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩١.

الشاعر معتدلين في ردة فعلهم حول الأحداث من حولهم في الحر؛ فإن كانت الحرب لصالحهم ونالت رماحهم النصر فهم معتادون على هذا النصر، وهو ليس بالأمر المستجد عليهم، وإن كانت الحرب قاسية عليهم ووجدوا منها المشقة والتعب فهم ليسوا بالمجازيع، بل هم صبورون متوازنون في ردة فعلهم بين هذا وذاك، وفي جميع الحالات مع النصر وغيره.

١٧ - الحياء والعفة:

الحياء والعفة: "خلق باطن، وحقيقته خلق ينبعث عن فعل حسن وترك القبيح، والاستحياء من الحياء، واستحيا الرجل من قوّة الحياء فيه لشدة علمه بمواقع العيب"^(١)، وفي قوله عزّ وجل: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، والعفة هي: "كف النفس عن المحارم وعمّا لا يجمل بالإنسان فعله."^(٢)، وقد وردت العفة في كف النفس عن المحرمات، والبعد عن الزنا في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَّعْفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣]، وفيما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنّه قال: "الحياء لا يأتي إلّا بخير."^(٣) وقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - من كسأ بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه."^(٤)؛ وقد وردت قيمة الحياء في شعر كعب بن زهير على النحو التالي"^(٥):

إِنِّي امْرُؤٌ أَقْبَىٰ الْحَيَاءِ وَشِيَمَتِي كَرَمُ الطَّبِيعَةِ وَالتَّجَنُّبُ لِلْحَنَا

أقنى الحياء: أحفظه وألزمه، الحنا بمعنى: الفحش في الكلام وغيره."^(٦)

١٨ - الحلم والتروي:

الحلم والتروي: "الحلم هو الثبوت في الأمور والأناة، وهذا من شعار العقلاء، والحليم في صفات الله - عزّ وجل - هو الصبور الذي لا يستغربه غضب."^(٧)، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبَتِمْسِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، والحلم والتروي صفة من صفات الأنبياء - عليهم السلام -، يقول الله - عزّ وجل - : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] قال عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - حليم: "أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه من الزلات، لا يستغربه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، وعليكم أن تقتدوا وتتبعوا ملة إبراهيم في كلّ شيء."^(٨)، وقال الله -

(١) أحمد العليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢١١.

(٢) عبد الرحمن حسن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط ٢، دمشق، دار العلم، ٢٠٠٢م، ص ٥٨١.

(٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الأدب، باب: الحياء، رقم الحديث: ٦١١٧، ص ٧٥٨.

(٤) شهاب الدين محمد الأيشي، تحقيق مصطفى الذهبي، المستطرف في كلّ فن مستطرف، مرجع سابق، ص ١٨١.

(٥) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١١.

(٦) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٧.

(٧) زينب جمال الدين فلمبان، مبادئ تربوية من ديوان الإمام الشافعي، مرجع سابق، رسالة ماجستير، ص ١٩٢.

(٨) عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص ٣٥٣.

-عزّ وجلّ- عن إسماعيل في معرض البشارة به لأبيه إبراهيم - عليه السلام-: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَلْمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفافات: ١٠١]
فالعلم والتروي خلق إسلامي تدلان على كمال العقل وسعة الصدر والرشد، وقد وردت قيمة الحلم والتروي في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - أن الحلم والتروي وترك العجلة أمر مستحب، وخلق مستحسن في الفرد، وأن التسرع وعدم التروي يؤديان بصاحبهما في الوقوع فيما لا يسر؛ يقول في ذلك^(١):

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُقْصِرْ عَنِ الْجَهْلِ وَالخَنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

وقوله^(٢):

صَمُوتٌ وَقَوْلٌ فَلِلْحَلْمِ صَمْتُهُ وَبِالْعَلْمِ يَخْلُو الشَّكُّ مِنْطِقُهُ الْفَضْلُ

٢ - أهمية الحلم والتفكير العميق قبل اتخاذ القرارات، أو الحكم على الآخرين، والبعد عن التسرع، يقول في ذلك^(٣):

عَدَلْتُهُ حَتَّى إِذَا قَالَ إِنِّي - فذريني - سَأَعْقِلُ التَّفَكِيرِ

١٩ - الزهد

أما الزهد فهو في اللغة: ترك الميل إلى الشيء، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: "هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك."^(٤)، "الزهد يعني الاستغناء عن اللذة إذا خشى التماذي فيها."^(٥)، وكون الإنسان غنياً متعففاً عما في أيدي الناس، راضياً بما قسم الله له، وطامعاً وراغباً فيما عند الله وحده، لأمر يصل بالفرد إلى العزة التي لا ذل معها، فالزهد يورث القناعة؛ والقناعة مال لا نفاذ له.

والرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس."^(٦)، ويقول - عليه الصلاة والسلام - في ثمرة الزهد ما رواه أبي هريرة - رضي الله عنه-: "الزهد في الدنيا يريح القلب والجسد."^(٧)؛ وقد وردت قيمة الزهد في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - أن الزهد يشمر الراحة، وثمره الحرص التعب، والله - عزّ وجلّ- قد تكفل بتصريف شؤون العباد.

(١) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٢) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٣) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٤) المرجع سابق، ص ١٠٨.

(٥) زينب جمال الدين فلمبان، مبادئ تربوية من ديوان الإمام الشافعي، مرجع سابق، رسالة ماجستير، ص ١٧٨.

(٦) الإمام زكي الدين عبد العظيم المنذري، الترهيب والترغيب من الحديث الشريف، بيروت، دار الكتاب، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، رقم الحديث: ١/٤٦٩٨، ص ٥٥٠.

(٧) المرجع السابق، رقم الحديث: ٣/٤٧٠٠، ص ٥٥٠.

يقول^(١):

فَلَا تَخَافِي عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَانْتَظِرِي فَضْلَ الَّذِي بِالْعَيْنِ مِنْ عِنْدِهِ نَتَّقُ
إِنْ يُفْنِي مَا عِنْدَنَا فَاللَّهُ يَرْزُقُنَا وَمَنْ سِوَانَا وَلَسْنَا نَحْنُ نَرْزُقُ

ولقد قال في ذلك علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: " الرزق رزقان: فرزق تطلبه ورزق يطلبك، فإنلم تأته أتاك."^(٢)، ويقول أيضا^(٣):

يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ مُدْرِكُهَا وَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُنْتَشِرٌ
وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لَأَ تَنْتَهِيَ الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَنْرُ

ونجد أن الشاعر يميل في بعض شعره إلى حياة الزهد، ويرى أن إذا ما أراد الله به خيراً فسوف يكون، وهو يقول: إن الإنسان يسعى لأمر ربما لن يدرك منها شيئاً، وقد نجد المتأمل في شعره يقول: إن كعباً اكتسب خبرة كبيرة من صروف الحياة وتقلباتها.

٢٠ - ثقافة الاعتذار:

يعتبر الاعتذار مهارة من مهارات التواصل الاجتماعي، فالاعتذار عما بدر من المرء من سلوك خاطئ أو سوء تصرف خلق كريم من أخلاق الدين الإسلامي، وهو من سبل توطيد العلاقات بين الناس، لما له من طابع إيجابي في إثبات الشخص المعتذر أنه مازال يحتفظ بأواصر المحبة بينه وبين الطرف الآخر، وثقافة الاعتذار من قيم الإنسان الأخلاقية العالية، التي تنم عن عقل رشيد، وشخصية قادرة على مواجهة الحياة، فالاعتذار لغة سامية يعبر فيها الإنسان عن مدى ندمه على خطئه، والجميل في الاعتذار أنه يقي كرامة الفرد دون تنازل إلى جانب، أنه يبعث في النفس الشعور بالرضا والراحة والتشجيع، فللاعتذار قدرة هائلة على تصالح الفرد مع نفسه، وتصفيه الروح من الضغائن والأحقاد، فحياة الفرد إنما تقوم على السلام النفسي الذاتي أولاً، ثم السلام مع الآخرين ممن حوله، فالانتصار على النفس؛ والتي تأمر صاحبها بالتعالي وعدم الاعتراف بالخطأ شعور يدفع صاحبه إلى الطمأنينة، وهو مطلب أساس لراحة الفرد واستقراره، لذلك حري بنا تنمية هذه القيمة التربوي، والنظر إليها بعين الاعتبار، فهي متطلب أخلاقي ذو أهمية بالغة.

وللشاعر كعب بن زهير شعراً خالداً في موضوع الاعتذار، قصيدة ذات شهرة واسعة كانت من أهم أسباب تخليد ذكر كعب بن زهير، وتخليد شعره، القصيدة التي جاء فيها تائباً معتذراً بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٢) احمد بن محمد أبن عبد ربه الأندلسي، ج٢، العقد الفريد، مرجع سابق، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٠.

أن " كتب له أخوه بجير أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقتل كلَّ من يؤذيه من شعراء المشركين، فإنَّ كانت لك في نفسك حاجة؛ فأقدم على رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فإنَّه لا يقتل أحداً جاء تائباً." (١)

فجاء معتذراً عما بدر منه من هجاء للرسول الكريم؛ وقد نالت القصيدة إعجاب الرسول - عليه الصلاة والسلام-، ممَّا جعله يخلع برده الكريمة، ويقدمها هدية لكعب بن زهير؛ فكان هذا العطاء النبوي المبارك ثمرةً من ثمرات الاعتذار، لذلك نسبت هذه الأبيات إلى هذه البردة، وسميت بقصيدة البردة، والتي يقول في مطلعها" (٢):

بَانَتْ سَعَادُ، فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مُتِيمٌ إِثْرَهَا، لَمْ يُجْزِ مَكْبُولٌ

ويقول فيها معتذراً" (٣):

أُنْبِتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ
مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً الْقُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلٌ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ أُذْنِبْ وَقَدْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ

٢١- الحكمة:

الحكمة: "هي اسم لكل عمل حسن وعمل صالح، والحكمة لا يمكن خروجها من معنيين هما: العلم وفعل الصواب." (٤)، وقيل هي: "إتقان الأمور وإحكامها باستئزال الأمور منازلها وتوضع في مواقعها." (٥)

يقول عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقد أوردت الباحثة - فيما سبق - نماذج الحكمة في شعر كعب بن زهير، وتم التطرق لها في مبحث خصائص شعر كعب بن زهير الفكرية، والتي تم تحليلها والتعليق عليها، وسوف تورده الباحثة بعضاً من هذه النماذج التي تدلل على حكمته، ووقاره، وفصاحته، ورأيه الرشيد؛ وهي نماذج شعرية نادى فيها كعب بن زهير بالتمسك بالمثل العليا، والترفع عن الرذائل، والسمو بالنفس، والتي يجب أن يكون عليها السلوك الإنساني، وأن يتعامل بها في جميع تعاملاته؛ سلوك الفرد مع ربه، وسلوك الفرد مع من حوله من عناصر مجتمعه والمجتمعات الأخرى؛ ومنها قوله" (٦):

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لِأَعْجَبَنِي سَعْيُ الْفَتَى وَهُوَ مَخْبُوءٌ لَهُ الْقَدْرُ

- (١) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤ - ٥.
- (٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٠.
- (٣) المرجع السابق، ص ٦٥.
- (٤) ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط ٢، دمشق، دار ابن كثير / المدينة المنورة، دار التراث، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٥٢-٥٣.
- (٥) محمد صالح بن عثيمين، الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، الرياض، دار المسلم، ١٤١٧هـ، ص ٣٥.
- (٦) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٠.

يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا
وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودًا لَهُ أَمَلٌ
وَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُتَشَرُّ
لَا تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَثَرُ

وقوله^(١):

أَعْلَمُ أَنْ مَتَى مَا يَأْتِينِي قَدْرِي
بَيْنَا الْفَتَى مُعْجَبٌ بِالْعَيْشِ مُغْتَبِطٌ
فَلَيْسَ يَحْبِسُهُ شُحٌّ وَلَا شَفَقٌ
مَرُّ الدُّهُورِ وَيُفْنِيهِ فَيَنْسَحِقُ
إِذَا الْفَتَى لِلْمَنَابِيا مُسْكِمٌ غَلِقُ
فَضْلُ الَّذِي بِالْغِنَى عِنْدَهُ نَقِ
وَالْمَرْءُ وَالْمَالُ يَنْمَى ثُمَّ يُذْهِبُهُ
فَلَا تَخَافِي عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَانْتَظِرِي
إِنْ يَفْنَا مَا عِنْدَنَا فَاللَّهُ يَرْزُقُنَا
وَمَنْ سِوَانَا وَلَسْنَا نَحْنُ نَرْزُقُ

ومنه وقوله^(٢):

إِنْ كُنْتُ لَا تَرْهَبُ ذَمِّي لِمَا
فَإخْشَ سُكُوتِي إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ
تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ
فِيكَ لِمَسْمُوعِ خَنَا الْقَائِلِ
فَالسَّمْعُ الدَّمَامِ شَرِيكَ لَهُ
وَمَطْعُمُ الْمَأْكُولِ كَالْأَكْلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا
أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرِ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ
ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
فَلَا تَهْجُحُ إِنْ كُنْتُ ذَا إِرْبَةِ
حَرْبِ أَخِي التَّجْرِبَةِ الْغَافِلِ
فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ إِذَا هَجَّتْهُ
هَجَّتْ بِهِ ذَا خَبَلِ خَابِلِ

كانت هذه أبرز القيم الأخلاقية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، وسوف تورد الباحثة فيما يلي القيم

الوجدانية.

(١) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٢) محمود خليفة - عصام فهمي، الأدب في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩٤ - ١٩٥.

المبحث الثالث: عرض وتحليل القيم الوجدانية المتضمنة في شعر كعب بن زهير:

إنَّ القيم الوجدانية - كسابقتها من القيم - إنما هي نتاج وثمره من ثمرات الإيمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة المتوازنة، فقيم الثقة، والمحبة، ولوم النفس، والخوف والرهبنة عند الخطأ تحمل مسئولية هذا الخطأ، والاتعاظ من تجارب السابقين، وضبط النفس، جميعها قيم إسلامية من الضروري تربية الفرد المسلم على التحلي بها، وتنميتها في ذاته ووجدانه، وتعرف القيم الوجدانية أو بمعنى آخر الروحية بأنها: "مجموعة من المعاني السامية والأهداف العليا، تركز في عمق الفطرة، يصقلها الدين، ويدفعها الوعي."^(١)

ومجتمعاتنا العربية أحوج ما تكون إلى القيم الوجدانية لكون اختصاص هذه القيم بالقلب، الذي ذكره الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- في حديثه الشريف الطويل، ففيما روي عن النعمان بن بشير-رضي الله عنه- يقول: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب."^(٢)

فالقلب مناط الصلاح، وإصلاحه ضرورة تربوية ملحة، فالفرد عندما يربي من خلال القيم الوجدانية النابعة من قلبه مصداقاً ومؤمناً بها، يساعد ذلك على إصلاحه نفسياً، وخلقياً، واجتماعياً، وثقافياً، ويتوجه سلوكه تلقائياً إلى الإحسان والخير والواجب. والمتتبع لشعر كعب بن زهير يجده عامراً بالقيم الوجدانية، والتي أوردت الباحثة بعضاً من النماذج الشعرية التي تضمنت هذه القيم من شعر كعب بن زهير، وهي على النحو التالي:

أولاً-الثقة:

تتعد معاني الثقة، ويختلف مفهومها بحسب السياق الذي ترد فيه، فقد تأتي الثقة بمعنى الثقة بالله- عز وجل، وقد تأتي بمعنى الثقة بالنفس، وقد تأتي بمعنى الثقة بالناس، والمعنى الذي يتفق مع أحداث البحث هنا هو معنى الثقة بالله تعالي، والثقة برسوله -صلى الله عليه وسلم-، والذي يحمل معنى الثقة بالناس، ويقول ابن القيم في معنى الثقة إنها: سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم."^(٣)، وأما في تعريف الثقة بالناس فيرى محمد المنياوي أن الثقة الناس هو من يعتمد عليه في القول والفعل."^(٤)

وتعد الثقة نوعاً من أنواع الاطمئنان والسكون النفسي إلى أمر ما، نوع من السكون الذي يخالطه الراحة والاستقرار، ومن أعظم وأهم أنواع الثقة هي الثقة بالله تعالي، والثقة بنبيه محمد -عليه الصلاة والسلام-. فالثقة بالله

(١) محمد عدنان السقا، القيم الروحية وأثرها في العمل الخيري، نحو القمة للطباعة، ١٤٢٥هـ، ص ١٤.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث: ٥٢، ص ١٧.

(٣) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج ٦، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ، ص ٤٦.

(٤) محمد عبد الرؤف المنياوي، التوقيف على مهمات التعريف، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ، ص ٢٢١.

قيمة إسلامية عظيمة يحتاج إليها الفرد المسلم؛ ليعيد بها توازن الحياة المنهار؛ لذا كان لزاماً على المرابي تنميتها في النفس المسلمة.

ولقد وردت قيمة الثقة في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - الثقة بالله تعالى وبأنه - عزّ وجلّ - المتكفل بخلقه، في مثل ذلك يقول^(١):

فَلَا تَخَافِي عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَانْتَظِرِي فَضْلَ الَّذِي بِالْغِنَى مِنْ عِنْدِهِ نَنْقُ

فالشاعر هنا يثق في الله عزّ وجلّ وتكفله بعبادة، وتسييره شؤونهم وتصريفه لأمرهم.

٢ - الثقة برسول الله - صلي الله عليه وسلم - أنه لم يعده على باطل، يقول^(٢):

حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي لَا أَنْزِعُهُ فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ قَبِيلَهُ الْقَبِيلُ

وَلَا يَرَأُ بُوَادِيهِ أَخُو ثَقَةٍ مُطْرَحُ الْبِرِّ وَالذَّرْسَانُ مَأْكُولُ

وضعت يميني: أي وضعتها في يمينه وضع طاعة لا أنزعه^(٣)، نقمات: جمع نقمة. وقيله: بمعنى أنه إذا قال شيئاً فعله^(٤).

ثانياً - المحبة:

الحبة: "هي ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيراً"^(٥)، " ويرى ابن تيمية أن محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأن جميع الأعمال الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه، ويشمل ذلك سائر الأقوال والأفعال في الكلم الطيب، والعمل الصالح في أمور العلم والعبادة"^(٦).

ورغم أن المحبة أمر فطري جبلي، فهو أيضاً خلق إسلامي مرغوب فيه، فهي من أهم روابط الصلوات الصادقة؛ والتي من شأنها تقوية العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد على نطاق الأسرة والمحيط الخارجي، إلى غير ذلك من كون المحبة عنصر مهم من عناصر ترابط المجتمعات والشعوب، وهي اللبنة الأولى للتماسك والقوة؛ وقد وردت قيمة المحبة في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - محبة المرأة، يقول^(٧):

يَالَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبِرُنِي
أَمْثَلِ عَشْقِي يُلَاقِي كُلُّ مَنْ عَشَقَا

(١) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٢) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٠.

(٤) محمود حسن زيني، قصيدة البردة لكعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٥) الحسين بن محمد الراغب، الذريعة في أحكام الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م، ص ٣٦٣.

(٦) محمد عبد الله عفيفي، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص ٣٩٦.

(٧) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

إِذَا سَمِعْتُ بِذِكْرِ الْحُبِّ ذَكَّرَنِي هِنْدًا فَقَدْ عَلِقَ الْأَحْشَاءَ مَا عَلِقَا

وقوله^(١):

وَمَارِلَتْ تَرْجُو نَفْعَ سَعْدَى وَوُدَّهَا وَتُبَعْدُ حَتَّى ابْيَضَّ مِنْكَ الْمَسَائِحُ

وقوله^(٢):

أَلَا لَيْتَ سَلَمَى كُلِّ مَا حَانَ ذِكْرُهَا تَبْلُغُهَا عَنِّي الرِّيحُ النَّوَافِحُ

يعبر كعب بن زهير عن مشاعر الحب للمحوبة، وهذا النمط كان ديدن الشاعر الجاهلي، فالغزل بالمحبة أمر شائع في الشعر العربي، حتى وإن كانت هذه المحبة من نسج خيال الشاعر.

وتجلت قيمة المحبة في شعر كعب بن زهير بصورة أخرى، وهي:

٢ - محبة القبيلة والعشيرة والأقارب، يقول^(٣):

وَقَوْمَكَ فَاسْتَبِقِ الْمَوَدَّةَ فِيهِمْ وَنَفْسَكَ جَنَّبَهَا الَّذِي قَدْ يَعِيْبُهَا

تعتبر محبة القبيلة والأقارب من أهم السبل التي تساعد على تماسك المجتمع، وتحافظ على ترابط أفرادها واستقرارهم، ووحدة كياناتهم، فالموددة والإحوة سبب التآلف وسبب القوة، والقوة سبب التقوى، والتقوى حصن منيع، وركن شديد، بما يمنع الضيم، وتنال الرغائب، وتنجح المقاصد.^(٤)

والله - عز وجل - ذكر فضل المحبة والمودة، وقدرتها على الربط بين القلوب والتقريب بينها والإخاء، فقال

تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

ثالثاً - لوم النفس والتندم:

"لوم النفس أي أن تصير النفس لومة تحاسب صاحبها على الصغير والكبير، وتطالبه بالجواب عن كيف ولماذا في كل عمل يعمل." ^(٥)، والتندم شعور يخالج الإنسان بعد اتخاذه قرار بشكل متسرع يعود عليه بعواقب سيئة، أو بعواقب لم تكن متوقعة، والملامة والتندم أمر طبيعي يحصل للإنسان بعد المرور بالمواقف المختلفة، والشاعر كعب بن زهير له عدة أبيات شعرية في لوم النفس والتندم، انقسمت إلى قسمين: قسم يلوم فيه نفسه ويتندم ويتحسر على ما فات، والقسم الثاني عكسه تماماً فهو يلوم وينقد على من يلوم نفسه بعد فوات الأوان، ويرى أن هذا التندم لا طائل منه، ولا فائدة مرجوة.

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١.

(٤) شهاب الدين محمد الأبيشي، تحقيق مصطفى الذهبي، المستطرف في كل فن مستظرف، مرجع سابق، ص ١٦٩.

(٥) محمد عز الدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ط ٢، القاهرة، دار السلام، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٥٢٧.

فله في القسم الأول قوله "(١) :

وَمَرَّ بِأَكْنَافِ الْيَدَيْنِ نَضِيهَ وَللْحَتَفِ أحياناً عَنِ النَّفْسِ عَاجِمُ
يَعْضُّ بِإِبْهَامِ الْيَدَيْنِ تَنْدُماً وَلَهْفٍ سِراً أَمَّهُ وَهُوَ نَادِمُ

وقوله "(٢) :

أَفِي جَنْبِ بَكْرِ قَطَعْتِي مُلَامَةً لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مَلَامَتُهَا ثَنِي
أَلَا لَأَ تَلُومِي، وَيَبِ غَيْرِكِ، عَارِباً رَأَى ثَوْبَهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَانْتَسَى
فَأُقْسِمُ لَوْلَا أَنْ أُسِرَّ نَدَامَةً وَأُعلنُ أُخْرَى إِنَّ تَرَاحَتْ بِكَ النَّوَى
وَقِيلَ رَجَالٌ لَأَ يُبَالُونَ شَانَنَا غَوَى أَمْرٌ كَعَبٍ مَا أَرَادَ وَمَا إِرْتَأَى
لَقَدْ سَكَنْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حِقْبَةً بِإِطْلَائِهَا الْعَيْنُ الْمُلمَعَةُ الشَّوَى

وله في القسم الثاني الذي هو ترك الندم على مافات، وعدم التحسّر على ما مضى قوله "(٣) :

فَلَمَّا رَأَيْتُ بَانَ الْبُكَاءِ سَفَاهُ لَدَى دِمْنٍ قَدْ بَلِينَا
زَجَرْتُ عَلَيَّ مَا لَدَيَّ الْقُلُوصِ مِنْ حَزْنٍ وَعَصِيَّتِ الشُّؤُونَا

"الدمنة: آثار الدار، ما اختلط من البعر والطين عند الحوض فتلبد. أقوت: أي خلت من ساكنيها. أراد الشاعر أن الريح لعبت بما فلم تترك لها أثراً بارزاً منها. السفاه: الطيش. يقول: لما أيقن ان البكاء على تلك الدمن سفاه وطيش وأنها بليت وعفت الريح آثارها، وخلت من سكاكها." (٤)

والقلوص: الناقة الطويلة القوائم. (٥)، الشئون: مجاري الدمع، وفي رواية: (عصبت بالباء الموحدة) وعصب الشيء: طواه وشدّه. وشد الشؤون هنا: حبسها، وعصيان الدمع المعروف (٦).

وقوله "(٧) :

لَا هَالِكٌ جَزَعاً عَلَيَّ مَا فَاتَنِي وَلِمَا أَلَمَّ مِنَ الْخَطُوبِ عَرُوفُ

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٢) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٤ - ١٥.

(٣) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٩٣.

(٦) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٧) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٠.

فالشاعر لا يجزع على ما فاتته، ولا يبدي الندم والحسرة على ما قد مضى وما لا ينفع التندم في عودته أو

إصلاحه.

رابعاً - الخوف والرهبية:

"والخوف هو حالة نفسية تعترى الصغار والكبار والذكور والإناث، ويعتبر الخوف أمر فطري، ولكن مثيراته مكتسبة بفعل التعليم أو الإيجاء، وكذلك تأثير مختلف عوامل البيئة، وهو انفعال قوى غير سار ينتج عن الإحساس بوجود خطر أو توقع حدوثه."^(١)، والخوف والرهبية هما ردة فعل طبيعية عندما يتوعد أحد ما شخصاً بالانتقام منه، وبعد أن كتب بجير إلى أخيه: "أن النبي- صلى الله عليه وسلم- بهم بقتل كل من يؤذيه من شعراء المشركين، فإن كان لك في نفسك حاجة فأقدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإنه لا يقتل أحداً جاء تائباً. فلما أتاه كتاب بجير ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه"^(٢)، وجاء إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تائباً يرجو قبول توبته، ودخوله في الدين الإسلامي؛ وقد وردت قيمة الخوف والرهبية في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

الخوف والرهبية من رسول الله-صلي الله عليه وسلم-، والأمل في العفو والقبول؛ وفي مثل ذلك يقول"^(٣):

تَعْلَمُ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيداً مِنْكَ كَالْأَخَذِ بِالْيَدِ

وقوله"^(٤):

لَظَلَّ يَرَعُدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ الرَّسُولِ يَأْذِنُ اللَّهُ تَنْوِيلُ

لِذَلِكَ أَهَيْبَ عِنْدِي إِذْ أَكَلِمُهُ وَقِيلَ إِنَّكَ مَسْبُورٌ وَمَسْئُولٌ

أرعد فلان إذا أخذته الرعدة، وأهيب: من الهيبة، ويروى: (أرهب عندي)، من الرهبية.^(٥)، وأهيب عندي: أي أشد إخافة لي، وهو الرسول. مسبور ومسؤول: أي مُمتحن ومسؤول عما نقل عنك في حق الرسول.^(٦) عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

(١) عبد السلام عبد الله الحقندي، التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة، مرجع سابق، ص ٣٧٠.

(٢) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤-٥.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٨٩ - ٩٠.

(٥) محمود حسن زيني، قصيدة البردة لكعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١١٢-١١٣.

(٦) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩٠.

خامساً-الاتعاض من تجارب السابقين:

وهو بمعنى "الاتعاض بمن كان قبلنا من الأمم، وبما حصل لهم من التجارب والمواقف السلوكية، سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات، فالعاقل من اتعظ بغيره، وكان له فيما يراه ويسمعه سابقاً أو حاضراً عظة وعبرة، حتى لا يقع في ما وقع غيره."^(١)، والاتعاض والاعتبار بتجارب السابقين، وأخذ العبرة من الأحوال الماضية والحوادث المنصرمة قيمة إسلامية أصيلة، دعى إليها الله - عزّ وجلّ - في كتابه العزيز، يقول الله - عزّ وجلّ -: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

إلى جانب أن القرآن الكريم احتوى على العديد من القصص المليئة بالعبر والعظات، والتي كان من أهم ما تبثت به في النفس التدبر لأخذ العظة والعبرة من السابقين.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]

وشاعرنا كعب بن زهير إنما يتطرق في شعره لمثل هذه القيم، ويحاول أن يوضح لنا أهمية الاتعاض بأحوال الماضين من الأمم، والأخذ بالدلالات والعبر التي من خلالها يستطيع الفرد إصلاح نفسه ومجتمعه؛ وقد ورد ذلك في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

فيقول"^(٢):

إِنْ يُدْرِكَ مَوْتٌ أَوْ مَشِيبٌ فَفَقْبَلْكَ مَاتَ أَقْوَامٌ وَشَابُوا
تَلَبُّنَا وَفَرَطْنَا وَرَجَالاً دُعُوا وَإِذَا الْأَنَامُ دُعُوا أَجَابُوا
وَإِنَّ سَبِيلَنَا لَسَبِيلُ قَوْمٍ شَهِدْنَا الْأَمْرَ بَعْدَهُمْ وَغَابُوا
فَلَا تَسْأَلُ سَتُّكُلُ كُلِّ أُمَّ إِذَا مَا أَخُوهُ كَثُرُوا وَطَابُوا

يوضح لنا الشاعر في الأبيات السابقة حقائق لا يمكن إنكارها، راجحاً أن يعتبر بما من يقرأها ويتعظ من أحوال السابقين، فيقول من خلالها أن الشباب والقوة سوف تزولان، وأن نهايتك أيها الشاب المتمتع بالقوة والحيوية الموت؛ ثم يضع الشاعر تجربته الحياتية كمثال على ما يقول من حقائق، ويكمل بأنه عاشر العديد من الأقسام الذين كانوا مثالاً للشجاعة والنصرة والقوة، فيقول "تلبنا وفرطنا رجالاً بمعنى: قدمناهم أمامنا، أي ماتوا قبلنا."^(٣)، فالشاعر يقول: إن قوة هؤلاء الرجال وشدهم لم تمنعهم من الهرم، ومن ثم الموت وأن سبيلنا سوف يكون سبيلهم؛ ويكمل قائلاً: لا تحاول أيها الإنسان أن تسأل، وأن تستفهم، أو تبحث عن الأعذار، فكل أم سوف تفقد ولدها، وكل إنسان زائل مهما طاب عيشه، ومهما

(١) صالح أبو عراد، دروس تربوية نبوية، مرجع سابق، ص ١٩٠.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٣.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٩.

كثرت عشيرته وقومه، ومهما كانت حياته رغدة هنيئة.

وله في نفس المعنى قوله^(١):

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَذْبَاءَ مَحْمُولٍ

وقوله^(٢):

طَافَ الرُّمَاءُ بِصَيْدٍ رَاعَهُمْ فَإِذَا بَعْضُ الرُّمَامِ بِنَبْلِ الصَّيْدِ مَقْتُولٍ

يريد الشاعر من القارئ أن يتعظ ويعتبر من تجارب السابقين، بأن يحذر من تقلب المواقف والظروف وأحوال الزمان، فهو يقول: احذر من الشئء الذي تتق كل الثقة بأنك تمتلك زمامه، ولك القدرة التامة على السيطرة عليه، فبقدر ثقتك بأنه أمن ربما يكون العكس، ربما تقع أنت في مصيدة من لم تكن تخافه وتخشاها.

وقوله^(٣):

كَأَنَّ امْرَأً لَمْ يَلْقَ عَيْشًا بِنِعْمَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمَرْءِ قَاصِمَةُ الظُّهْرِ

حيث يصف حال تقلب الزمان على الإنسان المتنعم الذي يعيش حياة طيبة، وتغير الأحوال فجأة عليه، وردة فعل هذا الإنسان تجاه الأحوال والمصائب والنوائب التي قد تلم به، وكيف أنه ينكر ما مرّ به من نعيم ورغد إذا نزلت بهذا الإنسان قاصمة الظهر - أي المصيبة المهلكة - ، وكأن الشاعر يقتبس المعنى من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا

مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩-٢٠]

سادساً - ضبط النفس:

وتعني ضبط احتياجات الفرد، وتهديب سلوكه، وذلك من خلال يقظة النفس وحضور الذهن، ممّا يساعد على تقوية الإرادة، وبالتالي السيطرة على النفس، وتعويدها الصبر والتحمل. وقد وردت قيمة ضبط النفس في شعر كعب بن زهير، وهي من القيم التي سما بها شعره، وهي من المثل العليا التي يتمثلها كعب في شخصيته، ويصف بها نفسه فيقول^(٤):

حَتَّى إِذَا بَرَّتِ الْعِظَامَ زَجْرَتُهَا زَجَرَتِ الضَّنِينَ بِعَرْضِهِ الْغَضْبَانِ

برت العظام: مثل يقال عند شدة الشئء وعدم احتمالها، زجرتها ضجر الضنين بعرضها: أي أقصيتها

وباعدتها^(٥).

(١) محمود حسن زيني، قصيدة البردة لكعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٢) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٩٨.

وقوله^(١):

فَعَزَفْتُ عَنْهَا، إِنَّمَا هُوَ أَنْ أَرَى مَا لَا أَنْأَلُ فَإِنِّي لَعَزُوفٌ
لَا هَالِكٌ جَزَعًا عَلَيَّ مَا فَاتَنِي وَلَمَّا أَلَمَّ مِنَ الْخَطُوبِ عَزُوفٌ

فالشاعر يدعو إلى ضبط النفس، وترويضها وتقويمها ؛ لعلمه بأن ذلك يدعو إلى الكرامة والصبر وعزة النفس، والتجلد وعلّة المهمة. وقيم ضبط النفس من أهمّ القيم التي تعني تصرف الإنسان في حياته تصرفاً يليق بإنسانيته؛ والفرق بين الفرد الحكيم المتزن وغيره إنّما يكمن في ضبطه لنفسه، وسيطرته عليها، وهذا مطلب مهم من الجميل أن تُجبل عليه الشخصية المسلمة.

كانت هذه أبرز القيم الوجدانية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، وسوف تورّد الباحثة فيما يلي القيم الاجتماعية.

المبحث الرابع: عرض وتحليل القيم الاجتماعية المتضمنة في شعر كعب بن زهير:

تعتبر القيم الاجتماعية أساساً مهماً من أسس التنشئة الاجتماعية التي من شأنها ضبط وتهذيب علاقة الفرد في مجتمعه، ومع من حوله من المجتمعات الأخرى، والقيم الاجتماعية ما هي إلا: "مجموعة الصفات النبيلة التي يتحلى بها الفرد أثناء تعامله مع الآخرين."^(٢)، كما يقصد بها أيضاً: بأنّها اهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس، فهو يجبههم ويميل إلى إياهم، ويحسد، ويحسد في ذلك إشباعاً له، وهو ينظر إلى غيره على أنهم غايات وليسوا وسائل لغايات أخرى.^(٣)

والتنشئة الاجتماعية السليمة تحتاج إلى قيم إسلامية راسخة، تدوم بدوام الفرد، وتنصهر في سلوكه، بل وتبقى معه ما بقيت الحياة الإنسانية، لذلك كان من الضروري على كلّ تربوي وكلّ مربي استخلاص هذه القيم، وتنميتها في نفوس الناشئة.

ولقد أوضح شعر كعب بن زهير العديد من العلاقات الاجتماعية، والتعاملات الإنسانية القائمة على أساس الدّين؛ كمد يد العون والنصح والإحسان، وحفظ الجوار، وتبادل الود والعطايا، وإن كان كعب بن زهير يكتف بهذه القيم في شعره؛ لكونها راسخة في العربي منذ القدم، جعله يتمثل في شعره صور التعامل مع المجتمع، ومدى تحلي هذا المجتمع بالقيم الإسلامية والمثل العليا؛ وقد استنبطت الباحثة التي وردت في شعر كعب بن زهير وهي على النحو التالي:

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٢) حسن الرزقي القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

(٣) فايز مبارك الحارثي، القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في بعض برامج الشّباب بقناة المجد الفضائية، مرجع سابق، رسالة ماجستير، ص ١٤٠.

أولاً - التماسك الاجتماعي:

ويعرّف التماسك بأنه " التجاذب نحو الجماعة، وهو دافعية الأفراد للاستمرار في عضوية جماعة معينة." (١)، التماسك الاجتماعي وتربط أفراد العشيرة الواحدة، ومن ثم المجتمع مما يجعل منه مجتمعاً قوياً، وحصناً منيعاً، والقوة والمنفعة أمران محبيان في الدين الإسلامي، الذي امتاز بالعزة، وجبل معتنقه عليها. يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، والعزة والغلبة أمران يشترط في تحقيقهما القوة والوحدة والمنعة، وهما أمور تتطلب الاتحاد والتماسك الاجتماعي، وقد قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في فضل العشيرة: " عشيرة الرجل خير للرجل من الرجل للعشيرة، إن كف عنهم يداً واحدة؛ كفوا عنه أيادياً كثيرة، مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم، إن الرجل ليغضب للرجل لا يعرفه إلا بنسبه، وسأتلو عليكم في ذلك آيات من كتاب الله - تعالى - قال الله - عزّ وجلّ - فيما حكاه عن لوط: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠]، يعني العشيرة.

ثم ذكر شعيباً، إذ قال له قومه: ﴿ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود: ٩١]، والله ما هابوا الله، ولا هابوا إلا عشيرته. (٢)

وكعب بن زهير له العديد من الأبيات الشعرية التي تحث على التماسك الاجتماعي، والتي يطالب من خلالها باتحاد العشيرة، وتماسكها، وتلاحم أفرادها، ومنها قوله (٣):

فَكُونُوا جَمِيعًا مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّهُ سَيَلْبِسُكُمْ ثَوْبٌ مِنَ اللَّهِ وَاسِعٌ
وَقُومُوا فَأَسُوا قَوْمَكُمْ فَاجْمَعُوهُمْ وَكُونُوا يَدًا تَبْنِي الْعَلَا وَتُدْفَعُ

وقوله (٤):

وقومك فاستبقِ المودّة فيهم ونفسك جنّبها الذي قد يعيها

ثانياً - صلة الرحم:

وهي " إيتاء ذوي القربى، أي العطف عليهم، ويشمل العطف المادي والمعنوي، أما دَوُو القربى فهم الوالدان، والأقارب، ودَوُو الأرحام. (٥)، وصلة الرحم من القيم الإسلامية الواجب على المرء مراعاتها، وإعطائها حقها الذي أمر الله تعالى به أن يوصل، فالله - عزّ وجلّ - أمر بمراعاة هذه الرحم، وتوعد قاطعها بأن له اللعنة، وسوء الدار. قال

(١) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦م، ص ٦١.

(٢) احمد بن محمد أبن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٢، مرجع سابق، ص ١١٩.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥١.

(٤) المرجع السابق، ص ٢١.

(٥) أحمد العليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ١٩٧.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]، إلى غير ذلك من حرمان قاطع الرحم من دخول الجنة، قال عليه الصلوة والسلام: [لا يدخل الجنة قاطع] ^(١).

وهذا الجزء المترتب على قاطعها إنما يدل على عظيم شأنها، ومدى أهميتها، فالصلة والتواصل والتودد بين ذوي الأرحام من أقوى روابط الحب والإخوة؛ وقد وردت قيمة صلة الرحم في شعر كعب بن زهير على النحو التالي، يقول ^(٢):

رَحَلْتُ إِلَى قَوْمِي لِأَدْعُو جُلُومَهُمْ
وَتُوصِلُ أَرْحَامَهُمْ وَيَفْرَجُ مَغْرَمَهُمْ
إِلَى أَمْرِ حَزْمٍ أَحْكَمْتَهُ الْجَوَامِعُ
وَتَرْجَعُ بِالْوُدِّ الْقَدِيمِ الرِّوَاغِعُ

ويرد كعب بن زهير على نسق ونهج التماسك الاجتماعي قيماً شعرية توصي بصلة الرحم، والتواصل بين الأقارب والتلاحم فيما بينهم، لأن صلة الرحم قيمة إسلامية أصيلة قائمة على مشاركة ذوي القرى في الخيرات، من خلال الإحسان إلى الأقارب في أفراحهم، والوقوف معهم في أحزانهم، وهذا التواصل إنما هو سبب لتفريج الكربات، وإعادة أواصر المحبة والود، وهذا إقرار ومدى أهمية صلة الرحم، فوصلها يؤدي إلى التفريج والتيسير والسعادة، وقطعها يعتبر من الفساد والإفساد فالله -عز وجل- أقرن قطيعة الرحم بالفساد في الأرض في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، "فهل عسيتم: أي هل يتوقع منكم؟" ^(٣)، وفي تفسير الجلالين "فهل عسيتم" أي: لعلكم، إن توليتم: أعرضتم عن الإيمان أن تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغي والقتال. ^(٤)

ثالثاً - الشورى:

الشورى هي: "استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق." ^(٥) وقيل هي: "الاجتماع على الأمر ليشير كل واحد منهم صاحبه ويستخرج ما عنده." ^(٦)، يقول الله -عز وجل- في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]، ويقول عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وهذا دليل على عظمة الشورى في التربية الإسلامية وأهميتها، فهي تعد نظاماً أساسياً من نظم التربية الإسلامية،

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الأدب، باب إثم القاطع، رقم الحديث: ٥٩٨٤، ص ٧٤٥.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٣) مروان نور الدين سوار، القرآن الكريم مذيلاً بالترميز الموضوعي، دمشق، دار الفجر الإسلامي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ٥٠٩.

(٤) جلال الدين محمد المحلي - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٥٠٩.

(٥) عبد الرحمن عبد الخالق، الشورى في ظل الحكم الإسلامي، الكويت، الدار السلفية، ١٩٧٥م، ص ١٤.

(٦) محمد عبد الله العربي، أحكام القرآن، ج ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ، ص ٢٩٧.

وتطبيق الشريعة فيها، فالمشاركة في الرأي وأخذ المشورة من ذوي الخبرة والناصحين أمر إنما يعود بالنفع على متخذي القرار؛ لما في المشورة من تثبيت للرأي من خلال استطلاع أكبر عدد من الأفكار المتاحة النيرة، ومن ثم استخلاص مافيه الخير والصالح والأقرب إلى المنفعة؛ وقد وردت قيمة الشورى في شعر كعب بن زهير على النحو التالي: في معرفة الشاعر بالزمان وأحواله من بعد حكمة ودراية، يقول^(١):

عَلَا حَاجِبِي الشَّيْبُ حَتَّى كَانَهُ ظِبَاءً جَرَتْ مِنْهَا سَنِيحٌ وَبَارِحُ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَبْتَاغُ إِلَّا مُؤَامِرًا وَمَا بَيْعُ مَنْ يَبْتَاغُ مِثْلِي رَابِحُ

السانح من الحيوان والطير ما مرّ من المياسر والميامن، وضده البارح.^(٢) ربما أراد الشاعر من ذلك كثرة امتلاء شعره حاجبيه ورأسه بالبياض، وسرعة انتشار البياض فيهما، فشبها بالطير السريع الذي يخلق ذهاباً وإياباً. ومؤامراً بمعنى: مشاوراً.^(٣) والشاعر إنما يقرب المشورة بالحكمة فيقول، إنّه بعد ما على حاجبه الشيب، ومرّ عليه الزمان، عرف قيمة المشاورة قبل اتخاذ القرار، وأدرك قيمة الأخذ من ذوي الخبرة قبل الاستعجال.

رابعاً - التعاون:

وهو "المساعدة على الحق ابتغاء الأجر من الله - عزّ وجل - ، وذلك يكون بتسخير المؤمن لطاقاته، وما آتاه الله تعالى من النعم في خدمة دينه وإخوانه."^(٤)

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، وتعاون أفراد المجتمع الواحد على الخير، وفعل ما يصب في مصلحة أبناء هذا المجتمع، أمر أقره الله تعالى في كتابه العزيز، بل وأوجبه على المسلمين.

ويعتبر التعاون فيما يحقق تقوى الله تعالى قيمة إسلامية يتوجب على المرابي تنميتها في الفرد المسلم، واستخراج هذه القيمة من مكانها أينما وجدت، والشاعر كعب بن زهير له من الشعر في أهمية التعاون، فيقول مادحاً إحدى قبائل العرب التي تكمن قوتها في تعاونها يقول^(٥):

فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ مُتَوَسِّعٍ وَمِنْ فَاعِلٍ لِلْخَيْرِ إِنْ هَمَّ أَوْ عَزَمَ
مَتَى أَدْعُ فِي أَوْسٍ وَعُثْمَانَ يَأْتِينِي مَسَاعِيرُ حَرْبٍ كُلُّهُمْ سَادَةٌ دِعَمُ

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣.

(٤) مازن عبد الكريم الفريخ، الرائد دروس في التربية والدعوة، ج ١، الرياض، دار المنطلق، ١٤١٨هـ، ص ٢٠٧.

(٥) على فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨٤.

الدعم: الواحدة دعامة أي: ما يدعم بها البيت والبناء، أراد أنهم يوكل إليهم جليل الأعمال وعظيمها.^(١)

خامساً - الدّعوة إلى توطيد العلاقات الإنسانية:

"العلاقات الإنسانية هي علاقة لمجموعة من الأفراد تقدر بمدى ترابطهم وإحساسهم بكل من في محيط الجماعة، فيحس كل فرد بمشاعر زميله وبقدرته؛ كي ترتبط الجماعة ارتباطاً وثيقاً بالعواطف السارة المشتركة، والولاء التام للعمل مع الإيمان بالاتجاهات، والقيم التي يعملون من أجلها، ومن أهم مظاهره إقامة التضامن الاجتماعي."^(٢)، وقد روي عن الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - أنه قال: أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله - عز وجل - سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً.^(٣)

وتوطيد الصلات الإنسانية وتعميق أواصر الترابط الأخوي بين الناس قيمة إسلامية عظيمة، والشاعر كعب بن

زهير له في الحث على الدّعوة إلى توطيد العلاقات الإنسانية أبيات يقول في محتواها^(٤):

لَأَيِّ زَمَانٍ يَخْبَأُ الْمَرْءُ نَفْعَهُ غَدَاً فَعَدِ وَالِدَهُرُ غَادٍ وَرَائِحِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعَكَ حَيًّا فَنَفْعُهُ قَلِيلٌ إِذَا رُصَّتْ عَلَيْهِ الصَّفَائِحُ

يقول الشاعر: إذا المرء لم يسع في منفعة غيره، ويكون أداة ووسيلة لنشر التعاون والمعونة والمساعدة بين الناس، وتوثيق العلاقات الإنسانية فيما بينهم وهو في حال جيدة، ويتمتع بالصحة والشباب والقدرة على النفع والعطاء، فمتى سوف يفعل ذلك؟، لن يعود للفرد نفع ولا قيمة إذا رصت عليه الصفائح، وهي كناية عن الموت والزوال، فاستثمر يا أيها الإنسان نفعك وقدرتك على العطاء في العطاء قبل فوات الأوان.

سادساً - حسن المعاملة:

حسن المعاملة: "هي معاشرّة النَّاسِ والتعايش معهم بأخلاق حسنة وفاضلة، ومعاملتهم بالحسنى واللطف حتّى وإن كان تعاملهم بعكس ذلك، أي أن يكون المسلم إيجابياً في كلّ أحواله وأفعاله وأقواله."^(٥)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] كأن يدفع الإنسان الغضب بالصبر، ويقابل الإساءة بالعفو، ويعامل الجاهل عليه بالحلم واليسر. فالمعاملة الحسنة نهج

(١) المرجع السابق، ص ٨٤.

(٢) صديقة أحمد زكي، الإدارة التعليمية والتخطيط التربوي التعليمي، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ١٢٥.

(٣) أحمد نصر الله صبري، مختصر صحيح الجامع الصغير للإمام السيوطي والألباني، مصر، شركة ألفا للنشر، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، رقم الحديث: ١٢٢-١٧٦، ص ١٨.

(٤) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٥) صالح أبو عراد، دروس تربوية نبوية، مرجع سابق، ص ١٧٢.

المسلم، ونمط حياته الطبيعي، والمعاملة الحسنة هي الموقف الثابت الصادق الذي يتخذه المؤمن الصادق أثناء تعامله مع الآخرين في سائر المعاملات على ما يكفل الرفق بالمتعاملين.^(١)، والرفق بالمتعاملين يولد المحبة في الوسط الاجتماعي؛ والشاعر كعب بن زهير تطرق في شعره إلى قيم حسن المعاملة، والمعاشرة بين أفراد المجتمع بالمعروف، وله في ذلك العديد من الأبيات الشعرية، والتي من أهمها ما قاله مادحاً قيم حسن المعاملة في العربي^(٢):

وَالْمُعْمُونُ الْمُفْضَلُونَ إِذَا شَتَّوْا
وَالضَّارِبُونَ عِلَاوَةَ الْجَبَّارِ

ويقول في حسن معاملة المرأة الخلوقة^(٣):

وَذَاتُ الْعَرِضِ قَدْ تَأْتِي إِذَا مَا
أَرَادَتْ صُرْمَ خُلَّتِيهَا الْجَمَالَا

ويقرن الشاعر حسن معاملة المرأة بالحسب والشرف، فيقول، "وذات العرض وهو الحسب والشرف، إذا أرادت إن تضرم خلتها أتت الأمر الجميل الحسن ولم تفحش وأبقت المراجعة موضعاً."^(٤)

سابعاً - الترابط الأسري:

إن ترابط أعضاء المجتمع الواحد، هو ثمرة ترابط الأسرة القائم على الرحمة والمودة والحب، فيمتد أثره إلى عامة الناس حول هذه الأسرة على المستويين القريب والبعيد، وقيمة الترابط الأسري قيمة ربما تكون أهم القيم الاجتماعية على الإطلاق؛ لما للأسرة من استحواذ شبه كامل على التنشئة الاجتماعية والتربية، فقوة ترابط الوالدين، ومدى قوة ترابط وتماسك علاقتهما بأبنائهم هي الطريقة المثلى التي يمكن من خلالها تنشئة مجتمع سليم، تبنى فيه العلاقات على أساس متين من المودة والرحمة والاحترام. ولكعب بن زهير أبيات تناول فيها علاقته القائمة بينه وبين زوجته، وما هو الأسلوب الذي يتخذه في التعامل مع الخلافات التي لا تخلو حياة فرد منها، وقد وردت قيمة الترابط الأسري في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

١ - في صلاح الزوجين، ومراعاة عشرتهما واحترامهما، يقول^(٥):

إِنَّ عِرْسِي قَدْ آذَنْتَنِي أَحْيَرًا
لَمْ تُعْرَجْ وَلَمْ تُؤَامَرْ أَمِيرًا
مَا صَلَاحُ الزَّوْجَيْنِ عَاشَا جَمِيعًا
بَعْدَ أَنْ يَصْرِمَ الْكَبِيرُ كَبِيرًا
فَاصْبِرِي مِثْلَ مَا صَبَرْتُ فَإِنِّي
لَا أَخَالُ الْكَرِيمَ إِلَّا صُورًا
أَيَّ حِينٍ وَقَدْ دُبْتُ وَدَبْتُ
وَلَيْسْنَا مِنْ بَعْدِ دَهْرٍ دُهورًا

(١) فايز مبارك الحارثي، القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في بعض برامج الشباب في قناة المجد، مرجع سابق، ص، ١٤١.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٣) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٠٠.

(٥) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٣١.

عرس الرجل: زوجته. آذنتي: أعلمتني وأندرتني. لم تعرج: لم تعطف أو لم تفارق ولم تؤامر أميراً: لم تشاور في ذلك. يصرم: يقطع ويبين. ويقول الشاعر: كيف نتصارم في هذا السن وقد دببت ودبت على العصا، أي: بلغا سن الشيخوخة.

٢ - في التضحية والحفاظ على الأسرة من أجل الأبناء، يقول^(١):

لَوْلَا بَنُوهَا وَقَوْلُ النَّاسِ مَا عَطِفْتُ
عَلَى الْعِتَابِ وَشَرُّ الْوُدِّ مَا عَطَفَا

يقول الشاعر: لولا أن لي منها بنين، وأن الناس يعدلونني في مفارقتها، ما عطفت عليها ولا عاتبته، ولكن فراقها علي هين.^(٢)

ثامناً - النجدة والمناصرة وإعانة الملهوف:

النجدة والمناصرة وإعانة الملهوف: هي واجب أخلاقي بمعنى مد يد العون، ومعونة من هو في حاجة إلى المساعدة، وأفضل ما تكون الاستعانة بالله - عز وجل - . قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] والنجدة والمناصرة الوجه الآخر للمروءة والشهامة، وهي قيم إسلامية جلية، وخلقت من أخلاق العرب العظيم، فإعانة الملهوف ومساعدة المحتاج ونصرته، وعدم التردد في تقديم يد المعونة للمسلم، وللإنسان بشكل عام، قيم إسلامية جبل عليها العربي، وجاء الدين الإسلامي مرسخاً لقواعدها في التقس، لا بل ووعد المتمسك بهذه القيم الإيجابية بحسن الثواب، وطيب الجزاء؛ وقد وردت قيمة النجدة والمناصرة وإعانة الملهوف في شعر كعب بن زهير بالعديد من الأشكال، وهي على النحو التالي، يقول^(٣):

وَمُرْهَقٍ قَدْ دَعَانِي فَاسْتَجَبْتُ لَهُ
أَجَزْتُ غُصَّتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا شَرِقَا

أي: رب مكروب دعاني إلى نجدته فاغثته وأسغته ريقه بعد ما غص به خوفاً.^(٤)

وله قوله في وصف الأنصار متفاخراً بمنعتهم ونصرتهم وقوة حصونهم، يقول^(٥):

وَإِذَا نَزَلَتْ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ
أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الْأَغْفَارِ

المعاقل: الحصون، وهي هاهنا أعالي الجبال، الأغفار: الواحد غفر: ولد البقرة، وقيل: ولد الأوربة، ولا يكون الغفر إلا في الجبال، وقليلاً ما يكون في السهل.^(٦)

يشبه الشاعر الشخص العائد بالأنصار والمستجير بهم كمن وصل إلى الجبل المنيع المحروس بالأبقار الوحشية البرية،

(١) المرجع السابق، ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٢.

(٣) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٩.

(٤) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٥) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٠.

كناية عن المنعة والحماية وحصول الأمن والأمان لمن جاءهم مستجيراً.

وله قوله مادحاً أبوه زهير بن أبي سلمى لتحليله بهذه القيمة، يقول^(١):

وَكَانَ يُحَامِي حِينَ تَنْزُلُ لَزْبَةُ مِنْ الدَّهْرِ فِي ذُبْيَانٍ إِنْ حَوْضُهَا

اللزبة: الشدة. وقوله: إن حوضها انهدم، أي نالها سوء أو أملت بها نائبة.^(٢)

وله أيضاً مدحه لقبيلته وعشيرته فيقول^(٣):

هُمْ الْأَسْدُ عِنْدَ الْبَاسِ وَالْحَشْدُ فِي الْقَرَى وَهُمْ عِنْدَ عَقْدِ الْجَارِ يُوفُونَ بِالذَّمِّ
مَتَى أَدْعُ أَوْسٍ وَعُثْمَانَ يَأْتَنِي مَسَاعِيرُ حَرْبٍ كُلُّهُمْ سَادَةٌ دِعْمٍ

يقول: إنهم كالأسود الضارية عند احتدام الوغى، وكالرياح في إقراء الضيوف يوفون بعهودهم لمن يستجير بهم.^(٤)

تاسعاً - اختيار الرفقة الحسنة:

أي: "اختيار الصديق الفاضل صاحب الأخلاق الفاضلة الكريمة، والذي يأمر بالخير، وينهى عن الشر، صاحب التقوى والإيمان والأخلاق الحميدة، والذي له أثر طيب في تقويم السلوك، وبناء الشخصية والتربية على الفضيلة، فالمرء يتأثر بجليسه، ويكتسب من قرينه، ومن كان قرينه نافعاً كان له من الصلاح حظ، ومن النفع نصيب، ومن كان قرينه ضاراً كان له مثل ذلك."^(٥)، ولكعب بن زهير العديد من الأبيات الشعرية التي يوضح فيها نوع الرفيق، ومميزات الرفيق الحسن الواجب مرافقته واختياره خليلاً للمرء، وأيضاً ما هي صفات الصديق الواجب تركه، وإبداله بمن هو أفضل وأخير، وهذا أمر بالغ الأهمية؛ لأن المرء مطلوب منه أن يحسن اختيار رفقاته، لأنه يتأثر بهم وبعلمهم وبأخلاقهم، فإن كانوا أصدقاء سوء تأثر بهم وبأخلاقهم السيئة، وإن لم يشاركهم أعمالهم السيئة، فإنه مؤيداً لها ووافقهم عليها، وهذا يجعله مصنفاً لهم منتمياً إليهم؛ فرى كعب بن زهير يصف الرفقة في أبياته، مصنفاً لنوعيتها، محدداً لنا علامات تدلنا على من نرافق، ومن نتخذ خليلاً يكون عوناً في هذا الزمن، معيناً لنا لا معيناً علينا؛ وقد وردت قيمة اختيار الرفقة الحسنة في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٨٤.

(٥) صالح أبو عراد، دروس تربوية نبوية، مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.

١ - في علامات الرفيق الصالح الذي ينبغي مرافقته وقبول مودته. ويقول في ذلك^(١):

لَا تُفَشِّ سِرِّكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي ثِقَةٍ أَوْ لَا ، فَأَفْضَلُ مَا اسْتَوَدَعْتَ أَسْرَارًا
صَدْرًا رَحِيبًا وَقَلْبًا وَاسِعًا صَمْتًا لَمْ تَخْشَ مِنْهُ لِمَا اسْتَوَدَعْتَ إِظْهَارًا

لا يستودع الإنسان سره إلا عند رفيقه وخليله المقرب؛ والشاعر هنا يبين علامات وصفات هذا الرفيق المستودع الذي ينبغي أن يتحلى بها الصديق، فيشترط فيه الثقة المتبادلة، والائتمان، والأريحية، والأمان الكامل، ورحابة الصدر، وسعة القلب، والصمت والكتمان. وله في ذلك قوله^(٢):

أَلَمْ تَعْلِمِي أَنِّي إِذَا وَصَلْتُ خُلَّةً كَذَلِكَ تَوَلَّى كُنْتُ بِالصَّبْرِ أَجْدَرًا

٢ - في علامات الرفيق السوء والذي ينبغي تجنبه وترك رفقته. يقول في ذلك^(٣):

وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَلُولِ وَلَا الَّذِي يَلُومُ عَلَى الْبُخْلِ الْبُخِيلِ وَيَخْلُ

وله أيضاً^(٤):

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعَكَ حَيًّا فَنَفْعُهُ قَلِيلٌ إِذَا رُضْتُ عَلَيْهِ الصَّفَائِحُ

وله قوله^(٥):

تَعَاوَرَهَا الْوُشَاةُ فَغَيَّرُوهَا عَنِ الْحَالِ النَّيِّ فِي الدَّهْرِ حَالًا
وَمَنْ لَا يَفْتَأُ الْوَاشِينَ عَنْهُ صَبَاحَ مَسَاءٍ يَغْوُهُ الْخَبَالًا

وهو في ذلك يوضح مدى تأثير الرفقة السيئة على المرء؛ يقول: تعاورها أي اكتنفوها من كل جهة، وصرفوها عما

كانت عليه. يفتأ الواشين: أي: يكسرهم ويردهم عما يريدون به. الخبال: الفساد واختلاط العقل.^(٦)

عاشراً - الكرم

الكرم: من العطاء والسخاء والتفضل، ومنه إكرام الضيف بمعنى: "إحسان ضيافته، وهي مظهر من مظاهر حسن

الإسلام، وسلوك إنساني فاضل، وأدب الضيافة أدب من آداب التربية الإسلامية، وخلق النبيين والصالحين.^(٧)، فعن أبي

(١) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٧.

(٤) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

(٥) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٦) المرجع السابق، ص ٧٣.

(٧) صالح أبو عراد، دروس تربوية نبوية، مرجع سابق، ص ٤٩-٥٠.

هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "الضيافة ثلاثة أيام، فما سوى ذلك فهو صدقة"^(١)، وحسن الضيافة مظهر من مظاهر الكرم، وقد أوجب بعض السلف الضيافة يوماً وليلة، فعن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "ليلة الضيف حق على كل مسلم"^(٢)، من باب الكرم والسخاء، والكرم قيمة إسلامية عظيمة، وخلق قويم يقرب صاحبه من الله تعالى، ومن الناس، وهو داع من دواعي المحبة السرور والتعاون والألفة بين أفراد الأمة الإسلامية، وهو البذل الذي لا يرجو منه صاحبه إلا وجه الله تعالى، ومن ثم محبة الناس والتوسيع عليهم من غير من ولا أذى، ولكعب بن زهير العديد من الأبيات الشعرية التي شملت على قيمة الكرم، لمدى تقدير العرب لهذه القيمة، ومدى افتخارهم بها، ومن تحلى بكونه كريماً باذلاً، سخي اليد، جواد معطاء؛ وقد وردت قيمة الكرم في شعر كعب بن زهير على النحو التالي:

يقول كعب بن زهير في وصفه للأنصار بالكرم"^(٣):

وَهُمْ إِذَا حَوَتْ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ لِلطَّانِفِينَ السَّائِلِينَ مَقَارِي
وَالْمُطْعَمُونَ الضَّيْفَ حِينَ يُنُوبُهُمْ مِنْ لَحْمِ كُومٍ كَالِهَضَابِ عِشَارِ
وَالْمُنْعَمُونَ الْمُفْضَلُونَ إِذَا شَتَّوْا وَالصَّارِبُونَ عِلاوَةَ الْجَبَّارِ

حوت النجوم وأحوت: إذا لم يكن لها مطر. مقاري: جمع مقري وهو الذي يكرم الضيف. الكوم: جمع كوماء وهي الناقة العظيمة السنام. العشار: جمع عشاء وهي التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها. إذا شتوا: أي حين يعم الجذب. والعلاوة: بمعنى العتق."^(٤).

ويقول أيضاً مادحاً والده، وواصفاً إياه بالكرم"^(٥):

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُخْزِنِي فِي حَيَاتِهِ وَلَمْ أَخْزِهِ حَتَّى تَغَيَّبَ فِي الرَّجْمِ
فَأَعْطَى حَتَّى مَاتَ مَالاً وَهَمَّةً وَوَرَّثَنِي إِذْ وَدَّعَ الْمَجْدَ وَالكَرْمَ

الرجم: بمعنى القبر."^(٦)

وله قوله في مدحه نفسه وإطراءه عليها كونه رجلاً كريماً مضيافاً"^(٧):

(١) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب: أول كتاب الأطعمة، باب: ما جاء في الضيافة، رقم الحديث: ٣٧٤٩.

(٢) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب: أول كتاب الأطعمة، باب: ما جاء في الضيافة، رقم الحديث: ٣٧٥٠.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٩٨.

(٦) المرجع السابق، ص ٩٨.

(٧) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٣٦.

ونارٍ قُبِيلَ الصُّبْحِ بَادَرْتُ قَدَحَهَا حَيًّا النَّارِ قَدْ أَوْقَدْتُهَا لِمَسَافِرٍ

بادرت قدحها: أي أشعلتها قبل أن يوقد الناس، وقبل أن تحيا نيرانهم، وقال ابن الأعرابي: أي بالليل، لأن النار تحيا بالليل، وينتفع بضوئها، وترى على البعد، وإنما فعل ذلك لعزه وشرفه في قومه. ^(١)

هذه أبرز القيم الاجتماعية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، وسوف تورده الباحثة فيما يلي القيم الثقافية.

المبحث الخامس: عرض وتحليل القيم الثقافية المتضمنة في شعر كعب بن زهير:

إنه مما لا شك فيه أن ثقافة كل مجتمع هي هويته، وربما كانت الصورة الأولى التي تستطيع من خلالها المجتمعات الأخرى الاطلاع على ملامح أي مجتمع، والتعرف على خصائصه الدينية، والفكرية، والحضارية، والتراث؛ وبالوقوف على تعريف مفهوم الثقافة نجد أنها في اللغة مأخوذة من: "ثقف الشيء ثقفاً أي: حذقه، رجل ثقف أي حاذق فهم، وغلّام ثقيف أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه." ^(٢)

أما الثقافة في الاصطلاح فهي: "الرقى في الأفكار النظرية، وذلك يشمل الرقى في القانون والسياسة والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة، والرقى كذلك في الأخلاق أو السلوك، وترتبط الحضارة بالثقافة ارتباطاً وثيقاً، ذلك لأن ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها، فهي فكرها وحركتها وأسلوب حياتها." ^(٣)

ولما كان من أهم ما يشكل قيم المجتمعات " بل هو المصدر الأساسي للقيم عند الأفراد ثقافة المجتمع الذي ينشئون فيه، ويعيشون فيه، ومصدر القيم الثقافية السائدة في مجتمع ما هو تاريخ الجماعة، أو تراثها التاريخي الذي تنقله عن طريق التربية من جيل إلى آخر." ^(٤)

ولما كانت الثقافة هي الطريق إلى معرفة الشعوب وحضاراتهم كان من المهم البحث والتنقيب عن قيمنا الثقافية الإسلامية من شتى المصادر لإبرازها، والظفر بمعاني ألحق والخير منها، وإظهار كل ما هو نبيل يكمن داخلها؛ إلى غير ذلك من أهمية الثقافة، فهي تمتاز بخاصية التأثير والتأثر، وهذا يزيد من أهمية استخلاص القيم الإسلامية الثقافية من مكانها بشكل عام، ومن الشعر بشكل خاص؛ لاحتوائه على القيم الثقافية القيمة والثمينة، وهذا ما يزيد من أهمية البحث عن القيم الثقافية واستنباطها، ومن ثمّ تنميتها لدى الطلبة؛ وشعر كعب بن زهير يعدّ مصدراً من مصادر التراث العربي العريق، والثقافة العربية جزء من تراث الشاعر وعاداته وتقاليده، وموروثاته العربية التي جسدت العديد منها من خلال أبياته الشعرية، وهي إنما تمثل ما كان سائداً في مجتمعه متوارثاً في عصره، وما كان متداولاً بين الناس من قيم وعادات، وشعره وشعر من عصره، وأدبهم هو ما تبقى لنا ليروي ما اتصف به مجتمعه من سلوك وقيم وأخلاق.

(١) المرجع السابق، ص ٣٦.

(٢) العلامة ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٨٤-٦٨٥.

(٣) نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٥ - ١٦.

(٤) نجيب أسكندر إبراهيم - محمد عماد الدين - رشدي منصور، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م، ص ٣١.

وسوف تورد الباحثة فيما يلي بعض النماذج الشعرية التي تضمنت قيماً ثقافية من شعر كعب بن زهير، والتي من أهمها قيم الاعتزاز بالإسلام، فلكعب بن زهير العديد من القيم التي تصب في اعتزازه بالدين الإسلامي، واعتزازه بدخوله في هذا الدين، وانتمائه له من خلال اعتزازه برجالات هذا الدين، وهو في شعره يميل لقوة هذا الدين الذي ازداد قوة ورفعة بهؤلاء الرجال، الذين جعلهم الله تعالى حصن للدين الإسلامي ومنعة له، ومبعث فخر لكل مسلم ومسلمة، وهم الرسول الكريم المبعوث بهذا الدين، وصحابته الأخيار الميامين، اختار الشاعر هذا الدين العزيز الذي اصطفى الله معتنقيه على العالمين بالعزة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]

فالشاعر أدرك قيمة الإسلام وتميزه، ووعي على مصدر عزته، وافتخر بانتمائه له، وافتخر بمنابر هذا الدين من خلال أبياته الشعرية، وهي كالتالي:

أولاً- الاعتزاز بنبي الدعوة الإسلامية محمد- صلى الله عليه وسلم- .
يقول^(١):

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنْدٌ مِنْ سِيوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ

يستضاء به: أي يهتدى به.^(٢) فهو- صلى الله عليه وسلم- من قام بتبليغ الرسالة، وشرح معالم الدين.
وله قوله^(٣):

مَسَحَ النَّبِيُّ جَبِينَهُ فَهَلَهُ بِيَاضٌ فِي الْخُدُودِ
وَبُوجْهِهِ دِيَابِجَةٌ كَرُمٌ النُّبُوَّةِ وَالْجُدُودِ

ثانياً- الاعتزاز بالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم

١ - اعتزازه بعمر بن الخطاب-رضي الله عنه -، في ذلك يقول^(٤):

فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
بِطَنْ مَكَّةَ، لَمَّا أَسْلَمُوا : زُؤَلُوا

العصبة: الجماعة. قائلهم: أراد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - . زؤلوا: أي هاجروا من مكة إلى المدينة، وإنما خص قريشاً بالذكر؛ لأن أغلب المهاجرين كانوا منها.^(٥)

٢ - اعتزازه بعلي بن أبي طالب-رضي الله عنه-:

وقد قال كعب هذه القصيدة في مدح علي بن أبي طالب رضي الله عنه.^(٦) والتي تورد الباحثة جزءاً منها،

(١) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٥) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٦) المرجع السابق، ص ٣٩.

يقول" (١):

إِنَّ عَلِيًّا لَمَيْمُونٌ نَقِيْبَتُهُ
صَهْرُ النَّبِيِّ وَخَيْرُ النَّاسِ مُفْتَخِرًا
فَكَلُّ مَنْ رَامَهُ بِالْفَخْرِ مَفْخُورٌ
صَلَّى الطَّهَّورَ مَعَ الْأُمِيِّ أَوْلَهُمْ
فَكَلُّ مَنْ رَامَهُ بِالْفَخْرِ مَفْخُورٌ
مُقَاوِمٌ لَطْعَاةِ الشَّرْكَ يَضْرِبُهُمْ
حَتَّى اسْتَقَامُوا وَدِينُ اللَّهِ مَنْصُورٌ
بِالْعَدْلِ قُتِمَتْ أَمِينًا حِينَ خَالَفَهُ
أَهْلُ الْهَوَى وَذَوُو الْأَهْوَاءِ وَالزُّورُ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ نَعْلًا لَهُ قَدَمٌ
بَعْدَ النَّبِيِّ لَدَيْهِ الْبَغْيُ مَهْجُورٌ
مِنْ أَيْنَ أَنَّى لَهُ الْأَيَّامُ تَغْيِيرُ
أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَضْلًا لَا زَوَالَ لَهُ

ثالثاً - الاعتزاز بالصحابة - رضوان الله عليهم - :

١ - في اعتزاز كعب بن زهير بالمهاجرين:

يقول" (٢):

فِي غُصْبَةٍ مِنْ قَرِيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
زَالُوا ، فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ ، وَلَا كُشْفٌ
بِطْنِ مَكَّةَ ، لَمَّا أَسْلَمُوا : زُوْلُوا
عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَلَا مِيْلٌ مَعَارِيْلُ
مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا ، سَرَابِيْلُ
كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُوْلُ
قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا
ضَرْبٌ ، إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَابِيْلُ
مَا إِنَّ لَهُمْ غَ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيْلُ
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاخُهُمْ
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرِ
لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْوَرِهِمْ

٢ - في اعتزاز كعب بن زهير بالأنصار:

فيما روي أنه "لما سمعت الأنصار قصيدته اللامية في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - شق عليه، حيث لم يذكرهم مع إخوانهم من المهاجرين، فتعظفت عليه وأهدت إليه، وكلموا النبي - صلى الله عليه وسلم - فأمنته، وقالوا: إلا ذكرتنا مع إخواننا من قريش؟" (٣)

(١) المرجع السابق، ص ٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٣.

وهذه الأبيات بعض مما قال كعب في ذكر الأنصار، يقول^(١):

مَنْ سَرَّهُ كَرْمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزُلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
تَرُنُّ الْجِبَالَ رَزَانَةً أَحْلَاهُمُ وَأَكْفَهُمْ خَلْفًا مِنَ الْأَمْطَارِ
الْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأُذْرَعٍ كَصَوَاقِلِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ
وَالدَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ بِالْمَشْرِقِيِّ وَبِالْقَنَا الْخَطَارِ
وَالْبَاذِلِينَ نَفْسَهُمْ لِنَيْبِهِمْ يَوْمَ الْهِيَاجِ وَقَبَةِ الْجَبَارِ

أيضا من قيم الاعتزاز في شعر كعب بن زهير اعتزازه بالهوية العربية، واعتزازه بالقبائل العربية وما تحلت به هذه القبائل من قيم إسلامية عريقة، والاعتزاز بالبيئة العربية وملاحمها البدوية والاعتزاز بالشعر العربي وشعره، من ثم اعتزاز الشاعر بملكته الشعرية وتقديره لذاته ومؤهلاته الشخصية.

رابعا- الاعتزاز بملامح البيئة العربية:

من أهم ما يميز شعر كعب بن زهير اعتزازه بملامح البيئة البدوية، وتغنيه بالمناطق العربية، فقصائده لا تكاد تخلو من تطرقه لتوثيق المناطق العربية، ووصفه لها، والأسلحة التي كانت موجودة للدفاع عن أفراد القبائل والجماعات، من سيوف، ورمح، ودروع، وسهام والخيول العربية؛ ليجد القارئ فكراً يستطيع من خلاله رسم ملامح الحضارة البدوية القديمة؛ فالشعر الذي يصور لنا هذه الملامح يعود على القارئ بالفائدة من خلال إتاحة الفرصة له برسم صورة تحاكي الماضي بمختلف أشكاله، يوضح لنا ملامح بيئة أجدادنا بكافة صوره وألوانه، ويتيح لنا التعرف على تراثنا العربي الأصيل الذي هو جزء من هويتنا الثقافية والاجتماعية والفكرية؛ ونذكر على سبيل المثال بعد المناطق التي وثقها كعب بن زهير في شعره، وهي على النحو التالي:

١ - مكة المكرمة والطائف. يقول^(٢):

نَقِي أَهْلَ الْحَبْلِقِ يَوْمَ وَجِّ مُزِينُهُ جَهْرَةً وَبَنُو خُفَافِ
صَرِينَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ النَّبِيِّ الْخَيْرِ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ

وج: يعني الطائف.^(٣)

٢ - منطقة بدر. يقول^(٤):

صَدَمُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرِ صَدْمَةً دَانَتْ عَلِيٌّ بَعْدَهَا لِنَزَارِ

(١) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٢.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢١.

وبدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة. وعلى هنا: هو علي بن بكر بن وائل.^(١)

٣- منطقة خيبر. يقول^(٢):

رُمِيَتْ نَطَاةٌ مِنْ الرَّسُولِ بِفَيْلِقٍ شَهَاءَ ذَاتِ مَنَاقِبٍ وَفَقَارٍ

ونطاة: اسم لأرض خيبر. الفيلق: الكتبية أو الجيش العظيم. شهباء: عزيمة يبرق حديدها وسلاحها.^(٣)

أيضاً من ملامح البيئة البدوية العربية الخيل التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالعرب والعروبة، ولكعب بن زهير أبياتٌ شعريةٌ يصف فيها خيله التي أسماها الكميت، فيقول^(٤):

وَإِنَّ الْكُمَيْتَ عِنْدَ زَيْدٍ ذِمَامَةٌ وَمَا بِالْكُمَيْتِ مِنْ خَفَاءٍ لِمَنْ رَأَى

يَبِينُ لِأَفْيَالِ الرِّجَالِ وَمِثْلُهُ يَبِينُ إِذَا مَا قِيدَ فِي الْخَيْلِ أَوْ جَرَى

مُؤْمَرٌ كَسِرْحَانِ الْقَصِيْمَةِ مُنْعَلٌ مَسَاحِي لَأَ يُدْمِي دَوَابِرَهَا الْوَجِي

شديد الشظى عبل الشوى شنج النساء كأن مكان الردف من ظهره وعى.

يشير إلى الكميت، ويقول: إنه يظهر لضعاف الرأي من الرجال فأره، والحقيقة أن كرمه لا يظهر إلا إذا انطلق في سباق الخيل أو جرى. والممر: أي مدمج الخلق. السرحان: الذئب. والمساحي: الحوافر. دوابرها: ماخرها. الوجي: هو أن تشتكي إذا وطغت الأرض. والشظى: عظمة لاصقة بعصب الذراع. عبل الشوى: ضخم الأطراف. شنج النساء: عرق يستحب قصره وتشنجه في الخيل، فإذا طال ضعفت الرجل. الردف: الراكب خلف الراكب. وعى: أي العظم إذا جبر بعد كسر وضح، وذلك أشد له.^(٥)

إلى غير ذلك من ذكر السيوف والدروع والسهام بمختلف مسمياتها، فيقول^(٦):

هُمُ ضَرَبُوكُمْ حِينَ جُرْتُمْ عَنِ الْهُدَى بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى اسْتَقَمْتُمْ عَلَى الْقِيَمِ

وله أيضاً^(٧):

المُكْرَهِيْنَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْعِ كَصَوَاقِلِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ

(١) المرجع السابق، ص ٢١.

(٢) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥-١٦.

(٥) المرجع السابق، ص ١٦.

(٦) المرجع السابق، ص ٩٩.

(٧) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٩.

وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنِ أَدْيَانِهِمْ بِالْمَشْرِفِيِّ وَالْقَنَا وَالْخَطَّارِ

السهمري: ضرب من القنا. صواقل الهندي: السيوف القاطعة. المشرفية: السيوف، نسبت إلى قري من أرض اليمن. ألقنا الخطار: الذي اشتد اهتزازه، وقيل الذي إذا هز تتابع مقدمه ومؤخره.^(١) وقوله^(٢):

بِالْمُرْهَفَاتِ كَأَنَّ لَمَعَ ظُبَاتِهَا لَمَعُ السَّوَارِي فِي الصَّبِيرِ السَّارِي

المرهفات: السيوف الحادة. الظبة: مقدم السيف وحده القاطع. السواري: السحائب التي تأتي ليلاً. لمعها: برقها.^(٣)

" وقال أبو عبيدة: أحسن ما قيل في وصف الدرع قول كعب^(٤):

وَيَبِضُّ مِنَ النَّسْجِ الْقَدِيمِ كَأَنَّهَا نَهَاءُ بَقَاعِ مَاؤَهَا مَتْرَائِعُ
تَصَفَّفَهَا هُوجُ الرِّيَاحِ إِذَا صَفَّتْ وَتَعَقَّبُهَا الْأَمْطَارُ فَالْمَاءُ رَاجِعُ

وله في ذكر السهام، قوله^(٥):

حَدَوْا أَكْتَأْفَهُمْ ضَرْباً وَطَعْنَا وَرَمِيًّا بِالْمَرِيْشَةِ اللَّطَافِ

المريشة: السهام.^(٦)

خامساً- الاعتزاز بقبائل العرب والافتخار بقيمتها الإسلامية العريقة:

يعتز كعب بن زهير في شعره بقبيلته، وبالقيم التي تحلت بها هذه القبيلة من كرم وشجاعة، وعلو شأن ومكانة،

وقيم العفو والصفح، وقيم الدِّفاع عن الحسب والعرض؛ ويقول في ذلك^(٧):

إِنِّي امْرُؤٌ أَقْتَى الْحَيَاءِ وَشِيْمَتِي كَرَمُ الطَّبِيعَةِ وَالتَّجَنُّبُ لِلْحَنَا
مِنْ مَعَشَرٍ فِيهِمْ قُرُومٌ سَادَةٌ وَلِيُوْتُ غَابٍ حِينَ تَضْطَرُّمِ الْوَعَى

القروم: السادة، على التشبيه بالقروم من الإبل لعظم شأنها وكرمها.^(٨)

(١) المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٧.

(٥) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٦) المرجع السابق، ص ٦٢.

(٧) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١١.

(٨) المرجع السابق، ص ١١.

وله قوله^(١):

أَعِيرْتَنِي عِزًّا عَزِيزًا وَمَعَشْرًا كِرَامًا بَنَوْنَا لِي الْمَجْدَ فِي بَاذِخِ أَشْمِ
هُمُ الْأَصْلُ مِنِّي حَيْثُ كُنْتُ وَإِنِّي مِنَ الْمُزَيْنِ الْمُصْقَيْنِ بِالكَرَمِ

وله قوله^(٢):

وَبَالَعْفُو وَصَانِي أَبِي وَعَشِيرَتِي وَبِالدَّفْعِ عَنْهَا عَنْ أُمُورِ تَرْبِيهَا

وله قوله^(٣):

فَنَحْنُ بَنُو الْأَشْيَاحِ قَدْ تَعَلَّمُونَهُ نُدَبُّ عَنْ أَحْسَابِنَا وَنُدْفَعُ

وله أيضاً في اعتزازه بمشاركة القبائل العربية في الفتوحات الإسلامية ومدى شجاعتهم في الحروب والقتال^(٤):

ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحَ النَّبِيُّ الْخَيْرَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ
صَبَحْنَاهُمْ بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ وَالْفِ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ وَافِ

وقوله^(٥):

مَتَى أَدْعُ فِي أَوْسٍ وَعُثْمَانَ يَا نَبِيَّ مَسَاعِيرِ حَرْبٍ كُلَّهُمْ سَادَةٌ دِعْمِ

سادساً- تقدير الذات في اعتزاز الشاعر بملكته الشعرية:

وللشاعر أبيات في الإشادة بشعره تبين مدى ثقة كعب بن زهير بشاعريته، واعتزازه بملكته الشعرية التي تميز في

الوسط الشعري من خلالها، وهي على النحو التالي:

يقول^(٦):

فَمَنْ لِلْقَوَافِي شَانَهَا مَنْ يَحْوُكُهَا إِذَا مَا ثَوَى كَعْبٌ وَفَوَزَ جِرْوُلُ
نَقُولُ فَلَا نَعْيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ وَمَنْ قَاتَلِيهَا مَنْ يُسِيءُ وَيَعْمَلُ
يُقُومُهَا حَتَّى تَقُومَ مُتُونُهَا فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يَتَمَثَّلُ
كَفَيْتُكَ لَا تَلْقِي مِنَ النَّاسِ شَاعِرًا تَنَخَّلُ مِنْهَا مِثْلَ مَا أَتَنَخَّلُ

(١) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥١.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٢.

(٥) المرجع السابق، ص ٩٩.

(٦) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٧٣.

جرول هو الشاعر الحطيطية. ثوى: أي هلك، فوز: مات. يعمل: أي يتصنع ويتكلف. وفي رواية (يقومها حتى تلبن متونها) أراد أنه يقوم القوافي كما تقوم السهام. تنخل: اصطفى واختار. "وله أيضاً قوله"^(٢):

فإن تَسألِ الأَقوامَ عَنِّي فَإِنِّي أنا ابنُ أبي سُلَميَ على رَعْمٍ مَن رَعَمَ
أقولُ شَبِياتٍ بما قالَ عالِماً بهنَّ ومَن يُشَبِّه أباهُ فما ظَلَمَ
سابعاً- الاعتزاز بالشعر والشعراء العرب:

يعتز كعب بن زهير بالشعر والشعراء، وانتسابه إليهم وامتداده لهم، فله أبيات يعتز فيها بشعر والده زهير بن أبي سلمى ويفخر بمنزلة هذا الوالد بين الشعراء العرب، ومكانته فيما بينهم. يقول فيها"^(٣):

وأذركُ ما قد قالَ قبلي لدهره زهيرٌ وإن يَهلكُ تُخلدُ نواطِقهُ

يقول: إن كان زهير قد هلك فقد أبقى في من كلامه حكماً دونت عنه وخلدت. والنواطق: القصائد هاهنا. ويقال: خلد الرجل بالمكان وأخلد، إذا لم يبرح منه."^(٤)

وله أيضاً في فخره بوالده واعتزازه بمكانته الشعرية، ما روي عنه في صغره من إكمال بيت شعر والده زهير بن أبي سلمى، "عندما أنشده والده من البيت الأول، ومن البيت الثاني: نزلت بمستقر العز منها، فقال كعب: فتمنع جانبيها أن يزولا، فقال زهير: أنت والله أبنى."^(٥)
وله أيضاً في اعتزازه بشعر والده قوله"^(٦):

أقولُ شَبِياتٍ بما قالَ عالِماً بهنَّ ومَن يُشَبِّه أباهُ فما ظَلَمَ

يعتز الشاعر أيضاً بشعر شاعر كبير وهو "الحطيطية والذي قال لكعب: قد علمتم روايتي لكم أهل البت، وانقطاعي إليكم، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك ثم تذكرني بعدك، فإن الناس أروى لإشعاركم. فقال كعب"^(٧):

فَمَنَ للَقوافي شانها مَن يَحوِّكها إذا ما ثوى كعبٌ وفورٌ جرولُ

وهي أبيات تم ذكرها وشرح معانيها فيما سبق في اعتزاز كعب بن زهير بملكته الشعرية.

(١) المرجع السابق، ص ٧٣.

(٢) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٤-٦٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٥) المرجع السابق، مقدمة الكتاب، ص (ق - ر).

(٦) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٤-٦٥.

(٧) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦.

ثامناً- تخليد أمجاد العرب وإحياء تراثهم:

يعتبر الشعر ديوان العرب، وسجل حياتها، وله مكانة خاصة في نفوسهم، وهذه المكانة لا ينازعه فيها أي فن من فنون القول الأخرى، كالخطابة الوصايا والأمثال وغيرها، فهو بمثابة صندوق أسرارها، ومفاخرها، وأحزانها، وأفراحها، فلا عجب إذا وجدنا حياة البدوي واضحة المعالم في الشعر الذي وصلنا، فهذا الشعر يصفه ويصف قبيلته وأبطالها وانتصاراتها، وظروف حياته كاملة " فشعر كل عصر هو مرآة له، ومن خلاله تفهم الحياة العربية القديمة والحضارة السالفة التمسنا ذلك بالشعر العربي القديم."^(١)

فلكل حقبة زمنية شعراؤها الذين أثروا الأدب بالقصائد والدواوين، والتي كانت تعكس ملامح شخصياتهم وملامح بيئتهم، فكل قصيدة تؤرخ فترة زمنية في حياة الشاعر، فتصف حالته فيها، وترسم لنا مشاعره وأحاسيسه إلى جانب رسمها للواقع الذي يعيش فيه، والظروف من حوله زمنية كانت أو مكانية.

وقد خلد شعر كعب بن زهير أمجاد العديد من العرب، وأبقى ذكرهم حياً صدحاً في الشعر والأدب العربي؛ ومما زاد أشعار كعب بن زهير مكانة ورفعة تغنيه بالنبي المصطفى محمد - صلى الله عليه وسلم -، ومثل هذه الأشعار تبقى الشعلة المضيفة، والتي خلدت لنا حال المسلمين وحبهم لرسول الله صلوات الله عليه وتسليماته - معهم، فهذه أبيات من أعظم أبيات المدح في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمهاجرين، والتي أعجب بها صلوات الله عليه إعجاباً شديداً، يقول^(٢):

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنْدٌ مِنْ سِيوفِ اللَّهِ مَسْلُوفٌ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ بِيْطْنٍ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُؤَلُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ ، وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَلَا مِيلٌ مَعَارِيزِلُ
شَمَّ الْعَرَانِينَ ، أَبْطَالَ ، لُبُوسُهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ ، فِي الْهَيْجَا ، سَرَابِيلُ

"ومضى يمدح المهاجرين حتى قال:

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزَّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبَ إِذَا عَرَدَ السَّوْدُ التَّنَابِيلُ

يعرض بالأنصار لغلظهم - كانت عليه - فأنكرت قريش ما قال، وقالوا لم تمدحنا إذ هجوتهم، ولم يقبلوا منه

ذلك حتى قال يذكر الأنصار^(٣):

مَنْ سَرَهُ كَرْمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ

(١) منيف موسى، في الشعر والنقد، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م، ص ١٦.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٣) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٨٦-٨٧.

الْبَادِلِينَ نَفُوسَهُمْ لِنَبِيهِمْ يَوْمَ الْهَيَاجِ وَسَطْوَةِ الْجَبَّارِ
وَرَثُوا السِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِنَّ الْكِرَامَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ

ونجد أن كعب بن زهير كتب قصيدة أيضاً في مدح علي بن أبي طالب صهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، والتي خلدتها التّاريخ، وقد قال فيها ^(١):

صِهْرُ النَّبِيِّ وَخَيْرُ النَّاسِ مُفْتَخِرًا فَكَلُّ مَنْ رَامَهُ بِالْفَخْرِ مَفْخُورُ
صَلَّى الطُّهُورُ مَعَ الْأُمِّيِّ أَوْلَهُمْ قَبْلَ الْمَعَادِ وَرَبُّ النَّاسِ مَكْفُورُ
أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَضْلًا لَا زَوَالَ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَتَى لَهُ الْأَيَّامَ تَغْيِيرُ

ونجد كعب بن زهير أيضاً ينشد العديد من أبيات الفخر والحماسة، والتي يخلد فيها أثر والده زهير بن أبي سلمى، ويمتدح فيها أجداده وقبيلته، فنجدده يقول مفاخرًا ^(٢):

فَإِنْ تَسْأَلِ الْأَقْوَامَ عَنِّي فَإِنِّي أَنَا ابْنُ أَبِي سُلَمَى عَلَى رَغْمٍ مِنْ رَغْمٍ
أَنَا ابْنُ الَّذِي قَدْ عَاشَ تَسْعِينَ حِجَّةً فَلَمْ يَخْزِ يَوْمًا فِي مَعَدٍّ وَلَمْ يُلْمِ
أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يَخْزِنِي فِي حَيَاتِهِ وَلَمْ أَحْزُهُ حَتَّى تَغَيَّبَ فِي الرَّجْمِ
أَقُولُ شَبِيهَاتٍ بِمَا قَالَ عَالِمًا بِهِنَّ وَمَنْ يُشْبِهْ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ

ويقول أيضاً ^(٣):

وَأَدْرَكْتُ مَا قَدْ قَالَ قَبْلِي لِذَهْرِهِ زُهَيْرٍ وَإِنْ يَهْلِكُ تَحْلُدُ نَوَاطِقُهُ
تُبْصِرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ضَعَائِنَ كَنَحْلِ الْقَرَى أَوْ كَالسِّفِينِ حَزَائِقُهُ
تَرَبِّعَنَّ رَوْضَ الْحَزَنِ مَا بَيْنَ لِيَّةِ وَسِيحَانَ مُسْتَكًّا لِهِنَّ حَدَائِقُهُ

فشعر كعب بن زهير هو بمثابة السجل التراثي العظيم الذي خلد المآثر والمفاخر، وذكر العرب وأحوالهم، من خلال نصوصه، والتي من خلالها استطعنا استدعاء الشخصيات الأدبية التي ذكرها إما بفخر أو مدح أو غير ذلك، فهو من أهم الشعراء الذين استطاعوا استغلال قدرته التعبيرية والتصويرية لإيصال التراث الإسلامي الشعري إلينا عبر العصور، وإيصال جميع أبعاده النفسية والشعرية إلى المتلقي، ويجعله قادراً على التعايش مع تجربة الشاعر الشعرية. إذن فقد كان الشعر بحق هو ديوان العرب، خاصةً المنظوم من كلامها، والمقيد لأيامها، والشاهد على أحكامها.

(١) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤١.

(٢) المرجع سابق، ص ٨٣.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٩.

تاسعاً - زيادة الثقافة وإثراء الفكر:

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشَأُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ولا شك أنّ هذه المسؤولية بالغة الأهمية في نظر الإسلام؛ لأنه حمل الآباء والمربين وكلّ مكلف مسؤولية التقيد بما هم مكلفون فيه، من أجل السير بالحياة وفق الأسس السليمة التي أرادها الله تعالى، ومن ضمن هذه المسؤوليات تربية الأبناء وتعليمهم، وتنشئتهم على الاغتراف من معين الثقافة والعلم، وتركيز أذهانهم على الفكر المستوعب، والمعرفة المجردة، وفهم الحياة والمحكمة المتزنة والإدراك الناضج الصحيح، وبهذا تنضج العقول ويثري الفكر وتشخذ الأذهان، فمن المعلوم تاريخياً أن أول آية نزلت على قلب رسولنا الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هذه الآيات: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥]، وما ذاك إلاّ تمجيداً لحقيقة العلم والقراءة والاطلاع، وزيادة الثقافة والفهم، وإيداناً لرفع منارة الفكر والعقل.

ولمّا كان العلم يعني "وصول النفس إلى معنى الشيء"^(١)، كان من الضروري إيصال المعرفة والثقافة إلى النفس، وتزويدها بكل ما هو نافع إيجابي لها ولجتمعتها، وللإنسانية جمعاء.

وإنّ من أهمّ المنشطات الفكرية للعقل التدبير، والتفكير لفهم الحياة، والتي لا تكون إلاّ عن طريق إثراء هذا الفكر بالمعرفة الصحيحة، والفكر الواعي، قال تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ بُدِيَ السَّرَائِرُ * فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ [الطارق: ٥-١١]

وقال عزّ وجلّ لافتناً النظر إلى الطير في السماء: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتِ وَيَقِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك: ١٩]

وقال عزّ وجلّ في شأن النبات: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَبْنَا وَقَضَبًّا * وَزَوَّجْنَا وَنَخَالًا * وَحَدَّائِقَ غُلْبًا * وَفَنَكِهَةً وَأَبًا * مَنَّاعًا لَكُمْ لِأَنْتُمْ كَرِيمٌ ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]

وهذه الآيات والدلائل إنّما هي رسالة إلى " لفت الحس والقلب والعقل للنظر إلى ما في السماوات والأرض، وهي وسيلة من وسائل المنهج القرآني لاستحياء القلب الإنساني؛ لعله ينبض ويتحرك ويتلقى ويستجيب."^(٢) وقد جاءت آيات كعب بن زهير مؤكدة هذا المعنى، مؤيدة لآيات التدبر القرآنية مصورة لمعاني الحياة على غرار التشبيهات القرآنية، فنجدته في أحد أبياته يقول "^(٣):"

والمَرْءُ والمَالُ يَنْمُو تُمْ يُذْهِبُهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَيُفْنِيهِ فَيَنْسَحِقُ

(١) على محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٢) فاتن عازي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٣) على فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٥٦.

كَالْغُصْنِ بَيْنَا تَرَاهُ نَاعِمًا هَدْبًا إِذْ هَاجَ وَانْحَتَّ عَنْ أَفْنَائِهِ الْوَرَقُ

وهو في هذه الأبيات كأنما اقتبس المعنى من قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٢١]

والشاعر إنما يصف حال الإنسان والمال، ويربطهما في التصوير، فكلاهما تعصف به الدهور، وتتحكم فيه الأقدار، فتارة تجد الإنسان في ريعان الحياة، وتتمام الراحة، واكتمالها وكذاك المال، وتارة أخرى تخطف قدرة الله كلاهما أما بموت أو فناء، وفي هذا رسالة تربوية تطلب من القارئ تدبر صروف الحياة والاتعاظ منها، وأخذ العبر من خبرات السابقين، وتجاربهم، والشاعر يكمل تأكيد هذا المعنفي قوله^(١):

قَدْ يَعُورُ الْحَازِمُ الْمَحْمُودُ نَيْتَهُ بَعْدَ الثَّرَاءِ وَيُثْرِي الْعَاجِزَ الْحَمِيقَ

وكأنما اقتبس الشاعر المعنى من قوله: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وهي كناية عن تبديل الأحوال، وقلب صروف الإنسان والأيام.

عاشراً - خدمة القرآن والسنة وأقوال الأئمة والسلف الصالح:

عندما نزل القرآن الكريم طلبت رواية الشعر لخدمة كتاب الله والسنة النبوية. " والمناحي التي يدخل الشعر منها لخدمة كتاب الله كثيرة، منها: شرح غريبه وبيان مشكله، وتوجيه قراءته وتفسير إعرابه، وتوضيح أساليبه البيانية^(٢)، وغير ذلك من تأييده لقيم القرآن والسنة وتأكيد لها، فالشعر العربي الإسلامي يستقي قيمه من مصادر التشريع الإسلامي فهو منها، وفيها.

ونجد أنّ شعر كعب بن زهير جاء مؤكداً لقيم القرآن والسنة النبوية في العديد من المواضع، وسوف نوضح فيما يلي

ذلك:

١ - تأييده لقيمة الصمت وصون اللسان، والتي قال الله تعالى محذراً من خطر التشدد بالقول: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا

لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

ومنه ما روي في صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال:

[من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت]^(٣)، وسمع أيضاً الرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: إن

(١) المرجع السابق، ص ٥٦.

(٢) عدا ب محمود الحمش، الشعر في الإسلام، الرياض، دار الأمان، ١٤٠٧هـ، ص ٦٧.

(٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، رقم الحديث: ٦٤٧٥، ص ٧٩٧.

العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق]"^(١)، وقال الإمام الشافعي - رضي الله عنه - : " إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه، فإنَّ ظهرت المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر، وقال - رضي الله عنه - لصاحبة الربيع: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعينك، فإنَّك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك، ولم تملكها."^(٢) ويقول كعب بن زهير "^(٣):

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْصُرْ عَنِ الْجَهْلِ وَالخَنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

والخنا: الفحش في القول. وله أيضاً قوله "^(٤):

صَمَوْتُ وَقَوْلًا فَلِلْحَلِيمِ صَمْتُهُ وَبِالْعِلْمِ يَجْلُو الشُّكُّ مَنْطِقُهُ الْفَضْلُ

فأبيات كعب بن زهير جاءت مؤيدة ومؤكدة على ما جاء في القرآن والسنة من قيمة حفظ اللسان، وأنه ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا الكلام الذي تظهر منه المصلحة، وتعم به الفائدة، أما غير ذلك من الكلام، فالأفضل الإمساك عن النطق به، وأن يكتفي المؤمن بالسكوت إذا كان غير ذي دراية ولا علم، فذلك أركى له وأخير.

٢ - تأييده لقيم الوفاء بالعهد، وحفظ المعروف، ورعاية الذمم، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال عز وجل: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١] ويقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ الْايمَانِ ﴾ [الرعد: ٢٠].

وروي في صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: "أية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان"^(٥) وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: [اضمنوا لي سنًا أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم]"^(٦).

فالوفاء من شيم النفوس الكريمة، والأخلاق الحميدة، يعظم صاحبه في العيون تعلو مكانته في النفوس، "وسأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره في الحروب، فقال: كان رحمه الله تعالى يفعل كذا وكذا، فقال المنصور: عليك لعنة

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، رقم الحديث: ٦٤٧٧، ص ٧٩٧.

(٢) شهاب الدين محمد الأبيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، مرجع سابق، ص ١١٩.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم الحديث: ٣٣، ص ١٥.

(٦) الإمام ركي الدين المنذري الترغيب والترهيب في الحديث الصحيح، مرجع سابق، كتاب: الأدب وغيره، باب: الترغيب في أنجاز الوعد والأمانة والترهيب من إخلافه والخيانة والغدر وقتل المعاهد أو ظلمه، رقم الحديث: ٤٤٠٦ / ٢، ص ٥١٨.

الله تطأ بساطي، وترحم على عدوي. فقال: إنَّ نعمة عدوك لقلادة في عنقي، لا ينزعها إلا غاسلي، فقال له المنصور: ارجع يا شيخ فإنِّي أشهد إنَّك لوفي، ثمَّ أمر له بمال فأخذه، ثمَّ قال: والله لولا جلاله أمير المؤمنين وإمضاء طاعته ما لبست لأحد بعد هشام نعمة. فقال له المنصور: لله دَرَكُ فلو لم يكن في قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجداً مخلداً^(١) ويقول كعب بن زهير في ذلك^(٢):

وَقُومُوا فَاسُوا قَوْمَكُمْ فَاجْمَعُوهُمْ وَكُونُوا يَدَا تَبْنِي الْعَلَا وَتُدْفَعُ
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أَمَرْتَكُمْ فَأَوْفُوا بِهَا ، إِنَّ الْعُهُودَ وَدَائِعُ
لَشَتَّانِ مَنْ يَدْعُو فَيُوفِي بَعِيْدِهِ وَمَنْ هُوَ لِلْعَهْدِ الْمُؤَكَّدِ خَالِعُ

وله أيضاً^(٣):

وَأَعْطِينَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا رَسُولَ اللَّهِ مِنَّا مَوَائِقًا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي

وله أيضاً^(٤):

لِنَدْرِكَ وَالتَّنْدُورُ لَهَا وَفَاءُ إِذَا بَلَغَ التَّخْرِيَةَ بِالْعُوهَا

وقوله^(٥):

أَرْعَى الْأَمَانَةَ لَا أَخُونُ أَمَانَتِي إِنَّ الْخُنُونَ عَلَى الطَّرِيقِ الْأُنْكَبِ

وهذا إنما يوضح أهمية دور التراث الشعري، والتي تزخر بالعديد من القيم الإسلامية، والتي من شأنها خدمة الكتاب والسنة، وأقوال السلف والعلماء، فهي تؤدي دوراً مهماً في إيضاح العديد من المعاني التي تستغل على الطالب، إلى غير ذلك من تسهيل إيصال القيمة الإسلامية إلى نفسه، وهذا ما يجعل من خدمة القرآن والسنة مجالاً مهماً من مجالات شعر كعب بن زهير.

كانت هذه أبرز القيم الثقافية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، وبانتهائها تكون الباحثة قد انتهت من تحليل القيم الإسلامية في شعر كعب بن زهير، وسوف يتناول الفصل التالي والأخير موضوع الأساليب التربوية المقترحة لثمنية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة.

(١) شهاب الدين محمد الأبيشي، المستطرف في كل فن مستظرف، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

(٢) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٤٢-٤٣.

(٣) محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٤) علي فاعور، ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٥) الإمام أبي سعيد بن الحسن السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مرجع سابق، ص ٢٥٨.

الفصل السّابع

الأساليب التربويّة المقترحة لتنمية القيم الإسلاميّة المتضمنة

في شعر كعب بن زهير لدى الطّلبة

المبحث الأوّل: أسلوب القدوة الحسنة

المبحث الثّاني: أسلوب القصة

المبحث الثّالث: أسلوب ضرب المثل

المبحث الرّابع: أسلوب الحوار

المبحث الخامس: أسلوب الترغيب والترهيب

المبحث السّادس: أسلوب الموعظة الحسنة

المبحث السّابع: أسلوب التّربية بالأحداث والمواقف

المبحث الثامن: أسلوب الإقناع العقلي

- خاتمة الدّراسة والنتائج والتّوصيات والمقترحات

- المصادر والمراجع

- الملاحق

الفصل السابع

الأساليب التربويّة المقترحة لتنمية القيم الإسلاميّة المتضمّنة

في شعر كعب بن زهير لدى الطلّبة

تمهيد:

قامت الباحثة في الفصل الحالي بتقدّم أهمّ الأساليب التربويّة التي من شأنها تنمية القيم الإسلاميّة لدى الطلّبة، وخاصة في هذا الزمن الذي نحن أحوج ما نكون فيه إلى ترسيخ القيم الإسلاميّة وتعزيزها في النشء المسلم، وذلك من خلال تناول الأساليب التالية: (أسلوب التّربية بالقُدوة الحسنة، أسلوب القصة، ضرب المثل أسلوب الحوار، أسلوب الترغيب والترهيب، أسلوب الموعظة الحسنة، التّربية بالأحداث والمواقف، وأسلوب الإقناع العقلي).

واختيار الباحثة لهذه الأساليب دون غيرها مع أنّ للمصطفى - صلى الله عليه وسلّم - طرقاً وأساليب عديدة في تربية

الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - ومن ثمّ تربية أمته، ويرجع للأسباب التالية:

١ - اشتمال القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة وأغلب مصادر التشريع على هذه الأساليب التربويّة بشكل كبير وواضح وأكثر تركيزاً من غيرها من الأساليب.

٢ - استخدام هذه الأساليب أكثر من غيرها في غرس القيم الإسلاميّة في نفوس الطلّبة، واعتبارها من أهمّ أسس نجاح التّربية.

٣ - هذه الأساليب تعدّ الأكثر استخداماً في مجال التّربية بشكل عام، وفي الشّعْر التربوي على وجه الخصوص.

٤ - الأثر الواضح البيّن الذي تؤدّيه هذه الأساليب في مجال بناء وتعزيز القيم الإسلاميّة وتنمية الاتجاهات وغرس التقاليد والمثل العليا.

٥ - مناسبة هذه الأساليب للمرحلة العمرية التي شملتها الدّراسة (الطلّبة).

٦ - استعداد وقابلية المتعلّم أو المتربّي لهذه الأساليب بشكل أكبر دون غيرها.

وتعرض الباحثة فيما يلي تلك الأساليب من خلال المباحث التالية:

المبحث الأوّل: أسلوب التّربية بالقُدوة:-

يعتبر أسلوب القُدوة الحسنة من أهمّ طرق التّربية الفعّالة التي تُسهّم في تعديل سلوك الفرد، فهو أسلوب يعتمد على

ترجمة الكلمات إلى مواقف، ويحوّل العبارات إلى سلوكيات وأخلاق، ولقد عرّفت القُدوة بالعديد من التعريفات التي من

أهمّها:

أولاً: التعريف بالقدوة لغةً واصطلاحاً:-

تأني القدوة بمعنى: "مثال، أسوة، مثل أعلى" (١)

والقدوة في اللغة: مأخوذة من مادة (ق د و): ما تسننت به؛ أي اقتديت به، وهي الأسوة، يقال: فلاناً قدوة وقدوة يُقتدى به. (٢)

وعُرِّفت القدوة في الاصطلاح بأنها: "النموذج الذي تتوفر فيه الجوانب المتكاملة للشخصية ويحتذى به الآخرون في أفكاره وسلوكياته". (٣)

والقدوة في الاصطلاح أيضاً: "هي نماذج بشرية متكاملة تقدّم الأسلوب الواقعي للحياة في مجالاتها المختلفة السلوكية والانفعالية والعلمية والاجتماعية". (٤)

وعرّف خليل الحدري القدوة بأنها: "مثال الكمال النسبي المنشود يثير في النفس الإعجاب، فتتجذب إليه انجذاباً شديداً وتتأثر به تأثراً عميقاً، يرسخ فيها القناعة التامة به والحب الكامل له". (٥)

والقدوة هي: "الأسوة، وهي إصدار القول والعمل والسلوك، بحيث تكون في غاية الكمال الإنساني وتصدر هذه الأفعال عن نبي أو رسول؛ ليعلم البشرية مثل النبي محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قدوة المسلمين". (٦)

والله - جلّ في علاه - ربّ الرسول محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليكون القدوة والأسوة لجميع البشر يهديهم إلى طريق الفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة، لذلك جمّل الله تعالى هذا الرسول بفضائل الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، "ولقد بعثه الله تعالى ليكون قدوة للناس يحقق المنهج الإسلامي التربوي، ويرسم خطة محكمة لتربية الإنسان وتنظيم مواهبه وحياته النفسية والانفعالية والسلوكية، فكان عليه السلام قدوة في حياته الأبوية، وفي حسن معاملته للصغار، ولأصحابه وجيرانه، وكان قدوة في حياته الزوجية والصبر على أهله وحسن توجيه أزوجاه، فقد كان الرسول القدوة متصفاً بأعلى الكمالات الإنسانية والنفسية والخلقية والعقلية". (٧)

- (١) نجيب اسكندر، معجم المعاني، القاهرة، دار الأفاق، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٢٨١.
- (٢) غريد الشيخ محمد، المعجم في اللغة والنحو والصرف والإعراب والمصطلحات، ج ٥، حروف (ق - م)، بيروت، النخبة للنشر والتأليف، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ٥١.
- (٣) زياد محمد العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، عمان، دار عمار، ١٤٢٠هـ، ص ٣٢٧.
- (٤) عبد الرحمن صالح عبدالله، وآخرون، مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، الأردن، دار الفرقان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ١٥٢.
- (٥) خليل عبد الله الحدري، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، مكة المكرمة، مطابع جامعة أم القرى، ١٤١٨هـ، ص ٢٠٠.
- (٦) حليلة علي أبو رزق، توجيهات تربوية من القرآن والسنة في تربية الطفل، ط ٢، جدة، الدار السعودية للنشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٥٩.
- (٧) عبد السلام عبدالله الحندي، التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة، مرجع سابق، ص ٢٧٨-٢٧٩.

لذلك أمر الله تعالى باتباعه والحدو حذوه؛ لأنه أعلم بأحوال البشر ومصالحهم، وما يقدر على من قول وعمل، فسار على نهج الصحابة - رضوان الله عليهم - فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

ثانياً - أهمية أسلوب القدوة الحسنة في تنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة

لأسلوب التربية بالقدوة الحسنة أهمية كبيرة فهو وسيلة "نوه القرآن بها ودعا إليها، واستخدمها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان المثل الأعلى للصحابة، وكان القدوة للمسلمين على مرّ العهود، في واقع الأرض وهو بشر مثلهم، تتمثل فيه كلّ الصفات الخلقية والطاقات الروحية والحيوية الخلاقة، فيصدّقون مبادئ الإسلام الحية، لأنهم يرونها رأي العين، ولا يقرؤونها في كتاب، يرونها في بشر، فتتحرك لها نفوسهم وتحفو لها مشاعرهم."^(١)

ولقد كان الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وما يزال - للمسلمين أعظم قدوة، لا بل للعالم أجمع وخاصة في الآونة الأخيرة، ومع الانفتاح الكبير بين ثقافات الأمم وإطلاع كلّ أمة على موروث وعظماء الأمم الأخرى؛ فلرسولنا الكريم الاحترام والتأييد من العديد من رجالات الثقافات المختلفة، حتّى وإن لم يكونوا من معتنقي الإسلام، فالعقلاء من بني الثقافات والديانات الأخرى يتخذون من آراء وتوجيهات نبي الأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - منهاجاً لهم، ويؤيدون قيمه التي يجدون أنّها منهاجاً منيراً للعديد من أمور الحياة ويرون أنّ الطريقة المثلى في التعامل مع العديد من المواقف، فإعجابهم به حتّى وإن لم يكن إقراراً بدينه، فهو فخر بأخلاقه وقيمته وطريقته في فهم الحياة ومكوناتها، كيف لا وهو تطبيق لدين حنيف يعلم خير هذه النفس البشرية وما يساعدها على للوصول إلى تحقيق الكمال النفسي والروحي والاجتماعي.

وأسلوب التربية بالقدوة الحسنة من أهمّ وأنجح الأساليب في التربية، "ومن أنجح الأساليب المؤثرة في إعداد الناشئة خلقياً ونفسياً وعقلياً وعاطفياً، ولها أهمية كبرى في تربية الفرد وتنشئته على أساس سليم في كافة مراحل نموه؛ لأنّ الناس لديهم حاجة نفسية إلى أن يشبهوا الأشخاص الذين يحبونهم ويدرونهم، وإنّ هذه الحاجة تنشأ بادئ الأمر من خلال تقليد الأطفال لوالديهم وتقمّصهم لهم. ولأهمية القدوة في بناء الفرد وإعداده، فقد أكد القرآن على أهمية القدوة في تقرير مصير الإنسان تأكيداً قوياً، وهو يدعو المسلمين إلى أن يدرسوا سيرة الرسول - عليه الصلوة والسلام - فيتخذونه قدوة لهم"^(٢)، فيقول -جلّ وعلا-: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

[الأحزاب: ٢١]

(١) علي خليل أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، مرجع سابق، ص ١٣٢.

(٢) فاتن محمد عزازي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

وهذه الآية القرآنية أصل ومرجع للاقتداء والتأسي بالرسول في أقواله وأفعاله وأحواله، وصبره ومصابرته ومرابطته - صلوات الله وسلامه عليه - .

فكانت تربية الرسول تربية سلوكية موجهة، خاطب بها صحابته الكريمة والعامّة من الناس بأسلوب قريب إلى الذهن سهل التطبيق، غالباً ما كان يتّسم بالتطبيق العملي الفعلي قريب إلى النفس، يلتمس من خلاله شغاف قلوب البشر لمعرفة المسبقة باختلاف نفسياتهم وأحوالهم، ومدى حاجتهم للنصيحة والاقتداء عن طريق اللين والرفق، وهذا ما أوصاه به ربه في كتاب العزيز عندما قال:

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إلى جانب أنّك صالح خير قدوة، وكلّ من حمل أمانة إرساء قواعد هذا الدّين قدوة، وكلّ من أراد إشاعة قيم التقوى والسّلام في الأمة الإسلاميّة من علماء ومفكرين وأدباء قدوة، فمن حياة الصالحين يُستفاد من الجوانب الهادفة المشرقة، كما قال - عزّ وجلّ -: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فالقُدوة عامل مؤثر في صلاح الأجيال وهدايتها، أو فسادها وضلالها، فالفرد إنّما يتّخذ من الشّخص الذي يثير فيه الإعجاب قدوةً له، يطبّق ما يفعل ويحتذي حذو هذا الشّخص في جميع تعاملاته وتصرفاته، فالولد الذي يرى والده تاركاً للصلاة، يصعب عليه اعتيادها، والفتاة التي تعهد والدتها مداومة على الكذب، يصعب عليها الصدق، والإخوة الذين عهدوا من أخاهم الأكبر الغش والزيف، يصعب عليهم تطبيق قيمة الأمانة والنزاهة، لأنهم جميعاً يحاكون هذه السلوكيات، ويتعاملون بها فيما بينهم، فالعديد ممّا يكتسبه الأفراد من العادات المرغوبة الحسنة أو العادات المذمومة السيئة إنّما تعود بشكل كبير على القدوة التي يتعايش معها وينخرط من خلالها مع أفراد أسرته أو مجتمعه بشكل أكبر.

" ولأثر القدوة الفعّال في عملية التربية، خاصة في مجال الاتجاهات والقيّم، كان الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - هو قدوة المسلمين طبقاً لما نصّ عليه القرآن الكريم، وقد استطاع بفضل تلك القدوة أن يحمّل معاصريه قيّم الإسلام وتعاليمه وأحكامه، لا بالأقوال إنّما بالسلوك الواقعي الحي، وقد حرصوا على تتبّع صفاته وحركاته ورصدها والعمل بها، وما ذلك إلّا حرصاً منهم على تمثّل أفعاله - صلّى الله عليه وسلّم - لقد كان المثل لهم." (١)

لذلك نجد أنّ الدّين الإسلامي يؤكّد على دور القدوة الحسنة في التربية والتحلّي بصفات الرسول العظيمة، ويشدد على اقتداء الأسرة بهذه القدوة الحسنة وخاصة الأب والأم، ويوجه توجيهاته الحكيمة للأبناء والأمهات حيال استخدام أسلوب القدوة الحسنة في تربية الأبناء، وأنّ يكونوا على درجة جيدة من الاستقامة تتيح لهم أن يكونوا قدوة وصورة

(١) علي خليل أبو العينين، القيم الإسلاميّة والتربية، مرجع سابق، ص ١٣٢-١٣٣.

إسلامية لكل ما هو قويم وخير؛ لأنّ في صلاحهم صلاح لأبنائهم ولكلّ من اقتدى بأبنائهم، لأنّ هذا الابن هو قدوة لزميل آخر له في البيئة التي يعيش فيها أو في المدرسة، ونحن على اطلاع كبير بدور الرفقة وجماعة الأقران في تعديل سلوك الفرد بشكل إيجابي أو عكس ذلك، لذلك يُوصي الله تعالى المؤمنين في كتابه الحكيم بأنّ يتجنّبوا النار، ويجنّبوا أبنائهم حرّها وعذابها من خلال نجاتهم والنجاة بأبنائهم منها، فيقول - سبحانه وتعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فصلاح رب الأسرة ينتقل إلى الأفراد عن طريق اتخاذه القدوة والمرجع الأوّل لسلوكياتهم، وتقليد معظم أعماله الصالحة من خلال تعايشهم معه، وفي هذا نجاة من النار لنفسه ولأهله.

"وتعتمد التربية والتعليم على مرّ العصور على أسلوب القدوة في توصيل المعلومات إلى الآخرين، ويعدّها رجال التربية وعلم النفس حديثاً من أنجح وأسهل أساليب التربية؛ لما فيها من سمات ومميزات، نذكر بعضها فيما يأتي:

- ١ - تعتمد على المشاهدة المباشرة.
- ٢ - تثير في المتعلّم الرغبة في التقليد والمحاكاة.
- ٣ - تتناسب مع فطرة الإنسان وطبيعته في الاكتشاف.
- ٤ - تثير في المتعلّم الدوافع والحماس.
- ٥ - لا تحتاج إلى مزيد من الشرح والتحليل.
- ٦ - توفر الوقت والجهد المبذول في عمليات التعلّم.^(١)
- ٧ - تنمي القيم الإسلامية في نفس المتعلّم مع بقاء هذه القيمة أكثر رسوخاً في شخصية المتعلم.
- ٨ - القدوة تجعل الفرد يعتنق قيمة معينة بكامل إرادته، من خلال إعجاب تامّ بتلك القدوة من ثمّ الإعجاب بقيمتها وتشربها.

إذن فللقدوة الحسنة تأثيرٌ بالغ في بناء القيم الحسنة، ولا تكاد تخلو نفس من حبّها للمحاكاة والتقليد والتطبع بقيم شخصية أخرى على مختلف مراحل الحياة، فالطفل الصغير تهوى نفسه تقليد والديه أو رفيقه، والفتاة تهوى محاكاة شخصية والدتها ومعلماتها وصديقاتها، والشاب يهوى التأسّي بمن هم أكثر لفتاً للانتباه منه، لذلك كان من الضروري أن توجد القدوة الحسنة التي تنسجم مع قيم الدين الإسلامي، وأن تكون مرآة لمبادئه وتوجيهاته، فمن يقتدي بشخص يتّخذ إماماً له، لا شكّ أنّه يؤثّر على شخصيته، ويجب أن يكون مثله، هذا ما جعل من القدوة "خير معلّم؛ لذلك فعلى المرابي الحرص

(١) فاطمة حمد الرديني، التربية الإسلامية من المفهوم إلى التطبيق "ضرورة إنسانية"، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٣٧.

على أن يكون قدوةً صالحةً ظاهراً وباطناً، وأن يعمل بعمله، فلا يكذب فعله قوله، ولا يخالف ظاهره باطنه، بل لا يأمر بشيء ما لم يكن هو أول عامل به، ولا ينهى عن شيء ما لم يكن هو أول تارك له؛ ليفيد توجيهه، ويثمر إرشاده^(١)، منطلقاً في ذلك من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

فلا يكون قدوةً من دعا إلى السجايا الحميدة وترك نفسه، ومن أمر بالمعروف بين الناس وهو يتعاطى المنكر، ومن دعا إلى مصلحة المسلمين وهو يمارس المفسدة، فالأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن إنما هي قيم إسلامية وجب على المرابي الالتزام بها أولاً والقدوة الحسنة لا تمثل ولا تُصطنع، فالقدوة المؤثرة هي تلك القدوة التي يبرهن صاحبها نجاح اعتناقه للقيم والمثل عملياً لحمله لهذه القيم ولكونها منهج حياة له، لا يتكلف في إظهارها لمن حوله ولا يحاول إخفاء ما يخشى أن يظهر من سلوكيات خاطئة من خلال تعاملاته، هو قدوة مطبق لسلوكيات حسنة في السر والعلن، فلا بدّ على المرابي أن يعي مسؤولية هذه القدوة التي كانت وما زالت من أسس نجاح التربية، ومن أهم أساليب غرس القيم الإسلامية في نفوس الطلاب.

ويؤكد عماد عطية على أهمية أسلوب القدوة بالنسبة للطلبة فيقول: "أنه على الرغم من وجود منهج تربوي، وخطة محكمة لنمو الإنسان، وتوفر وسائل وطرق تعليمه، إلا أنّ ذلك لا يغني عن وجود القدوة الصالحة أمام المتعلم أو المتلقي للتربية؛ أي وجود نموذج حي أو ميت يتمثل فيه تطبيق ما تدعو إليه، فلا نكتفي بالحديث عن الصدق والأمانة أو غيرها أمام المتعلم، بل يجب أن يُرى فينا هذا النموذج الذي يتّصف بهذه الصفات بشكل عملي، فربما يكون التعلّم بالقدوة أقوى أثراً من التعلّم بالكلام."^(٢)

واتخاذ الصحابة - رضوان الله عليهم - نماذج للقدوة الحسنة أمر في غاية الأهمية؛ لأنّ تأسيس المترابي على القيم التي تحلو بها وتميتها في نفسه وسلوكه يساعد على بناء جيل مسلم واعد، ومجتمع إسلامي متين، والرسول الكريم - صلوات الله عليه - كان يجعل من صحابته وتابعيه قدوة ومثالاً ونموذجاً، فقد روي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكل أمة

(١) فايز عبد الله الحارثي، القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في بعض برامج الشّباب بقناة المجد الفضائية، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٢) عماد محمد عطية، التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص ١٢٠.

أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح.^(١)، اجتماع هذه النماذج الطاهرة التي تميّز كلّ نموذج منها بحصال تفرد بما عن الآخر كوّنّت أمة إسلاميّة عظيمة، جعلت منها بحق خير أمة أخرجت للناس.

إلى جانب ذكر الرّسول - صلوات الله عليه - النماذج النسائية والتي يعي الرّسول تماماً دور المرأة وأهميتها في بناء وتربية الأسرة الصالحة والمجتمع المستنير الذي يبلغ القمة من خلال هذه المرأة المسلمة بين المجتمعات في الرفعة والمنزلة، فلقد ذكر - صلوات الله عليه - ذلك في الحديث الشريف لأنّه يعلم أنّ من أهمّ سُبل نجاة نساء المسلمين اتّخاذ هذه النماذج قدوة حسنة والسير على نهجهن في السّلوك والقيّم والأخلاق، فعن أنس - رضي الله عنه - أنّ النبي - صلّى الله عليه وسلّم - قال: "حسبُك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون."^(٢)

وإنّ من الضروري على كلّ امرأة مسلمة تفعيل هذه النماذج الإسلاميّة باستخدامهن كقدوة وكأداة غرس القيّم والتفكّر في هذه الشخصيات الإسلاميّة التي كان لها دوراً بارزاً في تغيير العديد من الأحداث الإسلاميّة ممّا يساعد على إشعال جذوة الفكر لدى المتربّي في سنّ مبكرة ومحاولة رسم الصور عن هؤلاء القادة، ومن ثمّ محاولة محاكمتهم وتقليدهم، وممارسة سلوكياتهم والتحليّ بأخلاقهم، لما لهذه الشخصيات الإسلاميّة من صفات ومعالم مبهرة أهمّها القوة والثقة بالنفس، وهذا الصفات التي يطمح المتربّي دائماً للتخلّق بها والتحليّ بالصفات التي من شأنها زيادة الدعم الوجداني للفرد وصقل الجانب النفسي لديه.

واتّخاذ المسلمات المذكورات في كتاب الله تعالى وأمّهات المؤمنين والصحابيات الكرام قدوة ونموذج تحتذي به كلّ مسلمة أمر في غاية الأهمية، فهي تستطيع من خلال هذه النماذج تربية نفسها أولاً على أخلاقيات الدّين القويم، ومن ثمّ تربية أبناء أسرتها على الخلق الإسلامي والمثل العليا، يجعل منها سبباً مهماً من أسباب عودة الجيل المسلم الجديد إلى تحليهم بصفات المرأة الأصيلة التي تتجنّب كلّ ما يدنّس النّفس والعرض والسّلوك من خلال غرس القيم الإسلاميّة فيهن، ممّا يجعل من فتيات هذا الجيل أكثر اقتداء ومحاكاة لسلوكيات وأخلاق النساء الأوائل، وما امتزن به من قيّم إسلاميّة سمحاء، وتربويات عظيمة؛ كالالتزام بالحجاب الشرعي، والتحليّ بالعقّة والحياء، ومن أقامه حدود الله واجتنب ما نهى الله عنه، وحفظ الزوج والأهل ورعاية الولد وبرّ الوالدين والعديد من القيّم الإسلاميّة التي مثّلنها نساء المؤمنين خير تمثيل، هذا ما يجعل أهميّة التّربية بالقدوة الحسنة أمر في غاية الأهمية، وأنّ يكون من الضروري تفعيل دور المرأة القدوة في الإسلام، حتّى تستطيع المرأة المسلمة أن تجعل منهن المثل والنموذج في جميع تعاملاتها مع مجتمعها الذي يحيط بها من قريب أو بعيد، ممّا

(١) سنن الترمذي، كتاب: المناقب عن رسول الله، باب: مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، رقم الحديث: ٣٧٩٠، ص ٨٥٦.

(٢) سنن الترمذي، كتاب: المناقب عن رسول الله، باب: فضل خديجة رضي الله عنها، رقم الحديث: ٣٨٧٨، ص ٨٧٢.

يساعد على ضمان وجود جوٍّ إسلامي متصالح وأكثر تماسكاً؛ لأنَّ المرأة قادرة على إحداث هذا التغيُّر الإيجابي في المجتمع؛ لكونها تشكِّل نصف المجتمع فلا بدَّ أن تكون للمرأة مسؤولية كبرى في بناء مجتمع يمتلك سيدات مسلمات ذوات سلوك إسلامي قويم؛ كون هذه المرأة هي التي تنتج المجتمع، ولا تصلح المجتمعات إلَّا إذا صلحت المرأة، إذن على المرأة مسؤولية عظيمة في تقويم نفسها على أخلاق المؤمنات أولاً من ثمَّ إخراج مسلمات قادراتٍ على تربية الأجيال الأخرى بقيمٍ إسلاميةٍ قويمة ومثُل ثابتة.

المبحث الثاني: أسلوب القصة:

تستخدم التربية الإسلامية أسلوب القصة في تحقيق أهدافها التربوية؛ لما للقصة من أثرٍ عظيم في النفس الإنسانية، وخاصة إذا ما وضعت في أسلوب مؤثِّر وشيق، يخاطب عواطف الإنسان، ويحرِّك مشاعره وفكره وقلبه معاً، وتعتبر من أكثر الأساليب التي جاء بها القرآن الكريم، فالقرآن سرد في طياته العديد من الأحداث والحوارات، وذكر الأشخاص والأمكنة والأزمنة في أسلوب قصصي فريد وشيق احتوى على العديد من القيم التربوية الكفيلة برقيِّ المجتمع المسلم، إذا ما تمَّ غرسها في نفوس أبنائه على الوجه الصحيح.

وفي القرآن الكريم مجموعة كبيرة من القصص جاءت لإبراز أمور جوهرية أرادها الله -عزَّ وجل- ومن أولويات هذه الأمور غرس القيم الإسلامية في النشء، لتنشئة جيل مسلم يحكم بشرع الله وبتنزيله الحكيم، وبما جاء به رسوله الكريم -صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ أَلْقَصَبَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ويقول عزَّ وجل: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْقَابُ الْحَقِّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢].

أولاً: التعريف بالقصة لغةً واصطلاحاً:-

عرِّفت القصة في المعجم العربي بأنَّها: "الحديث والخبر، وهي حكاية تُكْتَب على قواعد معيَّنة من الفن الأدبي. والقصص، رواية الخبر، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾"^(١) [يوسف: ٣]، "والقصة لفظ غير مستحدث، بل هو من القدم المستعمل، كان يعني الأمر والحديث والخبر كالقصص، أو هي ما يُكتب، وجمع القصة (قصص) أمَّا الأفاصيص، فهي جمع الجمع."^(٢)

وعرِّفت القصة اصطلاحاً بأنَّها: "حكاية نظرية تصور أحداثاً واقعيةً أو خياليةً لمجموعة من الشخصيات تربطها عناصر مشتركة، تُعرض بأسلوب فكري وفني مشوّق، بهدف تنمية الشخصية بجميع جوانبها العقلية والوجدانية

(١) تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ٩٩١.

(٢) شوقي المعري، معجم التثقيف اللغوي، دمشق، دار الحارث، ٢٠٠٧م، ص ٦٧٧.

والجسمية." (١)

وعُرِّفت القصة بأنّها: "حكاية تتسلسل أحداثها في حلقات، وهذا التسلسل يتضمّن تطوّرات لأحداث ينتظمها الزمن، أو إنّ القصة حكاية تُروى نثراً ظاهرةً من ظواهر النشاط والحركة في حياة الإنسان، ففيها تعقّب الإنسان في سلوكه وتعمّقه إلى أدقّ التفصيلات أحياناً، وفيها ربط بين البداية والنهاية وتتوغل في داخل النفس لتظهر الآثار الخارجية للحدث." (٢)

وعُرِّفت أيضاً بأنّها: "الإخبار عن أحداث حقيقة سابقة، بكلام حسن الألفاظ، صيغ بأسلوب بديع مشوّق جذاب، وقد احتوى على العبر والحكم والعجائب، يهدي السامع بسحره للنفوس، إلى الدّين ويرشد إلى الخير وفضائل الأعمال." (٣)

يتّضح أنّ القصة من خلال المفاهيم السابقة بأنّها في أغلب الأحيان أحداث واقعية ومواقف سابقة مرّ بها شخصيات متعدّدة ومختلفة، تعاملوا مع عدة ظروف بشكل أو بآخر، تصبّ مصالحها في تعديل السلوك وتوجيهه من خلال أخذ العظة والعبرة والخبرة من عواقب ونتائج مواقف الآخرين، وهي تحمل في طيّاتها الدّعوة إلى الخير، والفضيلة، وتنبذ الشرّ والفواحش والرذيلة، وكلّ ما ينحرف بالمرء عن طريق الحق، لذلك استعان بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في التربية الإسلامية وللارتقاء بالنفس، وترسيخ العقيدة فيها، وتنمية القيم الإسلامية، وتعزيزها في أفراد المجتمع المسلم

ومن أهمّ ما يميّز القصة التربوية ويزيد من أهميتها أنّها:

١ - أحد أساليب التربية الإسلامية، والتي يؤكّد الله - سبحانه وتعالى - على أهميته أنّها أسلوباً من أساليب التربية والتعليم، حيث تضمّن القرآن الكريم والسنة النبوية الكثير من القصص، قال تعالى في ذلك: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِرَبِّهِمْ فَؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]

ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ نَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]

والله سبحانه وتعالى إنّما يذكر القصص لرسوله؛ حتى يدعمه معنوياً للاستمرار والمواصلة في أداء الدّعوة وتبليغ الرسالة، وتحمل المشقات؛ للوصول إلى الغايات والمآرب والمثابرة على ذلك بالصبر والعزيمة والجهاد.

٢ - تشدّد القصة القارئ أو المستمع من خلال مواقفها المتعدّدة.

٣ - القصة لها تأثير كبير على العواطف والمشاعر الإنسانية، فتكون لدى الإنسان ميولاً نحو فئة معينة أو أفراد معينين أو سلوكيات دون أخرى.

(١) ماجد زكي جلاد، تعلّم القيم وتعليمها، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٢) حليلة علي أبو رزق، توجيهات تربوية من القرآن والسنة في تربية الطفل، مرجع سابق، ص ٢٤٨.

(٣) زياد محمّد العاني، أساليب الدّعوة والتربية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص ٤٠٦.

٤ - تساعد القصة على تطوير ملكة الخيال للإنسان، فننقله من لوحة إلى لوحة أخرى من خلال التصوير الفني لمجريات وأحداث مختلفة.

٥ - نستطيع من خلال القصة استنباط العديد من أساليب التربية الإسلامية؛ كالقدوة الحسنة، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب.^(١)، والتي نستطيع من خلالها تنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة من خلال استعمال أكثر من أسلوب تربوي.

ثانياً: أهمية أسلوب القصة في تنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة:

"الأسلوب القصصي من أنجح الأساليب التربوية وأكثرها قبولاً واستحساناً من المتعلمين، فللقصة سحرها البديع، وتأثيرها الكبير على نفس السامع وعقله، ولها فعلها التربوي في غرس الإيمان، والقيم الفاضلة، والأجاءات الإيجابية في نفس الفرد، فالإنسان يميل بطبعه وسجيته للقصة ويجد فيها غذاءه الروحي والعقلي ويعطيها حواسه واهتمامه ووجدانه."^(٢)

فالقصة التي تخاطب العقل والعاطفة والوجدان معاً، وتشدّ القارئ أو المستمع لمتابعها وتأملها والتفكير في مغزاها وإثارة انفعالاته العديدة والمختلفة؛ كالخوف والرجاء، والترب، تعتبر أسلوباً تربوياً عظيماً، تُحمّل المربي مسؤولية كبيرة تجاه استغلالها في تربية نفوس المتربين على القيم الإسلامية، فهي بكل ما تحتويه من عرض للأحداث واستنباط للعبر والعظات، واستخدام العديد من العبارات الرائعة للدلالة على المقاصد يجعل من القصة "إحدى أهمّ وسائل التربية، التي يميل لها التلاميذ، وتؤثر في غرس القيم الإيجابية لديهم، إذا أحسن المعلم صياغتها في قالب عاطفي مؤثر، فإنها تجعل الطالب يميل إلى الخير وينفذه ويشمئز من الشر، ويهرب منه، وقد اشتمل القرآن الكريم على قصص واقعي جاء به القرآن الكريم للتربية، وهو يحتوي على كل أنواع التعبير الفني."^(٣)

"فالقصة الإسلامية ليست عملاً فنياً فحسب، بل هي وسيلة تهدف إلى تحقيق أغراض دينية، فالقصص القرآنية العديدة؛ كقصة سليمان، وداود، وإبراهيم وإلقائه في النار ونجاته منها، وقصة الطير الذي أتى به بقدرة الله تعالى بعد أن جعل على كل جبل جزءاً منه، وقصة لوط والعديد من القصص، إنما كانت أساليب تربوية مهمة في علاقات الإنسان الأخلاقية والروحية مع الآخرين."^(٤)، إلى غير ذلك من العديد من قصص الأنبياء كقصة موسى - عليه السلام - وأخاه هارون، وقوم عاد، وثمود، وقوم صالح، وقوم شعيب، وأصحاب الأيكة، وقصة طالوت وجالوت وجنودهما، وقصة يوسف مع امرأة العزيز، وقصة الخضر، وأصحاب الكهف، وقصة مريم عليها السلام.. والعديد من القصص، إلى غير ذلك من

(١) فاطمة حمد الرديني، التربية الإسلامية من المفهوم إلى التطبيق "ضرورة إنسانية"، مرجع سابق، ص ٢٥٢.

(٢) ماجد زكي جلاد، تعلم القيم وتعليمها، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٣) حسن عبدالله القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٤) عماد محمد عطية، التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص ١٢٨.

القصص التي وردت في السنّة النبوية المطهرة؛ كقصص بني إسرائيل، وقصة أصحاب الغار، وقصة الراهب والغلام وقصص الصحابة - رضوان الله عليهم - كقصة كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك، وغيرها من القصص النبوية الشريفة التي لا تكاد تعدُّ ولا تُحصى.

وللقصة آثار تربوية عظيمة، قد لا تتحقّق مع غيرها من الأساليب التي جاءت بها التّربية الإسلاميّة " فالقصة القرآنية النبوية تمتاز بميزات جعلت لها آثار نفسية وتربوية بليغة، محكمة، بعيدة المدى على مرّ الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة ومن حيوية وحركية في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمها، والعبرة منها." (١)

إذن فالقصص القرآني والنبوي عبارة عن خليط يجمع بين الغرض الفني والغرض التوجيهي الدعوي الإرشادي، قصص تهتم أولاً بتربية الفكر والوجدان والروح والجسد، تحصّن النّفس الإنسانيّة بما تحتاجه من دروع تحميه من الفتن الدخيلة عليه، يؤسّس هذه النّفس على قاعدة من القيم الإسلاميّة التربوية، تجعل من هذا الحصن صعب الاختراق أو الولوج له من أيّ منفذ، فقد حصّنت الفكر والوجدان والروح والجسد، ومن الصعب اختراق بناء محصن ومشيّد على أسس دينية عظيمة، فلا شهوات تضعفه، ولا بدع تؤثّر فيه.

فلا عجب من أن يستثمر القرآن الكريم والسنّة النبوية بأسلوبهما التربوي الفريد القصة وتوظيفها لتعميق الإيمان والعقيدة، وتهذيب النّفس وتعديل السلوك، وتعزيز القيم والاتجاهات في الفرد المسلم؛ وحرّيّ بالآباء والأمهات والمربّين بشكل عام استغلال هذا الأسلوب الفريد في التوجيه والتربية والتعليم وتعديل السلوك، والحرص على تدعيم أفكار الأبناء بهذه المبادئ والأفكار والقيم؛ إذ إنّ هذا الأسلوب القصصي أسلوب لا يكاد يفارق أيّ مؤسسة تربوية؛ سواء على نطاق الأسرة أو المدرسة أو المسجد أو غيرها من المؤسسات، وهو أسلوب يُستخدم منذ الصغر، ولا يمنع تقدّم الفرد في العمر من الاستغناء عن هذا الأسلوب، فما نزال نروي القصص ونستمع بسماعها؛ لما للقصة من قدرة على شدّ الانتباه ومخاطبة العقل على كافة المراحل واختلاف الأعمار، فالمرابي الجيد هو الذي يمكنه استغلال هذا الأسلوب حسب المواقف لخدمة القيم الإسلاميّة وقرسها في النفوس، فمن خلال أسلوب القصة يستطيع المرابيّ غرس العديد من القيم الإيجابية كالقيم الإيمانية ونظرة الأفراد الله تعالى وإلى الدّين، وتعليمهم العادات الدينية والعبادات والواجبات من صلاة وصوم وزكاة، إلى غير ذلك من احتفالات دينية كالأعياد الإسلاميّة دون غيرها، فالنظرة إلى الدّين والوجود والعبادات وكيفية التعامل مع النّاس تعتمد على المرابي سواء أكان في الأسرة أو في النواحي والمؤسسات التعليمية والحياتية الأخرى.

(١) عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلاميّة وأساليبها، مرجع سابق، ص ١٨٨.

المبحث الثالث: أسلوب ضرب المثل:-

ضرب المثل من أساليب التربية الإسلامية القادرة على تنمية القيم وتعزيزها في النفس، وهو أسلوب من أساليب الإيضاح والبيان، إن لم يكن أقواها في إبراز الحقائق المعقولة، في صورة الأمر المحسوسة والقابلة للتصوير؛ لأنّ ضرب المثل يعدّ وسيلة من وسائل تقريب الفكرة المتخيّلة وجعلها أمام نظر الناس وبين أيديهم وتدرّكها حواسهم.

أولاً: التعريف بضرب المثل لغة واصطلاحاً:-

والمثل في اللّغة: " هو الشبه والنظير، والمثل من مادة (م ث ل): ما يُضرب به من الأمثال، وهو الحدث نفسه، والعبرة والحجة."^(١)

وقيل بأنّ التشبيه هو: " إلحاق أمر بأمر في وصف مشترك بينهما بأداة من أدوات التشبيه."^(٢)

ويعني المثل: " تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر."^(٣)

وضرب المثل: " هو التمثيل الذي يقدّم الأفكار أو المعاني بصورة مثل يضرب لتجسيد تلك الأفكار وهو وسيلة تربوية تعليمية لتقريب ما كان بعيداً وإيضاح ما كان غامضاً."^(٤)

ويعرّف خليل الحدري أسلوب ضرب الأمثال بأنه: "أسلوب من أساليب الكلام يُؤتَى به لعرض حقيقة من الحقائق، أو للربط بين أمرين أحدهما غائب عن الذهن، والآخر محسوس متخيل في الذهن؛ وذلك لتقريب ما غيب عن الذهن من المعاني بصورة بلاغية موجزة، تنفذ إلى أعماق النفس مثيرة للعواطف والوجدان."^(٥)

وطالب بعض العلماء المسلمين بتوافر مجموعة من الأمور أو الشروط في التّربية بضرب الأمثال، فقال الماوردي: "وللأمثال أربعة شروط: أحدهما: صحة التشبيه، والثاني: أن يكون العلم بما سابقاً والكُلُّ عليها موافقاً، والثالث: أن يسرع وصولها للفهم، ويسهل تصوُّرها من غير ارتياد في استخراجها ولا كدّ في استنباطها، والرابع: أن تناسب حال السامع، لتكون أبلغ تأثيراً وأحسن موقعاً، فإذا اجتمعت في الأمثال المضروبة هذه الشروط الأربعة، كانت زينة الكلام، وجلاء للمعاني وتدبيراً للفهم."^(٦)

(١) غريد الشيخ محمد، المعجم في اللّغة والنحو والصرف والإعراب والمصطلحات، ج ٥، حروف (ق - م)، مرجع سابق، ص ٥٢٠.

(٢) أحمد الحمد، التّربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٩٠.

(٣) ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، بيروت، دار المعرفة للطباعة، ١٩١٨م، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٤) عبد الرحمن صالح عبدالله، وآخرون، مدخل إلى التّربية الإسلامية وطرق تدريسها، مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٥) خليل عبد الله الحدري، التّربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، مرجع سابق، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٦) الماوردي، أدب الدين والدنيا، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (د:ت)، ص ٢١١ - ٢١٢.

واستخدم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أسلوب الضرب بالأمثال لتنشئة الشخصية الإسلامية على مبادئ الإسلام، وتربية المسلمين على التمسك بالعقيدة والقيم الإيمانية فيها، وقد وردت في القرآن الكريم عشرات الأمثال، وحسب الباحث أن يفتح أحد المعاجم المفهومة لآيات القرآن على مادة (مثل) ليجد منبعاً زاخراً بالأمثال البليغة المؤثرة والتشابهية الطريفة والمثيرة للانفعالات والعواطف والوجدان والأذهان، وقد أكد الله -عز وجل- على أهمية ضرب المثل للناس، فقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعاً مُتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِنَّاسٍ لِّعَالَمِهِمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]

وقال جلّ وعلا: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَرَكَفَ صَرَبَ اللَّهِ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]

وقال تعالى ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩].

كما أن السنة النبوية اشتملت على الكثير من الأمثال وهي مستفيضة، حيث كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يستخدم هذا الأسلوب في تربيته لأصحابه على القيم الإسلامية التربوية، فقد روى الأمام أحمد عن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: (عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل) (١).

والرسول -عليه الصلاة والسلام- إنما أكد على هذا الأسلوب واستعمله في وعظه وإرشاده مراراً وتكراراً لمعرفة مدى تأثيره وأهميته في غرس القيم الإسلامية وتعزيزها.

ثانياً: أهمية أسلوب ضرب المثل في تنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة:

يعدُّ ضرب الأمثال من وسائل التأثير التربوي الإسلامي، قال تعالى: ﴿ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لِّعَالَمِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، والأمثال والتشابهية ذات المعاني الخلقية كثيرة في القرآن الكريم، ولها من القوة والسيطرة على العقول، ما ليس لغيرها على وجه الإطلاق؛ وذلك لقوة وضوحها وسيطرتها. (٢)

فالضرب بالمثل إنما هو وسيلة للدعوة إلى الله ولتنمية القيم الإسلامية في النفس، والملاحظ لاقتران كلمة ضرب

(١) أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٩هـ، رقم الحديث ١٧٨٣٩، ص ٢٠٣.

(٢) حسن عبدالله القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ٦٩-

المثل بالتدبُّر والتفكُّر، إنّما هو لإعادة النظر في كلّ أمور الحياة واختيارات الأفراد لها، وأنّه العاقل والنبية هو مَنْ يُحسِن الاختيار بين ما هو خير وبين ما هو دون ذلك، يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَٰكِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، أي المتدبرون.

ويذكر النحلاوي جملة الأهداف التربويّة لضرب المثل، وقد لخصتها الباحثة في الآتي:

- ١ - "إثارة الانفعالات المناسبة للمعنى وتربية العواطف الربانية، واختيار التشبيهات المناسبة، ووضعها في مكانها السليم.
 - ٢ - تقريب المعنى إلى الأفهام، فقد ألف النَّاس تشبيه الأمور المجرّدة بالأشياء الحسية؛ ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية.
 - ٣ - تربية العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم.
 - ٤ - الأمثال القرآنية والنبوية دوافع تحرك العواطف والوجدان، فيحرك الوجدان والإرادة، ويدفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير وتهذب نزعاته الشريرة، فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات وتسير الأمة سيرتها نحو حضارة مثلى.^(١)
 - ٥ - الكشف عن الحقائق المبهمة عادةً لدى الناس، وعرض العوالم الغائبة في معرض الحاضر، فالمخاطب يكون جاهلاً بحقيقة الشيء، فيأتي المثل ليزيل هذه الجهالة ويوضّح الغموض.
 - ٦ - إنّ ضرب الأمثال يزيد من جمال العبارات وروعيتها، وهذا الجمال يزيد من ترغيب الإنسان في الشيء والتمسك به وأتباعه، أو الترهيب منه وتجنُّبه والابتعاد عنه.
 - ٧ - " أسلوب ضرب المثل من أقرب الأساليب وأسهلها للإقناع العقلي، فهو يحقّق مزيداً من القرب أو البعد عن المطلوب"^(٢)، في سرعه للتوصيل وقدرة فائقة في القبول، فعندما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - "مثل الجلّيس الصالح كمثل صاحب المسك إنّ لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل جلّيس السوء كمثل صاحب الكبر إنّ لم يصبك من سواده أصابك من دخانه."^(٣)، فهذا توضيح من رسول الله الكريم للصدّيق وتسهيل منه؛ ليتعرّف المؤمن على اختياره للصدّيق، دون كثرة في الكلام أو إطالة في السرد.
- هذا وإنّ استخدام الأمثال التي توضّح المعاني المجرّدة من خلال الأشياء الحسية التي تسهّل تصوير المعنى "فتقوم على إبراز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فتتقبّله العقول؛ لأنّ المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلّا إذا

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، ص ٢٠١-٢٠٤.

(٢) فاطمة حمد الرديني، التربية الإسلامية من المفهوم إلى التطبيق "ضرورة إنسانية"، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(٣) سنن أبي داود، كتاب: أول كتاب الأدب، باب: من يؤمّر أن يجالس، رقم الحديث: ٤٨٢٩، ص ٨٧٥.

صِيغَتْ في صورة حيه قريبة الفهم، فالأمثال تكشف عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة، حيث يضرب المثل في الترغيب في الممثل به، حين يكون ممّا ترغب فيه النفوس، ويضرب للتنفير حينما يكون الممثل به ممّا تكرهه النفوس.^(١)

هذا ممّا يؤكّد على أهميّة ضرب الأمثال في التّربية الإسلاميّة وفي تنمية القيم وتعديل السلوك؛ حيث يمكن على كافة القائمين على التّربية استغلال هذا النوع من الأساليب في تنمية القيم الإسلاميّة، فالأب يستطيع استخدامه في أسرته والمعلّم في مدرسته والإعلامي في موقعه، والتي يمكن من خلال جميع شرائح المجتمع تلك تعديل سلوك الأفراد وتنمية مجموعة من الفضائل الأخلاقية، وأهمها تكوين الضمير الإنساني المستمد من دين الله تعالى، فإنّه هو المنظم لأفعال الفرد مع أنفسهم أولاً، ومن ثمّ مع غيرهم في المجتمع.

ولهذا الأسلوب أهميّة واضحة حيث إنّه يصلح لمختلف الفئات المثقفة أو غير المثقفة أو ممّن يجعلون القراءة والكتابة، ويعدّ من أفضل الأساليب لمثل هذه الفئات، حيث يتدرّج بهم من مرحلة الإدراك حسياً إلى مرحلة الإدراك الحسي لأشياء غير منظورة في أصلها، فيبرز معناها، وتنتضح الفكرة في الأذهان بهذا التشبيه، الذي يؤكّد استخدام الخبرة البديلة عن الخبرة الأصلية المباشرة، فتكسب المعنى روعة وجمالاً، وتجعله أكثر إمتاعاً للعقل والأذان، ويجري مجرى الحكمة أو النصيح والوعظ.^(٢)

المبحث الرابع: أسلوب التّربية بالحوار:-

أولاً: التعريف بالحوار لغةً واصطلاحاً:-

قيل إنّ الحوار من: "حاورة محاورة، وحوارا: جاوبه وجادله. وفي التنزيل العزيز: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ [الكهف: ٣٧]، وتجاوزوا: تراجعوا الكلام بينهم. وتجادلوا. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ [المجادلة: ١].^(٣)

والخاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، والتحاوُر: التجاوُب.^(٤) وقد ورد للحوار عدة تعريفات في الاصطلاح من أهمّها ما يلي:

عُرّف الحوار بأنه: "حديث يجري بين شخصين أو أكثر."^(٥)

(١) فايز عبد الله الحارثي، القيم التربوية الإسلاميّة المتضمنة في بعض برامج الشّباب بقناة المسجد الفضائية، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٢) عماد محمّد عطية، التّربية الإسلاميّة مصادرها وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٣) إبراهيم أنيس، عبد الحلیم منتصر وآخرون، المعجم الوسيط، ط ٢، ج ١-٢، ص ٢٠٥.

(٤) العلامة ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، المجلد الثّاني، الأحرف (ج-ح)، ص ٦٥١.

(٥) إبراهيم أنيس، عبد الحلیم منتصر وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع السابق، ج ١-٢، ص ٣٥٦؛ سلمان خلف الله، الحوار وبناء شخصية الطفل، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ، ص ٥١.

وعُرف الحوار بأنه: "حديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة، الهدف منها الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن الخصومة والتعصب، بل بطريقة علمية إقناعية، ولا يشترط فيها الحصول على نتائج فورية."^(١)

ويرى النحلاوي أنّ الحوار: "تناؤل طرفين أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان الحوار حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفاً."^(٢)

واستخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار، فالعديد من الآيات القرآنية، وربما كانت أبرز هذه الصور من الحوار، هي تلك التي تصوّر حوار إبراهيم - عليه السلام - مع نفسه والتي تصورها الآيات التالية:

﴿ وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلِكًا مَّكُوتًا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغْوِمُنِي إِنِّي بِرِئٍِّ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩]

وهذا الحوار النفسي إنما كان محاولة منه لمعرفة الحقيقة الدينية عن الإله الواحد الذي ليس له شريك. أيضاً من أبرز صور الحوار في القرآن الكريم، هي تلك الصورة التي وردت في سورة الكهف، والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا ءأئنه رحمةً من عندنا وعلمنه من لدنا علماً * قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً * قال إنك لئن تسطيع معي صبراً * وكيف تصبر على ما لم تحط به * خبراً * قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ﴾ [الكهف: ٦٥ - ٦٩]، وقوله تعالى:

﴿ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُنَّكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ اَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [مریم: ٧ - ١٠]

ثانياً: أهمية أسلوب الحوار في تنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة:

١. " إنَّ الحوار وسيلةٌ بَنائيةٌ علاجيةٌ تساعد في حلِّ كثيرٍ من المشكلات، فيعدُّ الحوار من أحسن الوسائل الموصلة الإقناع وتغيُّر الاتجاه الذي قد يدفع إلى تعديل السلوك إلى الأحسن؛ لأنَّ الحوار ترويض للنفس على قبول النقد واحترام آراء الآخرين، وتتجلَّى أهميته في دعم التَّمو النفسي، والتخفيف من مشاعر الكبت، وتحرير النَّفس من

(١) خالد محمد المغامسي، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ١٤٢٥هـ، ص ٢٢.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، ص ١٦٧.

الصراعات والمشاعر العدائية والمخاوف والقلق." (١)

٢. إثارة دافعية المتعلم وتشويقه للعملية التربوية التعليمية، ودعم إيجابية المتعلم وتفاعله حتى لا يكون سلبياً ينحصر دوره في السماع والإنصات فقط.

٣. تعويد المتعلم على التعبير عن رأيه في جرأة وشجاعة.

٤. تنمية مهارة الدقة الواقعية في عرض أفكاره في تسلسل منطقي وعبرة واضحة ولغة مفهومة.

٥. تنمية مهارات الاستماع للآخر، والقدرة على تحليل آرائه والموضوعية في قبولها أو رفضها.

٦. يساعد أسلوب الحوار على زيادة المهارات العقلية وتنمية الإدراك والوعي، وتنشيط الفكر، ومحاولة التدرُّب

والاستنباط والتفكير للوصول إلى نتائج واقعية، وهذا تنفيذ لأهمّ النقاط التي يحرص على تقويتها الدّين الإسلامي

في العقل البشري ألا وهي إعمال العقل ومحاولة الوصول إلى الحقائق والأدلة الصحيحة والبيّنة والبرهان، والبعد كلّ

البعد عن إصدار الأحكام العشوائية، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ

آمَانِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] وقال تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ

ءِلهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، وقوله

تعالى: (أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ [النمل: ٦٤]، مما ينمي لدى الفرد المؤمن القدرة على الإقناع بالحجة والدليل القاطع.

وتشير التربية الإسلامية إلى أهميّة أسلوب الحوار في عملية التواصل والتخاطب والإقناع العقلي بين أفراد المجتمع

الواحد وغيره من المجتمعات الأخرى، ويبدو ذلك جلياً في العديد من الآيات القرآنية، فالله تعالى يقول: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وهذا من

أهمّ ما يبرز قيمة الحوار وتقبل الآخر والسماح لإبراز مبدأ حرية الفكر والتعبير والتواصل، وقبول الرأي الآخر والتعرُّف

على ثقافات وخبرات وتقاليد الشعوب الأخرى وتبادل العلاقات والمصالح، لأنّ في هذا استمرارية لبقاء الجنس البشري.

وإنّ الحاجة إلى حوار هادف بين الطلبة والمؤسسات التربوية المختلفة أمر في غاية الأهمية، فالطالب يتعرّض للعديد

من المؤثرات الهدامة التي تحاول نشر الدعوات الباطلة، والتركيز على الانحراف الفكري لهم من خلال الغزو الفكري

والثقافي، والذي بات قادراً على الوصول إلى جميع شرائح المجتمع المسلم بمنتهى السهولة واليسر، عن طريق وسائل الإعلام

والاتصال المختلفة، فإنّ من سُبُل مواجهة الطلبة لتلك المخاطر أسلوب المناقشة والحوار البناء الهادف الذي يمكن من

(١) منى سعد البلادي، بعض المشكلات السلوكية لدى طالبات المرحلة الثانوية بالمدينة المنورة ومعالجتها في ضوء التربية

الإسلامية، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ٨٩.

خلاله أن تُثار بصائرهم وتُهذَّب عواطفهم، ويُعمَّق وعيهم وتوسَّع مداركهم، ويُنمَّى فيهم حسُّ الحوار وتبادل الرأي والإقناع العقلي، ويزيد من تفاعلهم وكشفهم للحقائق وتعارفهم وتجاوبهم مع الآخرين، من خلال الحوار؛ ومن أهم الفوائد الجمّة التي تعود على الطّلبة من خلال الحوار وتبادل النقاش الإيجابي معهم ما يلي:

١. حمايتهم وتحسينهم من الأفكار الهدّامة والآراء الضّالة والسلوكيات المنحرفة.
 ٢. تربية وتنمية العواطف الفعّالة فيهم من خلال إعطائهم فرص تصحيح أخطائهم وتغيُّر أفكارهم الخاطئة وتعديل سلوكياتهم، ومحاولة إصلاح حياتهم والمساهمة في إصلاح حياة من حولهم في المجتمع، "فالعاطفة الفعّالة تؤدّي بصاحبها إلى سلوك مناسب يرضيها ويحقّق غايتها، فهي قوّة دافعة ما تزال تدفع صاحبها حتّى يسلك ذلك السلوك، فطاعة الخشوع مثلاً تدفع المؤمن إلى طاعة الله وتحقيق أوامره، وكذلك الشّكر على النعم يدفع إلى الصدقة أو حسن استعمال المال أو الجاه أو البصر، في طاعة الله وتحقيق شريعته."^(١)
 ٣. تنمية حس التعاون لدى الطّلبة وتبادل الأفكار والآراء ووجهات النظر.
 ٤. تنمية قدراتهم واستعداداتهم، وتهذيب مشاعرهم النفسية بشكل سليم والطّرق الصحيحة.
 ٥. تنمية مهارات الاتّصال الجيد وحسن الاستماع، وآداب الحديث والإنصات وأساليب الحوار القائمة على احترام الآخرين، وزيادة التثقيف والاطّلاع؛ لكسب الثقة بالنفس؛ حتّى يكون قادراً على الحوار والإقناع وكسب احترام الآخر.
 ٦. إتاحة الفرصة للطلاب لإيصال أصواتهم وآرائهم والمشاركة عن طريق الدلو بدلوهم في المواضيع التي تساعد على تلبية احتياجاتهم ورغباتهم، ممّا يساعد على حل مشكلاتهم بالأساليب الصحيحة.
 ٧. أسلوب الحوار من أهمّ أساليب الإقناع العقلي، والذي يزيد من نسبة تحقيق الاقتناع لدى المتعلمين، نظراً لما يتوفّر لهذا الأسلوب من قوّة الحجّة والبرهان."^(٢) " فالرسول الكريم - صلى الله عليه وسلّم - كان يستخدم أسلوب الحوار اللطيف المثمر مع الصحابة - رضوان الله عليهم - ليستثير أفكارهم، ويحرّك عقولهم، ويركّز حواسهم، ويهيئ أنفسهم لاستقبال ما سيلقيه عليهم من معلومات تمثّل الإجابة عن ذلك السؤال الذي طرحه سابقاً، وبذلك تحصل الإجابة الواضحة، ويتحقّق منها الإقناع والاقتناع النابعان من أعماق النفس."^(٣)
- والمربيّ الجيد يستخدم أسلوب الحوار في تنمية القيم الإسلاميّة لدى الطّلبة والمتربّين، والمعلّم يسخره للعملية التربويّة

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلاميّة وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص ١٧٥.

(٢) سعيد إسماعيل على وآخرون، التربية الإسلاميّة (المفاهيم والتطبيقات)، مرجع سابق، ص ١٦٦.

(٣) صالح أبو عراد، دروس تربوية نبوية، مرجع سابق، ص ١٤٥.

والتعليمية؛ لينمّي من خلاله القِيم في نفوس الطّلبة، فيجسّد القِيم المرغوبة في أسمى صورها؛ كالإيمان والعبادة والصدق والأمانة، ويعدّهم وبنفوسهم عن القِيم الغير مرغوب فيها كالكذب والجهل، وذلك عن طريق عرض الحجج والأسانيد ونتائج القِيم وما تؤول إليه من محاسن أو عواقب، لربّما أسهم ذلك في التّربية والغرس بشكل كبير، فمن المهم أن يُفعل أسلوب الحوار والنقاش الهادف بين أفراد الأسر التربويّة والتعليمية جمعاء، لأنّ للحوار قيمة حضارية وإنسانية كبيرة يجب أن تؤمّن بها كلّ أمةٍ وتتعامل من خلاله فيما بينهم، فالحوار أساس التآلف بين ربّ الأسرة وزوجه وبينهما وبين أبنائهما، وبين المعلّم ومنهجه التربوي وبينهما وبين طلابهما، وبين إمام المسجد وبين المصلين، وفي جميع التعاملات الإنسانية فيما بين شرائح المجتمع على اختلافها، فالتركيز على أسلوب التّربية بالحوار مهم جداً؛ لما له من قدرة على بناء شخصية الفرد والمجتمع، والمجتمع الذي تسوده قِيم الحوار والمشاركة والتخاطب، تجده مجتمعاً يمتاز بدفء التعامل والمحبة والألفة والنظام واحترام الآخر؛ لما لهذا التواصل الاجتماعي الدائم من مفعول سحري في ترابط أفراد المجتمع، والرّسول الكريم - صلوات الله عليه - كان مهتماً بتنمية أسلوب الحوار في نفوس صحابته الكرام وأبناء صحابته - رضوان الله عليهم جميعاً - فقد أخرج ابن ماجه عن رافع بن عمرو الغفاري قال: كنت وأنا غلام أرمي نخلنا - أو قال: نخل الأنصار - فأثنى بي النبي - صلّى الله عليه وسلّم - فقال: " يا غلام !- وقال ابن كاسب: فقال: يا بني! لم ترمي النخل؟"، قال: قلت: أكل، قال: " فلا ترم النخل، وكلّ ممّا يسقط في أسافلها"، قال: ثمّ مسح رأسي وقال: " اللهم أشيع بطنه."^(١)

فالهدف من هذا الحوار بينه - صلوات الله عليه - وبين الطّفل إنّما هو ترسيخ مفهوم الحوار والتعامل بهذا الأسلوب حسب المستوى العمري للمتحدّور معه، فنجد حوار - صلوات الله عليه - يطغى عليه الرفق واللين والرفقة والهدوء مع هذا الطّفل، وإظهار هذا النوع من الحوار الهادي الرقيق كفيل بالإقناع والتقبّل.

ونحن من واجبنا كمربين تنمية قِيم الحوار لدى أفراد أسرنا أولاً، ولدى طالباتنا ثانياً وذلك من خلال تسخير كلّ ما هو متاح لخدمة هذا الأسلوب التربوي، وهيئة الأنشطة وطرائق التدريس والمناهج التعليمية لذلك، وجعل النقطة الرئيسة التي نطلق منها نحو عملية التعليم هي التغير وتعديل السلوك، حتّى نتمكّن من تصحيح الأخطاء التي سبق وترسّبت في الطّالب من خلال تجارب وظروف أسريه أو مجتمعيه سابقة.

فالحوار الهادف هو أفضل الأساليب التربويّة التي من شأنها أن تؤدّي إلى التغيّر المرغوب فيه وتصحيح العديد من الأخطاء والمفاهيم الخاطئة في الطلبة، فالإنسان يُؤلّد على الفطرة كما قال المصطفى - صلّى الله عليه وسلّم - " كلّ مولود يُؤلّد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرّانه، أو يمجّسانه."^(٢)، وهذا يوضح أنّ الإنسان يحتاج إلى التعديل والتقويم

(١) سنن ابن ماجه، كتاب: التجارات، باب: من مرّ على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه؟، رقم الحديث: ٢٢٩٩، ص ٣٩٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: ١٣٨٥، ص ١٧٣.

والتربية والتدريب بشكل مستمر، حتى تنمى لديه الفضائل، وتُدخض عنده الرذائل، فهو بحاجة إلى الاستمرارية في التربية على الخيرات وتجنب الهوى والشهوات، ولا يتم ذلك إلا من خلال تربية إسلامية تمتاز بالاستمرارية والتجدد، وتحمل في طياتها أساليب تربوية عميقة من أهمها أسلوب الحوار والذي بإمكانه أحداث هذا التعديل المنشود بقدرة كبيرة - كما أسلفنا-.

المبحث الخامس: أسلوب الترغيب والترهيب:-

أولاً: التعريف بالترغيب والترهيب لغةً واصطلاحاً:-

يعدُّ أسلوب التربية بالترغيب والترهيب من الأساليب التربوية الهامة، فالمتربي بطبعه يرحو المكافأة والثواب والثناء، ويخاف الوعيد والعقاب، مما يمنح هذا الأسلوب أهمية في التربية تنمية القيم الإسلامية، وترك السلوكيات السيئة. جاء في اللغة في مادة رغب قولهم: "رغب فلان رغباً، ورغبة، ورغبة: حرص على الشيء وطمع فيه ورغبة فيه: جعله يرغبه و - أعطاه ما رغب فيه."^(١)

ويعرّف النحلوي الترغيب بأنه: "وعد يصحبه تحبيب واغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكّدة، خيرة خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله وذلك رحمةً من الله لعباده."^(٢)

وتعريف الترغيب في اللغة مأخوذ من: "رهبه - رهياً، ورهبة، ورهباً: خافه. ويقال رهب فلان."^(٣) ويعرّف عبد الرحمن النحلوي الترغيب بأنه: "وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اعتراف إثم أو ذنب، مما نهي الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يُقصد به تخويف عبادة، وإظهار صفة من صفات الجبروت الإلهية؛ ليكون دائماً على حذرٍ من ارتكاب الهفوات والمعاصي."^(٤)

واستخدام التربية الإسلامية لأسلوب الترغيب والترهيب إنما يرجع لمعرفتها الكاملة بأهميتها وقدرتها على التعديل والتغيير وتنمية القيم الإسلامية لدى الطلبة، ولكن هناك نقطة مهمة يجب أن يضعها المرثون نصب أعينهم " فيجب عدم الاقتصار على أسلوب الترغيب فقط أو الترغيب فقط، ولكن لابد من التوازن بينهما، إن استخدام الترغيب وحده أو الترغيب وحده قد لا يكون مفيداً الفائدة المرجوة في تعديل السلوك وتوجيهه، فاستخدام الترغيب قد يؤدي إلى طغيان الرهبة على النفس فتبأس من رحمة الله، واستخدام الترغيب وحده قد يؤدي إلى استيلاء الأمل في رحمة الله على النفس، مما

(١) إبراهيم أنيس - عبد الحليم منتصر، المعجم الوسيط، ج ١-٢، مرجع سابق، ص ٣٥٦.

(٢) عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

(٣) إبراهيم أنيس - عبد الحليم منتصر، المعجم الوسيط، ج ١-٢، مرجع سابق، ص ٣٧٦.

(٤) عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص ٢٣١.

قد يوكلها إلى الدعة والتهاون والغفلة." (١)

والترغيب لا ينفك عن الترهيب، فهما وجهان لعملة واحدة، وقد اقترنا في كتاب الله تعالى في مواضع كثيرة، فجاءت البشارة والإنذار، والأمل والخوف، فقال تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * فَيَسَّامُ لِنُذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١ - ٢] وفي قوله:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢] والترغيب عكس الترهيب، بمعنى أنه مقابل له، وهذا جلي واضح في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا * وَأَنْسَابًا * وَيَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا * جَزَاءً مِمَّنْ رَبُّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبا: ٣١ - ٣٦].

ومقابل هذا الوعد والمصير والنهاية المثلى الرائعة للمتقين، هناك وعيد للكفار والمشركين ومنكرين البعث، قال

تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا * وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٢٧ - ٣٠]

وقوله تعالى في الترغيب المتقين في الجنة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَفَنِينَ * كَذَلِكَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِينِينَ * لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضَلَّامٍ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٧].

وقوله تعالى في الترهيب من الخسران المبين: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِمَّنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِمَّنْ فَوْقَهُمْ ظُلُمٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُمٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ * يَعْجَبُونَ أَنَّهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ [الزمر: ١٥ - ١٦].

"والآيتان السابقتان من سورتي الدخان والزمر، تدلان دلالة واضحة على أن هناك فرقاً واضحاً بين أسلوب الترهيب والترغيب المتمثل في القول اللين المغربي للحسنات والأجر والثواب لمن خشى واتقى ربه، وعلى النقيض من هذا نجد الوعيد وما يتميز به من الذم والتفريع لأولئك الذين عصوا ربه دون أن يحسبوا لما بعد الموت حساب، ولا ريب أنهم ملاقوا ربه، وأنهم إليه راجعون، وحينئذ ستجرى كل نفس بما كسبت رهينة." (٢)، وقوله تعالى: ﴿نَجَىٰ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْعَفُورُ

(١) محمد عبد الله العمرو - محمود يوسف الشيخ، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٦٥.

(٢) فتحة عمر الحلواني، دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، جدة، تحامة للنشر، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص

الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿ [الحجر: ٤٩-٥٠]

قال عبد الرحمن السعدي: " فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه، أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه، أحدث له الخوف والرهبة والإقلاع عنها." (١)

وقوله تعالى: ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [الشورى: ٢٢]

والآيات القرآنية التي كانت تحفز المؤمن بآيات الترغيب والثواب وحسن الجزاء والتي تحاول أن تجعل الإنسان حريصاً على نيل الجزاء والبعد عن العقوبة عديدة جداً؛ ومنها قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٣]

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ ﴾ [لقمان: ٨]

ويقول تعالى: ﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٩]

إن العديد من الناس الذين لا يؤثّر فيهم الترغيب وثوابه، قد يؤثّر فيهم الترهيب وعقابه، فيقول تعالى في أسلوب الترهيب والعقاب، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَنْسَ الْمُصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقال عزّ وجل: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٣٠]، ويقول عزّ وجل: ﴿ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [النساء: ١٤٥]

جميعها آيات قرآنية ركزت على التربية بأسلوب الترغيب والترهيب والتنفير والبعد عن اتباع سبل الغواية والضياع، وهي توضّح أيضاً للعبد أهمية استغلال عمره ووقته فيما يُرضي الله تعالى، وأن يعمل للأخرة ويُعدّها لها العدة التي تتقل موازينه من خلال السير في الطريق الذي رسمه الله تعالى لعبادة المؤمنين.

ثانياً: أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في تنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة:

تعني التربية الإسلامية باستخدام أسلوب التربية بالترغيب والترهيب في تعديل السلوك وتشجيع السلوك الحسن وتدعيمه، وتجنّب السلوكيات الخاطئة ونبذها لمعرفة أهمية هذا الأسلوب في التربية، ومن أهم ما يوضّح تلك الأهمية ما يلي:

يؤدّي أسلوب الترغيب والترهيب دوراً مهماً في عملية تنمية القيم لدى الطلبة؛ كونه " يتفق وطبيعة الإنسان حيثما

(١) عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص ٤٣٢.

كان وفي أيّ مجتمع؛ لأنّ الفرد إذا استُثير شوقه إلى شيء ما، زاد اهتمامه به، فسرعان ما يتحول هذا الشوق إلى نشاط يملأ حياته أهمية وعملاً بما تشوّق إليه، ورغبة في الحصول عليه، وفي المقابل إنّ الخوف من شيء والتنفير منه، يجعل الفرد يهابه ويتعد عنه.^(١) وهذا يوضّح لنا أهمية استغلال أسلوب الترغيب والترهيب في التشجيع التربوي والتعليمي ومحاولة استمالة رغبة الطلبة للقيم الإسلامية من خلال تحفيزهم وتشجيعهم حتى تتولّد لديهم الرغبة في الاستمرار في اعتناق القيم الإسلامية والتمثّل بها.

"يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على الإقناع والبرهان، فليس من آية فيها ترغيب أو ترهيب بأمر من أمور الآخرة إلّا ولها علاقة أو فيها إشارة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وهذا معناه تربوياً أنّ نبدأ بغرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الناشئين؛ ليتسنى لنا أن نُرغّبهم بالجنة أو نرهّبهم من عذاب الله، وليكون هذا الترغيب والترهيب ثمرة سلوكية"^(٢)، تهدف إلى تقويم كلّ ما هو ميل في سلوك الطلبة، ومحاولة ضبط الانفعالات والعواطف الجاححة لديهم والموازنة بينها، فمن الإكثار من وصف الجنة ونعيمها وربطها بنتيجة حتمية لمن خاف مقام ربه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١]، بما يرسّخ فيهم حبّ الطاعات وتجنّب الشهوات؛ للحصول على رضاه سبحانه والفوز بما وعد به عبادة المتقين.

"إنّ من أهمّ ما يميّز أسلوب التربية بالترغيب والترهيب هي ميّزة الإقناع العقلي والرهان، وإثارة الانفعالات وتربية العواطف؛ كالخوف من الله وعذابه والخشوع له والمحبة والرجاء والطّمع في رحمته، فالرأي إذا كان مصحوباً بالدليل أو البرهان، كان أقنع وأعظم تأثيراً في النفس، وكذا إذا خاطب المشاعر والانفعالات الإنسانية، كان أكثر تأثيراً ودفعاً للاقتناع إليه والعمل به."^(٣)

"ويعدّ أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب المؤثّرة في مجال القيم، حيث يرى بعض المختصين أنّه من أكثر أساليب بناء القيم؛ لكونه يتمشى مع ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية وحسن البقاء والرغبة من الألم والشقاء؛ ولذلك البدء بغرس القيم الإيمانية في النفوس تسهّل لأسلوب الترغيب والترهيب مهمته ودوره في التأثير على النفوس."^(٤)

(١) فاتن محمد عزازي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

(٢) عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(٣) عبد الباري مبارك القرشي، الأساليب التربوية لتنمية خلق العقّة لدى الشّباب وتطبيقاتها في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٤) فايز عبد الله الحارثي، القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في بعض برامج الشّباب بقناة المعجد الفضائية، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ٥٢.

وهذا يوضّح أهميّة أسلوب الترغيب والترهيب في غرس القيم الإسلاميّة وتعزيزها في نفوس الطلبة، فيجب على القائمين على عملية التربية والتعليم تشجيع الأبناء والإشادة بإنجازاتهم، وتنمية روح العمل والمبادرة فيهم وبذل الجهود لتحقيق طموحهم، وعدم تخويفهم من الإخفاق، وفي حالة إخفاقه أو وقوعه في الخطأ، لا بدّ من توجيهه إلى الصواب، كما يجب تخويفه وترهيبه من المعاوذة في الوقوع في الخطأ أو التهاون في محاولة تصحيحه، أي على المربي الجمع بين الترغيب والترهيب؛ حتّى يقيم سلوك الطلبة ويصل بهم إلى أعلى مراتب الخلق الحسن، فعلى المربيّ ألا يغفل عن أهميّة التشجيع " بقسميه المادي والمعنوي، فالتشجيع المادي كالجوائز والهدايا والنقود، والتشجيع المعنوي كالثناء والمدح والإطراء والشكر، والتشجيع المعنوي أفضل استخداماً من المادي؛ لأنّ الأوّل يوّلّد الرغبة والميل إلى الأعمال التي يشجّع عليها الفرد أكثر من الثاني، كما أنّ الأوّل يتطوّر مع مراحل التّمو العقلي حتّى يصل إلى أعلى درجاته وهي الإقدام على أعمال الفضيلة، أمّا التشجيع المادي، فإنّ الاستمرار عليه قد يكون له بعض الأضرار؛ لأنّه قد يصبح شرطاً للقيام بالعمل المطلوب، أو الكفّ عن العمل الغير مرغوب فيه، ولا يعني ذلك أنّ التشجيع المادي ممنوع في جميع الظروف، بل إنّه أحياناً يكون مجدياً مثل تشجيع الولد بجائزة لحصوله على تقدير مرتفع، أو قيامه بعمل تطوّعي." (١)

وعلى المربيّ أيضاً ألا يغفل عن مراعاة الحالة النفسية للمتعلّمين والفروق الفردية بينهم، فما يصلح لأحدهم من أشكال الثواب أو العقاب قد لا يصلح للآخر، كما يجب عليه التدرّج في استخدام هذه الصور من الترغيب والترهيب، " فقد طالب العلماء المسلمون أمثال ابن سينا وابن خلدون وغيرهم بجعل العقاب البدني مثلاً لا يُستخدَم إلا عند الضرورة، وجعله آخر الأساليب، وطالبوا بمجموعة من الشروط عند استخدام هذا الأسلوب منها ألا يحدث ضرراً على المتعلم، وعدم المبالغة في استخدامه، والبعد عن ضرب الوجه - كما أوصى الرسول الكريم - صلوات الله عليه، وذلك إدراكاً للتأثير السلبي للعقاب البدني على النشء، فقد يؤدّي إلى تنشئة الأبناء على الجبن والخوف وضعف الثّقة بالنفس." (٢)

المبحث السادس: أسلوب التربية بالموعظة الحسنة:-

أولاً: التعريف بالموعظة الحسنة لغةً واصطلاحاً:-

تعتبر الموعظة الحسنة من أهمّ الأساليب التربويّة التي أمر الله - عزّ وجلّ- نبيه باتّباعها في تأدية رسالة النبوة وفي تربيته للمسلمين بشكل عام، يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، وما ذلك إلا لأنّها أسلوب ناجح وفعال في تحقيق الأهداف التي تسعى إليها التربية الإسلاميّة في غرس القيم الإسلاميّة في نفوس أفراد المجتمع المسلم، ولا سيما إنّ كانت هذه الموعظة ملتزمة بالمنهج الرباني الذي يتّضح لنا من خلال قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي

(١) فاتن محمد عزازي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(٢) محمد عبد الله العمرو - محمود يوسف الشيخ، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥]

مفهوم الوعظ في اللغة:

ذُكِرَ فِي الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ أَنَّ: " الموعظة: عظة وعظا وعظة، نصحه وذكره بالعواقب، أمره بالطاعة ووصاه بما، والموعظة ما يُوعَظُ به من قول أو فعل."^(١)

وفي كتاب العين: "العظة: الموعظة. وعظت الرجل أعظه عظة وموعظة: وأنعظ: تقبل العظة، وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرقُّ له القلب."^(٢)

والموعظة في الاصطلاح: " من الوعظ وهو النصح، والتذكير بالحق والخير والعواقب على الوجه الذي يرقُّ له القلب ويبعث على العمل."^(٣)

ويتبلور معنى الموعظة بمعنى النصيحة " والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة، وهي إرادة الخير للمنصوح له، وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة عن الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: " الدِّينُ النَّصِيحَةُ " ثلاث مرار، قالوا: يا رسول الله لمن؟ قال: " لله ولكتابه ولسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم."^(٤)؛ أي النصيحة لكتاب الله من خلال التصديق والعمل بما فيه، ونصيحة رسوله التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى عنه، ونصيحة الأئمة أن يطيعهم في الحق، ولا يرى الخروج عليهم إلا إذا جاروا، ونصيحة عامة المسلمين وإرشادهم إلى المصالح."^(٥)

وهذا الحديث الشريف يدل على عِظَمِ الموعظة الحسنة والنصيحة؛ لأنها جعلها الدين، كما قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " الحج عرفة."^(٦)، وهذا الحديث يدل على أن النصيحة واجبة في كل ما أمر الله تعالى به، وإن الإخلاص في تأديتها واجب وحق على كل مسلم ومسلمه وكل مربي ومربية، وأنه يجب علينا إكمال ما بدأه نبينا الكريم وصحابته في النصح والموعظة بالدفاع عن سنته والذب عنها، والعناية بأحاديثه وتبليغها، والدفاع عنها وبيان صحيحها من مغلوطنها ومحاربة البدع الدخيلة على ديننا بكافة الوسائل. وموعظة المسلم لأخيه المسلم ما هي إلا أداء لفرائض الله وحدوده، ولا

(١) إبراهيم أنيس - عبد الحليم منتصر، المعجم الوسيط، ج ١-٢، مرجع سابق، ص ١٠٤٣.

(٢) أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، ج ٢، دار مكتبة الهلال، ص ٢٢٨.

(٣) عبد الرحمن أحمد أبين رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، القاهرة، دار الحديث، ١٤٠٠هـ، ص ٣١٥.

(٤) سنن الترمذي، كتاب: البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب: ما جاء في النصيحة، رقم الحديث: ١٩٢٦، ص ٤٤٠.

(٥) زينب جمال الدين فلمبان، مبادئ تربوية من ديوان الإمام الشافعي، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ١٧٦.

(٦) سنن الترمذي، كتاب: الحج عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب: ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، رقم الحديث: ٨٨٩، ص ٢١٥.

تكون إلا من غيرة النفس المسلمة على دينها وعلى بني الدّين الإسلامي، فهذا جرير بن عبد الله يقول في تحمّله مسؤولية المجتمع المسلم كاملاً "بايعت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم"^(١)، مؤكّداً على المسؤولية الكبيرة التي تقع على عاتق كل فرد من أفراد الأئمة الإسلاميّة تجاه أسلوب التّربية بالموعظة الحسنة وتعديل السلوك بالنصح والإرشاد.

شروط تطبيق أسلوب التّربية بالموعظة الحسنة:

- ١ - أن يكون الوعظ بطريقة رقيقة، تمكّن من استمالة قلوب الناشئين أثناء النصيحة.
- ٢ - فالتّربية لا تكون بالإجبار والإكراه ولا بالغلظة والقسوة، فالموعظة المقبولة تحتاج إلى قبول وجداني بالنسبة إلى الطرف الموجّه إليه الوعظ، وحتى إن قبل الوعظ بالتهكّم وعدم القبول لا بدّ أن يمتاز الواعظ بالصبر وسعة البال وتقبّل أي نوع من أنواع ردة الفعل من قبل الآخر بصدر رحب وتحمّل.
- ٣ - "أن تقترن الموعظة بالشعور بالحبّة والعطف عليهم.
- ٤ - أن يختار للوعظ الوقت المناسب الذي تكون النفوس فيه هادئة، ويختار الحالة النفسية المناسبة للشخص.
- ٥ - عدم التطويل المملّ في الموعظة أو التكرار الزائد.
- ٦ - المبادرة بالموعظة عندما يلحظون انحرافاً في سلوك الأولاد.
- ٧ - على المربين أن يبدؤوا بالوعظ مراعين الأهم فالمهم، فإذا كان هناك واجبان أحدهما فرض عين والآخر فرض كفاية مثلاً ففي هذه الحالة يُوعظ الأولاد بالواجب الأوّل ثمّ الثّاني."^(٢)
- ٨ - استخدام الأدلة العقلية التي تسهم في الإقناع."^(٣)
- ٩ - أن يكون الوعظ والنصح سرّاً، وعدم الجهر به بين العامة، خاصة إن كان الوعظ لتغيير سلوك أو خلق يكرهه هذا الفرد، ولا يريد أن يطلّع عليه أحد، فإنّ كانت النصيحة والوعظ له علانية أمام النّاس عرف النّاس سره، وربما نشروا هذا السر فتكون هنا الفضيحة عوضاً عن النصيحة.
- ١٠ - والإمام الشافعي بيّن صفة الوعظ من الإنسان لأخيه ويقول: "من وعظ أخاه سرّاً، فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية، فقد فضحه وشانه."^(٤)

(١) سنن الترمذي، كتاب: البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب: ما جاء في النصيحة، رقم الحديث: ١٩٢٥، ص ٤٤٠.

(٢) فاتن محمد عزازي، أصول التّربية الإسلاميّة، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

(٣) محمد عبد الله العمرو - محمود يوسف الشيخ، أصول التّربية الإسلاميّة، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

(٤) احمد بن الحسين البيهقي، مناقب الشافعي، تحقيق السيد أحمد صقر، ج ٢، القاهرة، دار التراث، ١٣٩١ - ١٩٧١م، ص ١٩٨.

ويقول الشافعي - رضي الله عنه - أبحاثاً تربوية فريدة مؤيداً فيها آداب وشروط الموعظة الحسنة، ألا وهي^(١):

تَغْمَدُنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي وَجَنَّبَنِي النُّصِيحَةَ فِي جَمَاعَةٍ
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ مِنْ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ
وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي فَلَا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَةَ

"ومما يزيد من أهمية التربية بأسلوب الموعظة حاجة المجتمع المسلم لها ليحافظ على مكانته بين المجتمعات والأمم الأخرى ويحقق الغاية التي يسعى إليها وهي خلافة الله في أرضه والتي لا يمكن أن تكون إلا من خلال الاستقامة على الحق والتواصي بين أفراد المجتمع المسلم، ومن هنا فقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعظ الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والحزب والعبد وذلك في جميع الأحوال، ومن ذلك ما كان يخص به النساء من وقت لآخر ليعلمهن أمور دينهن، ومن ذلك وعظه لصحابته وحثهم على أعمال الخير، ونهيهم عن أعمال الشر."^(٢)

وهذه الشروط المهمة في الوعظ والنصح والإرشاد إنما هي مستمدة من نصح كتاب الله - عز وجل - الذي جاءت العديد من آياته مؤكدة لهذا الأسلوب في مواطن كثيرة منها. وقوله تعالى: ﴿ فَذَكَرْكُمْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وفي العديد من الآيات الكريمة جاء وصف القران بأنه ذكر وموعظة يُستنار بهديه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُنْفِقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٢]

ثانياً: أهمية أسلوب الموعظة الحسنة في تنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير
لدى الطلبة:

يقع العديد من أفراد المجتمع وبالخصوص الطلبة على جميع مراحل حياتهم بالعديد من الصراعات وعدم التوازن بين القيم و رغباتهم الشخصية مما يجعلهم عرضة للوقوع في العديد من الأخطاء والاضطرابات؛ سواء الفكرية أو العقديّة، والتي تؤثر بشكل كبير على السلوك وإحداث اضطرابات في الشخصية وضياع في الهوية، وهذا ما يحصل في مجتمعنا المسلم الآن من فقدان لهوية الفرد المسلم وتصبغها بالعديد من الألوان الدخيلة على ديننا وثقافتنا وتراثنا، وهذا يحتاج إلى توجيه ووعظ وإرشاد إلى القيم الإسلامية التي نحن في أمس الحاجة إلى تنميتها في جميع أفراد المجتمع المسلم لما لهذا الأسلوب من أهمية

(١) زينب جمال الدين فلمبان، مبادئ تربوية من ديوان الإمام الشافعي، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ١٧٧.

(٢) مشعل عبضة الجعيد، أساليب التربية النبوية للجند من خلال غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وتطبيقاتها المعاصرة، مرجع سابق، رسالة ماجستير، ص ٦١.

وقدرة على التربية والتعديل في الفكر الإنساني والسلوك، وإرشادهم إلى أوامر الإسلام ونواهيه وتوعيتهم في كافة المجالات المؤدية إلى كمال هذا الفرد المسلم، فالرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول في أهمية الوعظ والإرشاد والمناصحة "نظر الله امرءًا سمع حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه ربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث خصال لا يغفلّ عليهم قلب مؤمن أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإنّ دعوتهم تحبّط من وراءهم." (١)

وتتضح أهمية التربية بأسلوب الموعدة الحسنة من خلال ما يلي:

- ١- إنّ أسلوب التربية بالموعدة الحسنة ككافة الأساليب التربوية الإسلامية مستمد من شريعة الله تعالى ونهج رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والتربية المأخوذة من هذه المصادر فيها سعادة بشرية أجمع، وفيها العلاج والوقاية لكلّ ما يعترض مجتمعنا من مشكلات وأمراض نفسية وأخطاء سلوكية؛ لأنّها تربية واسعة المجالات، متخصصة في معرفة طبيعة النفس البشرية وما يقوّمها ويثبت أقدامها، فهي تدرك ميولها ورغباتها، وما يحفظ لها توازنها واستمرار بقائها وما يهديها إلى ما فيه صلاحها في الدارين.
- ٢- الموعدة الحسنة من الأساليب التربوية التي "تصل إلى النفس الإنسانية بسرعة؛ لأنّ النفس تتأثر بما يُلقى إليها من كلام، فما بالك لو كان الكلام يتميّز بالحسن واللّين والرفق والسهولة، فهو يجرّك الوجدان، فلقد كان للواعظين أثر ملموس في التّاس بكلماتهم وخطاباتهم في تعليم التّاس ونصحهم وإرشادهم إلى أمور دينهم وديانهم." (٢)
- ٣- للوعظ قدرة على استثارة العواطف الإنسانية وتنميتها "فللوعظ القدرة على إيقاظ العواطف الربانية كانت قد رُتبت في نفس الناشئين بطريق الحوار أو العمل والعبادة والممارسة أو غير ذلك كعاطفة الخشوع لله والخوف من عذابه أو الرغبة في جنته، وكذلك يربّي الوعظ هذه العواطف وينمّيها، وقد ينشئها من جديد." (٣)
- ٤- أسلوب التربية بالموعدة الحسنة يساعد على تنمية العديد من المهارات العقلية؛ مثل مهارة حسن الاستماع والإنصات الجيد، ومهارة استخلاص القيم والفوائد من كم المعلومات التي تصل إلى المستمع، إلى جانب إثراء اللّغة بالمفردات والمصطلحات العديدة والمفيدة من خلال الاستماع إلى محاضرات التوعية والإرشاد.
- ٥- يعتبر أسلوب الموعدة الحسنة من الأساليب التي توقّر لدى النشء توافّقاً نفسياً للموازنة بين القيم الإسلامية المطلوب التحلّي بها، وبين رغباته بشكل مريح، وتسير هذه الرغبات وفق الدّين الإسلامي "فأسلوب التربية

(١) عبد البديع صقر، مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف، ط٣، عابدين، مكتبة وهبة للنشر، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ص ٤١٢.

(٢) منى سعد البلادي، بعض المشكلات السلوكية لدى طالبات المرحلة الثانوية بالمدينة المنورة ومعالجتها في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٣) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

بالموعظة الحسنة من الأساليب التربوية التي استخدمها القرآن للوصول بالسامع إلى قناعة فكرية ونفسية لفضل أوامره واجتناب نواهيه، وهو مطمئن الفؤاد، مرتاح البال.^(١)

٦- تتيح التربية بالموعظة الحسنة للإنسان التدبُّر والتفكُّر في الأمور التي تدور حوله، فيستخلص النتائج التي توجَّه أفكاره وسلوكه، وتترك له فرصة أخذ العظة والعبرة من الأحداث التاريخية والأمم السابقة، والاستفادة من التوجيهات الأخلاقية والنفسية والاجتماعية من تلك الأحداث، فتترك له حصيلة من الخبرات تعينه على اختيار خطواته بشكل دقيق أكثر، وتساعد على دراسة خطواته قبل تنفيذها.

٧- أمر الله -عزَّ وجلَّ- بتربية أفراد المجتمع بعضهم لبعض عن طريق التناصح والتواصي بالخير، والتناهي عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ولا توجد طريقة تفرِّنا من قيم التواصي بما أمر الله تعالى، وتنمية قيم الإسلام المحفزة على ذلك في المجتمع أمثل من أسلوب التربية بالموعظة الحسنة.

كيف لا يكون لأسلوب الموعظة الحسنة كل تلك الأهمية وقد اختاره الله تعالى كأسلوب من أهم الأساليب التي كلف الأنبياء والرسل من خلاله بتنفيذ أعظم الواجبات؛ ألا وهي تبليغ الرسالة والدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوْحِدَهُ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفٍ وَمَثْنٍ وَفِرْدٍ ثُمَّ نَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، ومهما قيل عن الوعظ، فإن دوره البارز، وقوة تأثيره في الأفراد والجماعات واضح جلي.

لذلك كان حريَّ بالمربين والمعلمين أن لا يغفلوا عن تحوُّل الطلبة بالموعظة الحسنة والنصح لهم، وإعطائهم جرعات من ذلك كلِّ صباح، سواء في الإذاعة المدرسية أو في المناسبات الاحتفالية والتجمُّعات المدرسية، أو من خلال الحصص الدراسية والمواقف المختلفة التي لا عدَّ لها، وهي غالباً ما تحصل بين المعلم وطلابه خلال اليوم الدراسي، إلى غير ذلك من الطرق؛ كالمطويات أو اللوحات المدرسية التي تتيح للطلاب التعرف على موعظة أو نصيحة جديدة، تسهل عليه تعلُّم أمور دينه، وتساعد على تنمية القيم الإسلامية فيه وتعزِّز في شخصيته الخلق والسلوك الحسن، بأسلوب رحيم وقول حسن، بعيدة كلِّ البعد عن الشدة والتنفير، ومعاملة واعية متدبِّرة، منطلقة في ذلك من قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

المبحث السابع: أسلوب التربية بالأحداث والمواقف:-

من الوسائل التي استخدمها الرسول -صلى الله عليه وسلم- في تربية أصحابه الكرام -رضوان الله عليه- أسلوب التربية بالأحداث والمواقف، فالأحداث لا تكاد تختفي طوال فترة الحياة، في كل لحظة موقف يمكننا الاستفادة من

(١) خالد عبد الله القاسم، دور الأسرة في تربية الأولاد ووقايتهم من الانفتاح الإعلامي، الرياض، مكتب التربية لدول الخليج العربي، ١٤٢٦هـ، ص ٦٨.

خلاله في تنمية القيم الإسلامية لدى الطلبة، وكون الأحداث تمثل في الغالب جزءاً من حياة المتربي فإنه يتفاعل معها ويتأثر بأدق تفاصيلها؛ لأنه يُعايشها، فيتخذ منها ومن نتائجها سواء أكانت النتائج إيجابية أو سلبية، ما يكون بمثابة المنعطف نحو تغييره لسلوك منبوذ أو تمثله لسلوك آخر حسن.

أولاً: التعريف بالتربية بالأحداث والمواقف لغةً واصطلاحاً:-

يُقال في المعجم الوسيط: "الحداثة من حدث حدثاً وقع وحصل وحدث أخير. وأحداث الدهر: مصائبه الأمر المنكر الغير المعتاد."^(١)

والحادثة: "هي اقتران فعل بزمن، وهو لازم في القصة؛ لأنها لا تقوم إلا به ويمكن عرض الحادثة نفسها دون مقدمات أو نتائج."^(٢)

ولتنمية القيم لدى المسلمين أتبع الرسول - صلى الله عليه وسلم - أسلوب التربية بالأحداث والوقائع الجارية في حياة الناس، تعليماً وتدريباً، وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يهّمه أن يتحول ما يتلقاه المسلمون منه إلى مواقف عملية وسلوكية^(٣)، لذلك كان يستغل كل موقف وكل حدث لإكسابهم خلق إسلامي أو غرس قيمة تربوية فيهم.

ثانياً: أهمية أسلوب التربية بالأحداث والمواقف في تنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة:

يعتبر أسلوب التربية بالأحداث والمواقف من أهم أساليب التربية، وخاصة في مراحل الدراسة والتعليم، لما لمرور هذه المرحلة بالعديد من الأحداث والمواقف، ولكل حدث أسباب ونتائج، ويمكن الاستفادة من كل درس في تنمية القيم الإسلامية وتعزيزها لدى الطلبة، وإنه من خلال استغلال الأحداث يستطيع المربي تنمية ما يريد من توجيهات وتهديات قادرة على الخلود في النفس، ولا يزول أثرها بسرعة، هذا ما يجعل من أسلوب التربية بالأحداث والمواقف أسلوباً ذا أهمية كبيرة إلى جانب النقاط التالية ألا وهي:

١ - لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم منجماً حسب الظروف والحوادث، والتربية في ظل التجارب والأحداث تكون أكثر مفعولاً؛ لأن النفس تكون مستعدة للانطباع ومهيأة للتوجيه، والأحداث تكشف عن النوايا، وخفايا النفوس، لذلك كان ترتيب القرآن منجماً أساساً لنجاح التربية القرآنية في النفس البشرية؛ لأنه يربي المؤمن على الإحساس بالله تعالى، فهو يسمع دعاء عبده ونجواه له، ولكن النفس تتوق إلى المشاهدة والتجربة^(٤)، وأسلوب التربية

(١) نصار سيد أحمد - مصطفى محمد، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ١٧٢.

(٢) حليلة علي أبو رزق، توجيهات تربوية من القرآن والسنة في تربية الطفل، مرجع سابق، ص ٢٥٦.

(٣) علي خليل أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٤) محمد شديد، منهج القرآن في التربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٢٧٧-٢٧٨.

بالأحداث يتيح لها تقريب ذلك.

والقرآن الكريم الذي اختار أسلوب التربية بالأحداث كأسلوب تربوي حيوي، ويعوّل عليه الكثير من مهام تربية الفرد المسلم التربية الربانية، وتنمية القيم الإسلامية فيه، أعلم ما يكون بتكوين هذا الفرد، وأفهم ما يكون لمعرفة أساليب تربيته وأسرع الطرق لتقوم نفسه وسلوكه، واختياره سبحانه لهذا الأسلوب القرآني دلالة كافية على أهمية التربية بالأحداث في تنمية القيم وتعديل السلوك، والمؤمن الذي ربي على الإحساس بالله تعالى والشعور والإيمان بوجوده والاستسلام لعقائده يكون أكثر تفاعلاً وانصهاراً مع الأحداث والمواقف القرآنية، ويكون أكثر قدرةً على التأمل في المواقف القرآنية الربانية والتدبر في أحداثها ومواقفها ونتائجها، ومن ثمّ الاختيار بين بدائل وهو على علم بنتائج ما سوف يختار.

٢- "أسلوب التربية بالأحداث أداة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين في الواقع، وغرس القيم النظرية وتحويلها إلى تطبيق عملي في المناسبات المختلفة، ولا شك أنّ كلّ طالب لديه ظروف مختلفة عن بقية زملائه، ويمرّ بأحداث خاصة، والمعلم الحاذق هو الذي يستطيع أن يصنع من هذه الأحداث وسيلة لغرس القيم في نفس الطالب."^(١)

٣- "الحادثة لها ميزة خاصة على التربية العقلية؛ حيث إنّها تثير النفس وترسل فيها قدراً من حرارة التفاعل والانفعال؛ لتصل إلى الدرجة العليا من الإحساس حتّى عند الذين ليس لهم رغبة ذاتية في الوصول إلى هذه الدرجة، ولقد استخدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأحداث في تربية النفوس ليطلع عليها التوجيهات والتهديات التي لا يزول أثرها أبداً، أو لا يزول إلّا بعد وقت طويل وكانت نتيجة هذه التربية إخراج الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس."^(٢)

٤- الأحداث والمواقف تمثّل جزءاً كبيراً من حياة المتربّي اليومية، فالحياة كلها قائمة على المواقف وما هي إلّا أحداث يتفاعل معها الفرد ويتأثر بها، وهي بمثابة الفرص للقدرة على التغيير والمربي نفسه لديه الفرصة لتغيير هذه الأحداث والتعديل فيها، ويغيّر من مجرياتها، فيتخذ من مجرياتها ونتائجها، مهما كانت إيجابية أو سلبية، ما يكون منطلق له في تغيير السلوك، وتعديل ما يلزم تعديله من سلوكيات وفقاً للنتائج المترتبة عليها، وهذا إنّما ينتج عن التأثير الكبير الحاصل منها، لذلك لا بدّ على المربي أن لا يترك حادثة أو موقف يمر دون أن يتخذ منه أسلوباً تربوياً يهدّب من خلاله النفوس، وتنمّي بواسطته القيم، فالتربية بالأحداث والمواقف أسلوب ذو ثمرة كبيرة في مجال تنمية القيم الإسلامية فينا كمرين وفي طلابنا وأبنائنا.

وعلى المربي الكفاء استغلال جميع المواقف والأحداث وتسخيرها للعملية التربوية أو حتّى توفير مواقف تجريبية

(١) حسن عبدالله القرني، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشعرية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٢) حليلة علي أبو رزق، توجيهات تربوية من القرآن والسنة في تربية الطفل، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

مختلفة لأي مشكلة من مشكلات الحياة المختلفة وطرحها وطرح كيفية التعامل معها، الأمر الذي يرسخ لدى الطالب منهج التعامل مع الأحداث، ويساعدهم على التفكير واتخاذ القرارات المناسبة لأفعالهم وتصرفاتهم ولسلوكلهم بناء على النتائج الحاصلة أمام أعينهم، فالإنسان إنما ينشأ ضمن بيئة اجتماعية تعمل بصورة دائمة ومستمرة وسط حقل من الأحداث والمواقف، والتي من خلالها يتم اكتساب العديد من التجارب والقيّم والخبرات وهذا يجعلنا أمام أهمية استغلال جميع المواقف والأحداث في أحداث التعديل والتغيّر والتطور، متّخذين في ذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - خير قدوة وأعظم مثال يمكن من خلال اتّباعه أن يصل المسلم في جميع المجالات والنواحي إلى أعلى درجات الكمال البشري.

وعلى المرابي أيضاً أن يستغل وسائل الإعلام المختلفة " من البرامج الإذاعية المسموعة والمرئية، فهي تمثّل مكاناً بارزاً في أسلوب الأحداث والمناسبات الدينية؛ لما يُعرض فيها من برامج ومسلسلات لها علاقة ببعض ما يدرس التلاميذ، وأهمية هذا المصدر يرجع إلى قدرته على تقريب كلّ ما هو بعيد، بمعنى أنّه قادرٌ على تخطّي البعد المكاني فضلاً عن تخطّي البعد الزمني، وعلى المرابي أيضاً استغلال الصحف والمجلات والدوريات وهذا المصدر يرمي إلى بلوغ مجموع من الأهداف من أهمّها وصول التلاميذ إلى إجابات عن استفسارات طرحوها، ووقوفهم على مفاهيم خاصة وأحكام عامة وفهمها نتيجة الاحتكاك المباشر بالأحداث والصحف والمجلات والدوريات"^(١)، فهي تعدّ أيضاً من أهمّ الطرق التي تساعد التلاميذ على الحصول على المعرفة والخبرات الجديدة بأسلوب شيق ومبتكر وجديد، ممّا يساعد على تنمية القِيَم الإسلاميّة من خلالها وتعزيز مبادئ التّربية الإسلاميّة فيهم بشكل أكبر وأعمق.

المبحث الثامن: التّربية بأسلوب الإقناع العقلي:-

يعتبر أسلوب الإقناع العقلي من أهمّ أساليب التّربية الإسلاميّة، وتنمية القِيَم وتعزيزها "فهو أسلوب من الأساليب التي تقوم عليها التّربية الإسلاميّة في توجيه الإنسان نحو الحق والخير، عن طريق العقل والمنطق."^(٢)

أولاً: التعريف بالتّربية بالإقناع العقلي لغةً واصطلاحاً:-

الإقناع في اللّغة: قيل أقنع: من مادة (ق ن ع) الشّيء فلأنّ أرضاه."^(٣)

والإقناع: "هو جعل الشّخص يقتنع بوجهة نظر ما بحجج عقلية."^(٤)

(١) سراج محمّد وزان، التّربية الإسلاميّة كيف نرغبها لأبنائنا، دعوة الحق سلسلة شهرية تصدر عن إدارة الصحافة من رابطة مكّة

المكرمة، السّنة العاشرة، العدد ١١٢، عام ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ص ٤٥-٤٦.

(٢) فواز مبريك حماد الصعدي، الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة

الثانوية (بنين)، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ١٧٣.

(٣) غريد الشيخ محمد، المعجم في اللّغة والنحو والصرف والإعراب والمصطلحات، ج ١، حرف (أ)، مرجع سابق، ص ٤٨٤.

(٤) نجيب اسكندر، معجم المعاني، مرجع سابق، ص ٤٨.

وفي الاصطلاح: " الإقناع هو عملية أو فن التأثير في آراء وتصرفات فرد ما، أو هو عملية الاستحصال على تبني الشخص الآخر لمجرى فعل، أو موافقته على اقتراح باستمالة لعقله ومشاعره."^(١)

وقد برز الإقناع في العديد من المواقف التي مرّ بها الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في حياته، وذلك من خلال ما ترويه السنة النبوية عن تعاملاته المختلفة مع من حوله والمواقف والأحداث التي مرّت على المسلمين في عصر الرسالة الأولى.

ثانياً: أهمية أسلوب التربية بالإقناع العقلي في تنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة:

إنّ الدين الإسلامي في تربيته صاحب السبق في الإشادة بالمعرفة القائمة على الإقناع العقلي ويؤكد هذا السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ الْبَاطِلُونَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]

فالتربية الإسلامية عندما تتخذ من الإقناع العقلي والفكري وسيلة لها لتحقيق أهدافها، فإنما ترمي من وراء ذلك تقديم محتوى يقيني يسهل ترجمته إلى سلوك إجرائي من قبل التلاميذ، وترمي أيضاً إلى تنمية الفكر الإسلامي، وجعلهم قادرين على التبصّر والتدبّر في خلق الله؛ ذلك لأنّ الإقناع كوسيلة من وسائل التربية هو الطريق الذي يوصل إلى عالم يقيني في أي أمر من الأمور الحسنية أو الغير الحسنية من عالم الغيب أو من عالم الشهادة.^(٢) الأمر الذي يجعل لأسلوب الإقناع الفكري أهمية بالغة في قيام العملية التربوية بدورها في غرس القيم الإسلامية ومن تلك الأهمية مايلي:

١ - إنّ أسلوب الإقناع العقلي من الأساليب التي إن طبقت في الواقع التعليمي بشكل أكبر مع الطلبة، لأدّت إلى نتائج حيه ملموسة؛ لما لها من دور بالغ التأثير في تنمية القيم الإسلامية لدى الطلبة وتعديل السلوك، والإسلام قد أمر بتطبيق هذا الأسلوب في التربية، وأمر بتفعيل أسلوب الإقناع العقلي بالحسنى، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِالنِّبَاتِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]

وأمر سبحانه وتعالى بالدعوة بالحجة والبرهان توصلًا للإقناع العقلي والقبول التام الذي لا يخالطه شك، فقال عز وجل: ﴿هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُمْ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة

(١) كمال دسوقي، ذخيرة علوم النفس، ج ٢، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص ١٠٦٤.

(٢) سراج محمد وزان، التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا، مرجع سابق، ص ٥٦ - ٥٧.

هنا بمعنى الحجة الواضحة.

فالذّين الإسلامي دعا إلى "إعمال العقل والتفكير المنطقي السليم في فهم حقائق الأشياء والتمييز بين الصواب والخطأ والحسن والقيح والحق والباطل، بالحجة والبرهان والافتناع العقلي وليس بالتقليد الأعمى أو بالتفسير والإكراه."^(١)

٢ - إنّ المرئي بشكل خاص يكون بسلوكة وعمله مثلاً للآخرين يتأثرون به، فيفعلون فعله ويتشبهون بطريقته التي يتصرّف بها، والمرئي الذي يمثّل السلوك الحسن والقيّم الإسلاميّة إنّما هو اعتنق ذلك من خلال اقتناع عقلي تامّ بها، وهذا الاقتناع سينعكس على تصرّفاته أمام طلبته إيجابياً كونه صادقاً في السلوك، وصدق السلوك من أهمّ شروط اكتساب القيمة الإيجابية بالخصوص، والرّسول - صلّى الله عليه وسلّم - إنّما كان قدوة للإقناع العقلي، وكانت جميع تصرّفاته وتعاملاته مع من حوله إنّما هي عن تقبّل تام للسلوك الحسن ورفض تام لغيره، هذا ما جعله - صلوات الله عليه - مثلاً لخلق القرآن، فاجتماع الصفات الحسنة والمثل العليا والأخلاق الفاضلة فيه - صلوات الله عليه - جعلت منه نموذجاً للإقناع بشكل مميّز يحتذي به الآخرون ويتأسّون به في داخل حدود الإسلام وخارجه.

٣ - أسلوب الإقناع العقلي يساعد الطّلبة على تقوية مهارة الحوار، فهو أسلوب لا يعتمد على سرد الحقائق والتلقين فقط، إنّما هو من الأساليب التي يشترط فيها المناقشة وإبداء الرأي والتعبير الحر للوصول إلى النتائج والوصول إلى قناعة تامّة، حتّى وإن كان صغير السن، فالقناعة التامة هي أساس هذا الأسلوب وهي الطّريقة الوحيدة هنا لجني ثمره هذا الأسلوب التربوي، والرّسول - صلوات الله عليه - كان يتحاور مع الصحابة - رضوان الله عليهم - بأسلوب الإقناع؛ حتّى يقتنعوا بشكل تام لا شكّ فيه.

٤ - إنّ من أهمّ وسائل إقناع النّفس البشرية هي القناعة العقلية التامة والقبول، فالإنسان فطر على التجربة وحب التأكّد والوصول إلى الحقائق ومصادر الحقائق، التي توصله إلى القناعة الشخصية التي هي أمر مهمّ بالنسبة إليه، وبدون هذا الإقناع العقلي، لن تصل ربّما إلى الحلول المرجوة، ولن تستطيع غرس سلوكيات وقيّم إسلاميّة في نفس الطّلبة لذلك كان أسلوب الإقناع العقلي من أهمّ الأساليب التربويّة المؤدّية إلى تنمية القيم الإسلاميّة.

وهذه الأهمية العظيمة لأسلوب الإقناع العقلي ودوره البارز في التربية الإسلاميّة وتنمية قيمها لدى الطّلبة، يحتمّ على المرّي تطوير نفسه وأن يكون قادراً على إقامة الحجة وإعطاء الطّلبة الأدلة والبراهين المقنعة، وأن يعتمد على الأسانيد في أثناء التدريس حتّى يتمكّن من تقوية وتدعيم مادته وأقواله ومعلوماته، لما لهذا الأمر من أهمية كبيرة في تقريب الدرس للطلاب، ويسهل عليهم الاقتناع من ثمّ الفهم والحفظ؛ ولكي يستطيع توظيف هذا الأسلوب في العملية التربويّة، واستغلال قوّة هذا الأسلوب في زيادة ترغيب الطّلبة فيما يدرسون من مواد وفيما يريدون أن يناقشوا من قضايا في المادّة

(١) وضحة السويدي، تنمية القيم الخاصة بمادّة التربية الإسلاميّة لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر، الدوحة، دار الثقافة، ١٤٠٩هـ، ص ٩٤.

المدرسية أو غيرها، ولا بدّ عليه أن يعمل من خلال هذا الأسلوب على تدريب الطّلبة على التفكير السليم والاختيار الموقّف عن طريق الملاحظة الدقيقة وعقد الموازنات بين الموضوعات والأفكار، ولا بدّ على المربي مراعاة التنوّع والكثرة في الأساليب التي يوردها للإقناع العقلي مرة بقصة ومرة بحوار ومرة أخرى باستغلال موقف أو حادثة عابرة، وأن يتحلّى بالصدق والموضوعيّة وأن يراعي الفروق الفردية في استيعاب تلاميذه والمستوى العمري والعقلي لكلّ منهم.

هذا ما يزيد من عملية التفاعل بين المربي وتلاميذه، ويجفّر المشاركة الجيدة والمستمرة والقادرة على تطوير كلّ من التلميذ والمربي في نفس الوقت، بحيث تُتاح الفرصة لكليهما بزيادة الثقافة والخبرات، وجعل المعلّم أكثر قُرباً وانخراطاً في المجتمع التعليمي، ويجعل من الطّلبة أكثر نشاطاً ومشاركةً، ممّا يساعد على التّمو الفكري والعقلي لديهم، فاستغلال المربي الناجح لكافة المواقف المتاحة لخدمة التّربية الإسلاميّة وخدمة العملية التّربويّة يساعد على إعداد التلاميذ بشكلٍ ناجحٍ، ويكون لهم نظرهم الاجتماعية والمهنية والشخصية، والمواقف العملية من حياة الرّسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أكبر معلم ومربي للطلبة على مبدأ الإقناع العقلي، إلى جانب مواقف الصحابة -رضوان الله عليهم - كموقف عمر بن الخطاب مع أبنه، ولا نغفل عن مواقف آبائنا وأجداننا التي لا عدّها ولا حصر، جميع هذه المواقف قادرة على أن تكون نماذج إيجابية وذات تأثير كبير على العملية التّربويّة بشكل عام، وعلى غرس القيم الإسلاميّة في نفوس الطّلبة بشكلٍ أكثر خصوصية.

وترى الباحثة أنّ جميع الأساليب التّربويّة الإسلاميّة على تعدّدها وتنوّعها تصبّ في خدمة الإقناع العقلي، وأنّ الهدف من جميع هذه الأساليب الإقناع والتأثير في المتربي وتنمية القيم الإسلاميّة التّربويّة من خلالها فيه، فالقدوة مثلاً هي المثل الأعلى الذي من خلال تصويرها للمتربي تغرس فيه صفاتها وأفكارها وسلوكها؛ بغية الاقتناع العقلي ثمّ الاحتذاء، والهدف من التّربية بالقدوة الحسنة هو التأثير في سلوك الأجيال من خلال الاقتناع العقلي بسلوكيات هذه القدوة، من ثمّ التقليد والمحاكاة، أيضاً أسلوب التّربية بالقصة يحاول المربي من خلالها جاهداً غرس القيم الإسلاميّة بكافة أنماطها من إيمانيه وأخلاقية وجدانية واجتماعية وثقافية من خلال الإقناع العقلي، ومحاولة تربية الفرد على استخدام التفكير العلمي الذي من خلاله يستطيع الوصول إلى إدراك الحقائق الإيجابية التي ستعود عليه من خلال اعتناقه للقيم التّربويّة وتطبيقها سلوكياً التي من شأنها تعديل وتهذيب سلوكه، ممّا يعود على تهذيب سلوك المجتمع كافة، كذلك الحال في كافة الأساليب التّربويّة من ضرب المثل، والترغيب والترهيب، والموعظة الحسنة، والتّربية بالأحداث، جميعها تتوقّف على الإقناع العقلي والتأثير الإيجابي في استمالة العواطف نحو القيم الإسلاميّة، والقرآن الكريم والسنة النبويّة وإلى غير ذلك من مصادر القيم التّربويّة وأهمّها الشّعور الذي نحن بصدد دراسته إمّا سخرت هذه الأساليب التّربويّة؛ بغية الإقناع العقلي للمتربي؛ لأنّ هذا الدّين الإسلامي وهذه التّربية الإسلاميّة إمّا تقوم على حرية الاعتناق وحرية الرأي والاختيار، فالله تعالى يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فالقيم الإسلاميّة قيم واضحة موفقة للفطرة لا تحتاج إلى الإكراه، كما هو مصدرها، إمّا

تحتاج إلى توضيح بأساليب تربوية دقيقة، " فالله تعالى يخبر أن لا إكراه في الدين لعدم النتيجة والفائدة منه، والمكروه ليس إيمانه صحيحاً"^(١)، كذلك الحال مع القيم الإسلامية اعتناقها يحتاج الاقتناع والتصديق والإيمان النفسي والعقلي بها، وإلا لن تكون ذات نتيجة أو فائدة؛ لأن زوالها واختفاءها من السلوك سيكون قريباً، فهي مؤقتة لم يؤمن معتقها بها، وهنا تركز أهمية الإقناع العقلي.

كانت هذه أهم الأساليب التربوية المقترحة التي يمكن من خلالها تنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة، والتي ما إن تمّ تنميتها في جميع المؤسسات التربوية بالشكل الصحيح، كان لها الدور البالغ في المساهمة في الوصول بالطلبة إلى الشخصية السوية، فهذه الأساليب " قد حققت نتائج تربوية بالغة الأهمية في تنمية القيم الإسلامية، والتي بدت آثارها في تقدّم وتفوّق المجتمع الإسلامي، وهي جميعها مترابطة ولها أثرها في تنمية جانب أو أكثر من القيم الإسلامية، والعبرة من كلّ هذا الطرح هو الاستخدام لا باستهلاك الكلام، ومن ثمّ فإنّ فعالية الاستخدام تعود إلى المرّبي والمعلّم الكفاء الناجح، والذي يستطيع بتمكّنه العلمي والمهني أن يستخدم هذه الوسائل بفعالية مستفيداً من كلّ جديد في المجال، مستغلاً كافة الطاقات والإمكانات المتاحة في سبيل تنمية هذه القيم بطريقة صحيحة وجيدة."^(٢)

وفي ضوء التحليل السابق للأساليب التربوية المقترحة وأهميتها في تنمية القيم الإسلامية

المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة يمكن تلخيص النقاط التالية:

١- تستمد الأساليب التربوية أهميتها من أهمية القيم، وتبدو أهمية القيم واضحة، عندما ندرك أنّ السلوك الإنساني بشكل عام يقوم على أساس مبدأ القيم الذي يحكم حياة الفرد والمجتمع، ويقوم بالتنسيق بين مختلف مكونات المجتمع، فالقيم تؤدي دوراً هاماً في تحقيق التوافق بين أفراد المجتمع، وهي المنظم الأول لعلاقاتهم وتكيفهم مع بعضهم البعض ومع من حولهم بشكل أوسع.

٢- إنّ تنوع واختلاف الأساليب التربوية الإسلامية يعطيها قوّة ومكانة بارزة في عملية تنمية القيم لدى الطلبة، لأنّ القيم أولاً: إنسانية، بمعنى إنّها لا توجد خارج الإنسان، حيث إنّها توجّه هذا السلوك الإنساني وفق غايات خلقية تتحقّق فيها إنسانية الإنسان، ثانياً: القيم نسبية متفاوتة القوة والتأثير، ومتاحة وممكنة أي إنّ كلّ فرد يستطيع الاختيار بين القيم، ويعتقد أيّ نوع من السلوك ويتمثله برغبته الذاتية حسب قوّة هذه القيمة وجاذبيتها للفرد، فتقوم أساليب التربية الإسلامية بعملية أشبه ما تكون بتسهيل عملية اختيار الفرد للقيمة وتفضيله للقيم المتاحة، وهذا ما يجعل دور المرّبي أكثر أهمية فهو قادر على زيادة التأثير على الأفراد من خلال صياغته للقيم الإسلامية

(١) العلامة عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص ١١١.

(٢) علي خليل أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، مرجع سابق، ص ١٥٣ - ١٥٤.

وفق هذه الأساليب التربوية صياغة جذابة تبقئها في أنفس الطلبة، وتعمقها في ذاتهم، مما يتيح لها الاستمرارية، ويساعدها على التغلغل في شخصياتهم وتطبعها في سلوكياتهم، وذلك ما يؤكده ماجد جلاد، فهو يركز على أهمية الاختيار الحر للقيم من قبل الفرد فيقول " ذلك أننا إذا أردنا للقيم أن تكون مؤثرة في السلوك وثابتة فيه، فلا بد أن يختارها الفرد نفسه وبجربة تامة، وفي المقابل فنحن نشاهد أن القيم المفروضة على الإنسان بالإكراه سرعان ما تزول وتتلاشى، وبخاصة إذا فقد مصدر الإكراه والمراقبة، وتعبير آخر عندما يشعر الفرد بأنه اختار قيمه بجرية وفاعلية، فإنه يتمسك بهذه القيم ويشعر بأنها أساسية في حياته." (١)

٣- أساليب التربية الإسلامية على اختلافها تؤسس لدى الطلبة قاعدة ثابتة من الوعي الفكري، فيكون الفرد ذا قدرة على فرض التقديرات المناسبة للحكم على القيمة؛ أي بمعنى آخر تقوم القيمة وطبيعة السلوك بمقتضاها، إلى جانب كونها تعزز لدى الطالب حرية الرأي، وهذا يؤول إلى جعله أكثر قدرة على إصدار الأحكام على القيم المحيطة به.

٤- إن تنوع الأساليب التربوية يصب في خدمة الدين الإسلامي وخدمة المسلمين، فالإسلام يدعو إلى روح العمل والمحاولة والاجتهاد للوصول إلى القيم الإسلامية التي هي قلب التربية الإسلامية النابض، وشريانه المتعافي، وهذا يوجب على كافة المؤسسات التربوية البحث عن القيم الإسلامية في شتى المجالات، الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والجمالية والمهنية والوجدانية والثقافية؛ لتتمكّن كل مؤسسة من تنمية هذه القيم لدى الطلبة وبلورتها فيهم إلى سلوكيات، مما يحقق أغراض الحياة، وبما لا يتعارض مع روح الدين الإسلامي، لا بل يسير تحت مظله وفي حماه وعلى نهجه، ويستنير من نوره.

٥- إن الأفراد بشكل عام يتفاعلون مع الأحداث والمواقف بصورة مختلفة ودرجات متفاوتة، وعن طريق استجابات مختلفة، وإن الفرد الذي يؤثر فيه أسلوب القدوة الحسنة، ربما لا يجدي معه أسلوب الترغيب والترهيب، وأن من يجد أسلوب القصة من أبرز الأساليب التي يستطيع من خلالها بناء حصيلة قيمة كبيرة في ذاته وسلوكه وشخصيته، ربما يجد غيره أبعد ما يكون لنفسه، لذا كان تنوع هذه الأساليب مهما؛ لأن الهدف الرئيس لها هو قيامها بمهمتها في غرس القيم الإسلامية في سلوك الفرد، وأن تستخر جميع طاقاتها لتعمل عملها بالوصول إلى غايتها وتحقيق هذا الهدف.

٦- إن الأساليب التربوية تعمل عمل العدسة المكبرة، التي توضح للإنسان الصورة لرؤية أهم زاوية في تكوينه الإلهي ألا وهي الضمير الإنساني؛ لأن صلة الطبيعة بالقيم عريقة جداً، ولا يكاد يخلو بشر من احتوائه على مجموعة من

(١) ماجد زكي جلاد، تعلم القيم وتعليمها، مرجع سابق، ص ٣٣.

القيَم سواء أكانت إيجابيةً أو سلبية، تعمَّد غرسها فيه، أو عُرسَتْ في سلوكه بمحض الصدفة، ففي داخل كلِّ إنسان قوَّة فطرية تمكَّنه من التمييز بين الخير والشر، وهي ميَّالة بطبعها إلى الخير، فكما يُقال: الإنسان خيرٌ بطبعه، وإمَّا هناك بعض العوامل التي تؤثِّر وتغيِّر، وربما تشوِّه في ملامح هذا الضمير والأساليب التربويَّة إمَّا هي تعمل على إعادة هذا الإنسان للنظر إلى داخله بصورة أدق وأوضح، فتساعده على إعادة النظر في اختياراته بين القِيَم.

٧- الأساليب التربويَّة القائمة على القصص القرآني والأحاديث النبويَّة الشريفة، والتي تنتهجها التَّربية الإسلاميَّة في تنمية القِيَم الإسلاميَّة لدى الطَّلَبَة، هي أساليب ترسِّخ العقائد والتصورات الصحيحة عند أبنائها وتشكيل سلوكهم، وهذا أمرٌ مصيري في التَّربية الإسلاميَّة؛ لأنَّه من المهم جداً أن نبيِّن سلوكيات النشء على أساس عقدي متين، تثبت جذوره في أعماق النَّفس والعقل والوجدان للفرد المسلم، بعيداً عن الخرافات والثقافات الوضعية الأخرى التي لا أصل لها ولا منهج ولا أصل لتصوراتها، إلَّا هوى النَّفس وما خالجهما من فكر لا تأصيل له، فالطَّالِب الذي ينشأ على معتقدات سليمة وتصوُّرات صحيحة تكون قد تكوَّنت لديه منظومة قيَمية صحيحة وتصوُّرات لا تقبل الشكَّ أو النزاع.

٨- إنَّ الأساليب التربويَّة الإسلاميَّة تستطيع القيام بدورها في التَّربية وتنمية القِيَم الإسلاميَّة لدى الطَّلَبَة بشكل مستمر ومطلق لا تقيَّد بزمن معين ولا بمكان، ولا تحتاج بالضرورة إلى مؤسسات تعليمية أو دوراً للتنشئة الاجتماعية، فمن خلال تفاعل أفراد المجتمع مع بعضهم البعض، ومن خلال المواقف الحياتية المختلفة التي لا عدَّ لها ولا حصر، نستطيع توجيه الأفراد إلى مواقف أو نشاط معين يساعد على تعليمهم وتربيتهم وفق الأنماط السلوكية المرغوب فيها، وتعليم القِيَم الخلقية والأجَّاهات الإيجابية الكفيلة بتنمية القِيَم الإسلاميَّة فيهم، فعندما يقوم كلُّ فرد في المجتمع بتحميل نفسه مسؤولية كونه قدوة حسنة وقدوة مؤثِّرة ويعي تماماً كونه مجموعة من السلوكيات والقِيَم المؤثِّرة في غيره، يستطيع من خلال ذلك أن يكون نموذجاً للسلوك الإسلامي في الوقت نفس دون تكلُّف أو تصنُّع أو عناء، فالفرد عندما يهتم ويحرص على تكوين شخصيته على أسسٍ دينية قوية ويحصنُّها من الآفات الدخيلة على الإسلام، تكون نيته خالصةً لله تعالى للحصول على النفع له ومجتمعه، فيثمر ذلك عن تكوين شخصية قوية متَّحدة الذات، وهذا التكوين أمرٌ أساسي في تكوين أفراد المجتمع المسلم، وهذا ما يؤيِّده مقدار بالجن الذي يؤكِّد على أن " تكوين شخصية قوية متَّحدة الذات إمَّا هو أمرٌ مهم في بناء الأفراد والمجتمع القوي المتماسك المتَّحد، ذلك أنَّ المجتمع يكون كما يكون أفراد، فإذا كان الأفراد أقوياء الشخصية متَّحدي الذوات، تكون شخصية المجتمع كذلك." (١)

(١) - مقدار بالجن، التَّربية الأخلاقية الإسلاميَّة، مرجع سابق، ص ١٥٧.

٩- إنَّ الغاية الأسمى والأهم من تعدُّد هذه الأساليب التربويَّة واختلافها، إنَّما هو تسخيرها لخدمة غرس العقيدة الإسلاميَّة وتعميقها في النفوس أولاً وقبل كلِّ شيء، فهذه الأساليب لا بدَّ من تقويتها وتفعيل دورها في العملية التربويَّة والتعليمية بشكل أكبر، وجعلها من الطرق الأساسيَّة في عملية التعليم، تعمل بجانب المنهج التعليمي، ولا بدَّ من تدعيمها من خلال استخدام الصور والمعاني القرآنيَّة والنبويَّة، وتقريبها للأذهان قدر الإمكان، وعلى المرابي أولاً قبل المتعلِّم أن يعي أهميَّة هذه الأساليب التربويَّة وأن يكون عالماً بأنَّ كلَّ أسلوب يكمل عمل الأسلوب الآخر، فعليه الدراية التامة بما وبكيفية تفعيل كلِّ منها وطريقة استخدامها في وقتها المناسب، وعلى أيِّ فئة من التلاميذ تؤثر، وأن يكون على ثقة بأنَّه لا يمكن أن يعتمد على أسلوب دون الآخر في التربية، فالتربيَّة الإسلاميَّة اختصَّت بالتكامل والتعاقد دون غيرها من التربيَّات الأخرى، مراعيَّة في ذلك جميع فئات المجتمع، وتركيزها الأوَّل هو إخراج الفرد المسلم الصالح الخير المتكامل الشخصية.

ولما كانت عملية غرس القيم وتنميتها من خلال الأساليب التربويَّة المختلفة تحتاج إلى شيء كبير من الدقة والنظر، كان لا بدَّ من التطرُّق إلى معرفة أهمِّ العوامل التي تؤثر في تنمية القيم، والتي ما إنَّ تمَّت دراستها بالشكل الصحيح، استطاع المرابي اختيار الأسلوب الذي يتناسب مع كلِّ قيمة وإمكانية وتنميتها بالشكل الصحيح لدى الطلبة، وهذه العملية ليست قاصرة على المرابي فقط، وإنَّما هي عملية اجتماعية متداخلة تشترك فيها جميع المؤسسات التعليميَّة والتربويَّة وكافة وسائل الإعلام والتقنيَّة؛ وذلك لاجتماعية الفرد، وكونه يؤثِّر ويتأثَّر بكلِّ ما يدور حوله، ومن أهمِّ العوامل التي تؤثر في عملية تنمية القيم ما يلي:

١- عوامل تتعلَّق بالقيم ذاتها:

لقد أشرنا فيما سبق إلى أنَّ مسألة تحديد القيم تعود إلى نظر المرابي، ومعرفته بحاجة الطالب لتلك القيمة، وذلك طبعاً في إطار ما حدَّده لنا الشرع من الأخلاق والقيم الفاضلة، فتقدير المرابي للقيمة التي ستغرس في الطالب سبباً أساسياً في بناء المنظومة القيمية لديه، وسلامة عقيدة الطنل من سلامة معتقد المرابي، "فالاعتقاد من أقوى العوامل المؤثِّرة في بناء القيم وتشكيلها في الأفراد."^(١)، ومن هذا المنطلق حرص المسلمون الأوائل على تعليم أبنائهم أصول دينهم مع مراعاة صحة عقيدة المرابي والمؤدِّب الذي يؤدِّبهم، وفي ذلك قال ابن خلدون: "ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدَّم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين، فقال: يا أحمر إنَّ أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمره قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروِّه الأشعار، وعرفه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه."^(٢)

(١) ماجد زكي جلاد، تعلِّم القيم وتعليمها، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدِّمة ابن خلدون، ج ١، بيروت، دار القلم، ص ٥٤١.

فقد كانت العرب على دراية تامة ومعرفة كبيرة بنوعية القِيم المثلى التي ما إن غرست في أبنائهم، لن يضلوا بعدها أبداً، وهم أيضاً من أكثر الناس خبرة في اختيار المعلمين والمؤدِّبين لأبنائهم، فكانوا لا يختارون لهذه المهمة العظيمة إلا من هم أهل ثقة وعلم وعقيدة.

إلى جانب أننا نستطيع أن نتوصَّل من خلال ما ذكره ابن خلدون في مقدمته إلى أن قوَّة القِيمة ومدى وحدتها وتمسُّك المجتمع بها من أهمِّ عوامل التي تتعلَّق بقوة هذه القِيمة وإمكانية غرسها، فالقِيمة القوية تتسيّد سلوك المجتمع الواحد، وتجعل منه مجتمعاً يتميَّز بروابط متينة فيما بين أفرادهِ " فبقدر وحدة القِيمة في المجتمع يكون تماسكه وبقدر التفاوت والتباين في القِيمة وتناقضها يكون تفكُّك المجتمع، وينتج عن ذلك الصراع القيمي في المجتمع، وينتج التباعد والانفصال بين فئاتهِ." (١)

هذا ما جعل من القِيمة أمر في غاية الأهمية، وجعل اختيارها واختيار أسلوب غرسها من أهمِّ التَّحديات التي يواجهها المرابي، " فالقِيمة المسيطرة في المجتمع هي مقياس رقيِّهِ، فليس هناك مجتمع بلا مقياس، كما أنه لا يوجد مجتمع من غير قِيمة ومبادئ تحكمه، حتَّى المجتمعات المنهارة تؤمن بمجموعة من القِيمة، ولكن المسافات بينها وبين قيمها وواقعها شاسعة، وفي زمان النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كانت القِيمة المسيطرة قيماً روحية يترعُّ على رأسها الحرص على رضوان الله تعالى والاستشهاد في سبيل ذلك، كما كانت قيمة الأخوة الإسلامية وما تمليه من تعاون وإيثار متوهَّجة في القلوب والسلوك" (٢)، ما جعل من المجتمع الإسلامي الأوَّل ومن عهد النبوة ذروة المجتمعات الإسلامي وفخرها، وقال فيه عزَّ مَنْ قال بحق: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٢ - عوامل تتعلَّق بالفرد ذاته:

والمقصود بما تتعلَّق بالعوامل التي تتعلَّق بالطَّالب وقدرته وإمكانياته في تقبُّل القِيمة ورفضها ومدى قبوله لقيمة ورفضه لأخرى، ومن أهمِّ هذه العوامل عمر الطَّالب التي يجدر بالمرابي أخذ هذه النقطة بعين الاعتبار، فلكل مرحلة عمرية قِيمة مناسبة، تتفق مع طبيعة هذا الطَّالب ومع طبيعته النفسية والعقلية والمعرفية، ويحدّد على أساس هذا العمر أي القِيمة أولى بالتعليم وأجدر وأسبق في الغرس.

ويلاحظ أن العديد من القِيمة التي لم تكن مقبولة لدى الطلاب في مرحلة عمرية معينة، أصبحت مستساغة ومقبولة في مراحل أخرى من عمرهم، من أمثلة ذلك قِيمة الشجاعة والإقدام بالنسبة إلى الذكور، ففي معظم المراحل العمرية الأولى، تجد بعض الأفراد أكثر إقداماً وشجاعةً، على عكس ذلك فيما إذا تقدّم بهم العمر في المرحلة المتوسطة

(١) نجيب اسكندر إبراهيم - وآخرون، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ط ٤، دمشق، دار القلم، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص ٣٠٠.

والثانوية مثلاً، إلى غير ذلك من تقبُّل الفرد للقيَم وخاصةً الأخلاقية منها، فبعض الطلاب لا يتمسِّكون بهذه القيَم في مراحلهم العمرية الأولى "ما قبل التقيُّد بالعرف والتقاليد (من ٤-١٠ سنوات تقريباً) فالأطفال في هذا المستوى يظهرون سلوكاً غير مقبول، إذا لم يواجه هذا السلوك بعقوبة؛ وذلك لضعف تطوُّر الشعور الخلقية، حيث تتركز الأحكام الخلقية لديهم على الذات ويحكم الطفل على أفعاله بالصواب والخطأ؛ حسب اللذة والألم التي يشعر بها وما يعقبها من ثواب وعقاب"^(١). إذن فمراعاة المرحلة العمرية ونوع القيمة المراد تنميتها لدى الطلِّبة أمر مهم في عملية التربية.

إلى غير ذلك من العوامل التي تتعلَّق بالفرد من استقباله للقيَم ومدى ارتياحه لها، ورغبته في التحلِّي بها، والفروق الفردية التي يختلف من خلالها كلُّ فرد عن الآخر، وأسلوب المربي الذي ينمِّي هذه القيَم، ومدى تكْيُف الطلِّبة معه ومع أسلوبه التربوي والتعليمي، إلى غير ذلك من الظروف المجتمعية والبيئية، والأسرية، التي لها التأثير البالغ في تنمية القيَم الإسلامية لدى الطلِّبة.

كانت هذه أبرز الأساليب التربوية المقترحة لتنمية القيَم الإسلامية المتضمَّنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلِّبة، وبنهاية هذا الفصل يكون تمَّ الانتهاء من البحث، أسأل الله العلي القدير أن يرزقنا الحق حقاً ويرزقنا أتباعه، ويرزقنا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلِّم على نبينا محمد...

(١) ماجد زكي جلاّد، تعلِّم القيَم وتعليمها، مرجع سابق، ص ١٨٩.

خاتمة الدّراسة

خاتمة الدراسة:

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين.. أما بعد..

فلقد احتوى الشّعر في عصر صدر الإسلام على العديد من القيم الإسلامية، وكعب بن زهير من الشعراء الذين كان شعرهم منبعاً للعديد من هذه القيم، والتي تأصلت في الشاعر نتيجة تأثره بالدين الإسلامي، ونتيجة التجارب والخبرات التي مرّت بالشاعر، والدواوين الشعرية تسجّل لنا العديد من قيم كعب بن زهير الإسلامية والتي كانت موضوع هذه الدراسة والتي جاءت في سبعة فصول:

الفصل الأول كان عن الإطار العام للدراسة، بيّنت فيه الباحثة الصورة العامة لموضوع البحث، وأسلته، وأهدافه، وأهميته، ووضحت أيضاً حدود البحث، ومنهجه ومصطلحاته، كما استعرضت الدراسات السابقة ذات الصلة به والتعليق عليها.

وتناول الفصل الثاني التربية الإسلامية والشعر، حيث تمّ التطرّق أولاً إلى الشعر في التصوّر الإسلامي، ومن ثمّ التعرّف على الوظائف التربوية للشعر في صدر الإسلام والأهداف للشعر في صدر الإسلام، وأخيراً الخصائص الموضوعية والفنية لشعر صدر الإسلام.

أمّا الفصل الثالث، فقد تناول موضوع القيم الإسلامية وعلاقتها بالشعر، وتمّ التعرّف على القيم الإسلامية من خلال عرض مفهوم القيم الإسلامية وأجهاثها، والتعرّف على أهميتها، ووظائفها، ومصادرها وخصائصها، من ثمّ التعرّف على العلاقة بين القيم الإسلامية والشعر.

وفي الفصل الرابع، تمّ تناول شعر كعب بن زهير، من خلال التعرّف أولاً على نسب كعب بن زهير ونشأته وإسلامه، والتعرّف على مكانة كعب بن زهير الشعرية، من ثمّ التعرّف على خصائص شعر كعب بن زهير الفنية والجمالية والفكرية وموضوعاته الشعرية.

والفصل الخامس تناول إجراءات الدراسة (تحليل المحتوى).

وفي الفصل السادس، تمّ تناول موضوع القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير ومجالاتها، والذي هو لبّ البحث وموضوعه الأساس، وفيه تمّ تحليل شعر كعب بن زهير، وعرض مجالات القيم الإسلامية المتضمنة فيه وهي، قيم إيمانية، وأخلاقية، وجدانية، واجتماعية، وثقافية.

أمّا في الفصل السابع والأخير، فقد تناولت فيه الباحثة الأساليب التربوية المقترحة لتنمية القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير لدى الطلبة، والذي تناول الأساليب التربوية المختلفة بالتفصيل والشرح والأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، إلى جانب تناول الدور التربوي لكل أسلوب من الأساليب في تنمية القيم الإسلامية لدى الطلبة.

هذا والحمد لله رب العالمين.

نتائج الدراسة:

من أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة ما يلي :

١. يَتَمَيَّزُ الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْأُخْرَى فِي أَخْلَاقِهِ وَسُلُوكِهِ وَقِيَمِ أَفْرَادِهِ، مَا جَعَلَ مِنْ مَوْضُوعِ اسْتِنْبَاطِ الْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَنْمِيَّتِهَا فِي الطَّلَبَةِ مِنْ أَهَمِّ الْحَاجَاتِ وَالْمَتَطَلِّبَاتِ وَالذَّوَافِعِ التَّرْبَوِيَّةِ.
٢. لِلْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي تَحْقِيقِ التَّحَاوُسِ بَيْنَ النَّاسِ دَاخِلِ إِطَارِ مِنَ الْإِخْتِلَافِ، مَا دَامُوا مُجْتَمِعِينَ فِي ظِلِّ نَسَقٍ وَأَخَذَ مِنَ الْقِيَمِ ، مُتَحَرِّكِينَ مِنْ خِلَالِهِ.
٣. أَضْفَى الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ عَلَى الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ حُلَّةَ التَّهْدِيبِ، وَقَنَّزَ الْكَلِمَةَ، وَجَعَلَ لِلْمَعْنَى قِيَمَةً وَهَدَفًا، شَرُفَتْ بِذَلِكَ مَنزِلَةُ الشِّعْرِ، وَزَادَتْ مِنْ أَمِّيَّةِ دَوْرِهِ التَّرْبَوِيِّ، جَعَلَتْ مِنْهُ مَصْدَرًا لِلْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمَنْهَلًا مِنْ مَنَاهِلِهَا.
٤. الْعَدِيدُ مِنْ أَيْتَاتِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرِ الشِّعْرِيَّةِ لَا تَخْلُو مِنْ أَدَاءِ وَظِيْفَةِ تَرْبَوِيَّةٍ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَجِدْ فِي الْبَيْتِ الشِّعْرِيِّ الْوَاحِدِ قِيَمَةً يُرِيدُ الشَّاعِرُ تَنْمِيَّتِهَا، فَإِنَّكَ سَتُجِدُّ قِيَمَةً يَنْهَى الشَّاعِرُ عَنِ التَّخَلُّقِ بِهَا وَأَمْتِنَاهَا.
٥. اِحْتَوَى شِعْرُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْمَجَالَاتِ التَّالِيَةِ: الْمَجَالِ الْإِيمَانِي، وَالْأَخْلَاقِي، وَالْوَجْدَانِي، وَالْإِجْتِمَاعِي، وَالنَّقَائِي.
٦. بَيْنَ الْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ عِلَاقَةٌ وَطِيْدَةٌ، وَلِشِعْرِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ دَوْرٌ تَرْبَوِيٌّ يُمْكِنُ مِنْ خِلَالِهِ تَنْمِيَّةُ الْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَدَى الطَّلَبَةِ وَالْإِسْهَامِ فِي تَعْدِيلِ السُّلُوكِ مَا اِحْتَوَى عَلَيْهِ شِعْرُهُ مِنْ مَثَلِ سَامِيَّةٍ وَقِيَمِ فَاضِلَةٍ.
٧. تَمَيَّزَ شِعْرُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ بِخِصَائِصٍ جَعَلَتْهُ مُتَقَدِّمًا عَلَى شِعْرِ غَيْرِهِ، وَمَوْضُوعَاتٍ بَرَعَ فِيهَا جَعَلَتْ مِنْهُ شَاعِرًا مُخْلِدًا الذِّكْرَ فِي تَارِيخِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ، كَانَ مِنْ أَهَمِّهَا مَوْضُوعُ الْإِعْتِدَارِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُتَمَثِّلًا فِي قَصِيْدَةِ الْبُرْدَةِ، وَالتِّي نَالَ مِنْ خِلَالِهَا كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ غَايَتَهُ فِي الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنْهُ، وَهَذَا مِمَّا يُدَلِّلُ عَلَى أَنَّ كَعْبًا أَجَادَ الْغُرُضَ وَبَرَعَ فِيهِ.
٨. اِسْتَسَمَّ شِعْرُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ بِالْحِكْمَةِ، فَهِيَ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ فِي شِعْرِهِ، وَهِيَ ثَمْرَةٌ الْحَنْكَةِ وَنَتِيجَةُ التَّخَضُّرِ وَطَوْلِ الْحَيْرَةِ، أَنتُجَتْ لَنَا قَوْلًا رَائِعًا مُوَافِقًا لِلصَّوَابِ وَالْحَقِّ فِي الْعَدِيدِ مِنْ أَيْتَاتِهِ الشِّعْرِيَّةِ.
٩. اِمْتَنَزَ شِعْرُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ بِالتَّرَفُّعِ عَنِ الدُّنْيَا وَالْهَزِيلِ مِنَ الْقَوْلِ وَتَمَيَّزَ بِالصِّدْقِ مِمَّا سَمَا بِشِعْرِهِ وَمَكَانَتِهِ، فَالْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمَثَلِ وَالْفَضَائِلِ الْعُلْيَا الَّتِي اِسْتَمَلَتْ عَلَيْهَا الْعَدِيدُ مِنْ أَيْتَاتِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ كَانَتْ وَرَاءَ تَقْدِيرِهِ وَإِعْجَابِ الشُّعْرَاءِ بِهِ وَإِنْتِهَاجِ حَيْجِ بَرْدَتِهِ مِنْ قِبَلِ الْعَدِيدِ مِنْهُمْ.

١٠. شعر كعب بن زهير يندُر فيه الهجاء والفحش في القول، ولا يُخرج فيه كعب بن زهير عن وقاره، وهذا الوَاقار هو الذي منَعه من الهجاء والإسراع في الدَم، ويَجعله يُقدِّم النُصح لمن أعتدى عليه ويَجعل الهجاء آخر الدَواء.
١١. ثَقافة العُتذار ليست بِالقيمة المُستخدَنة الجديدة، وإنما هي وليدة المُحتَمع المُتالي الأول، الذي تُفيء ظلاله المُسلمين بِتَوجيه من المعلم الأول صاحب الريادة الإسلاميَّة الراشدة، الرَسُول الكَرِيم الذي كانَ يصفح وَيَعْفُو وَيُكَافئ على التَّوْبَة من تَاب وَرَجَعَ، مَّا جَعَلَ العُتذار ساريًا على ألسنة شُعراء ذلك العَصْر حَلِيًّا في أشعارهم .
١٢. إِنَّ الأساليب التَّروِيَّة تعمل عَمَل العَدَسَة المُكبَّرة التي تُوضِح لِلإنسان الصُّورة لِرُؤية أَهم زاوية في تَكْوِينه الإلهي أَلَا وهي الضَمير الإنساني، لِأَنَّ صِلَة الطَّبيعَة بِالقيَم عَريقَة جِدًّا، وَلَا يَكاد يَخْلُو بَشَرٌ من أَحْوَانه على جَمُوعَة من القِيم؛ سِوَا أَكانت إيجابِيَّةً أو سَلبيَّةً، تَعَمَّد عَرسها فِيه أو عَرسَتْ فِي سُلوكه بِمَحَض الصُّدْفَة، ففِي داخلِ كُلِّ إنسانٍ قُوَّة فُطَريَّة مُمكنة من التَّمييز بين الحَيْر وَالشَّر وهي مِيَالَة بِطَبْعها إلى الحَيْر، فِكَمَا يُقال لِلإنسان خَيْر بِطَبْعِه، وَإِنما هناك بَعْضُ العوامِل التي تُؤثِّر وتُغيِّر وَرُما تَشوُه في ملامِح هذا الضَمير والأساليب التَّروِيَّة إِنما هي تعمل على إِعادة هذا الإنسان لِلنَظَر إلى داخله بِصُورة أدقِّ وَأَوْضَح، فَتُساعدُه على إِعادة النَظَر في إِختياراته بين القِيم.

التوصيات:

١. إِتِراز مَوْضوع القِيم الإسلاميَّة المُتَضَمِّنة في الشِعْر من قِبَل الإِعلام، وَتَسْلِيط الضَّوء على الدَواوِين الشِعريَّة وما إِحتَوته من قِيم ومُثل عُليا.
٢. ضُورَةُ تَرسِيخ القِيم لدى الطَّلَبَة، فَالسُّلوك الإنسانيّ يَحْتَاج دائِمًا إلى طاقَة إِيمانِيَّة تُدْفَعه وتُغِدِّيه، خاصَّةً في ضُوء العولمة والتلوث الثقافي، والقيمي، يَحْتَاج طُلابنا إلى التَّرسِيخ بِالإلتِزام بِالقيَم والمحاولة المُستَويرة لِتَنمِيَتها.
٣. التَّوسُّع في إِيجادِ مَصادرٍ مُتَعَدِّدةً لِلقيَم الإسلاميَّة والتَّروِيَّة، وَالشِعْر العَرَبِيّ بِحَال لا نَهايةً له في إِسْتِناب القِيم الإسلاميَّة والمُثل العُليا، نَسْتطيع من خلاله مُراجَعَة القِيم السائِدة في مجْتَمعنا بِهَدَف تَدعيم الصالحِ منها، وَتَعديل أو إِسْتِنعاد ما لم يُعد يُسائر ظُروف العَصْر، وَذلك عن طَريق تَربيَّة وَتَوجيه الأجيال الجديدة وَإِن كانَ هذا الأمر ضُورِيًّا في الظُروف العاديَّة، فهو أَكثر ضُورَة في ظُروف التَطَوُّر السَريع الحَالِي بِالنسبة لمَجْتَمعنا.
٤. المؤرُوثُ الشِعريّ وَثيق الصِلَة بِنهضة الأُمّة، بل هو مظهر من مظاهرها، نَشَأ مَعها مُمثلاً شَتَّى عَناصِرها، وَالإِهْتِمام بِهذا المؤرُوث والتاريخ الشِعريّ يَحْتاجُ عن أَصوله وَتوثيق لمعالِمه وَإِسْتِناب قِيمه أمر ضُورِيّ وَواجب أُدبي، يَتَوَجَّب على الباحثين إِعطاءه المَزيد من الإِهْتِمام وَالدِراسَة والعناية والتَخْلِيد.

المقترحات:

١. دراسة القيم الإسلامية السائدة في الشعر العربي المَعْرَر وَالْعَبْر مُعْرَر في المواد الدراسية في كافة الأقطار العربية.
٢. أهمية التخطيط المتكامل في الرُّط بين القيم الإسلامية وبين ما يتلقاه الطلبة من ثقافة.
٣. إجراء بحوث ودراسات علمية حول موضوع الأساليب التربوية المتضمنة في شعر كعب بن زهير، فقد أجاد الشاعر في استخدام العديد من الأساليب التربوية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية في شعره.
٤. دراسة مصادر التربية الإسلامية وأساليبها، والتي تُؤدّي دورًا هامًا في تنمية القيم الإسلامية لدى الطلبة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً - المصادر:

١ القرآن الكريم وعلومه:

- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب، المفردات في غريب القرآن، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٦١م.
- الجوزية، ابن قيم، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، بيروت، دار المعرفة للطباعة، ١٩١٨م.
- السعدي، عبد الرحمن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القاهرة، فجر للطباعة للنشر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط ٥، ج ٥، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٨هـ.
- المحلي، جلال الدين محمد و السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تفسير الجلالين، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢ السنة النبوية وعلومها:

- البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد الجامع للأدب النبوية، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الجيزة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ٢٠٠٨م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، ط ٢، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، ١٤٢٩هـ.
- السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ط ٢، الرياض، المعارف للنشر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٩هـ.
- صبري، أحمد نصر الله، مختصر صحيح الجامع الصغير للإمام السيوطي والألباني، مصر، شركة ألفاً للنشر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- صقر، عبد البديع، مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف، ط ٣، عابدين، مكتبة وهبة للنشر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- العسقلاني، الإمام أحمد بن علي ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ٧، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ، ١٩٦٨م.
- العسقلاني، الإمام أحمد بن علي ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ١٣، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٠م.

- القزويني، محمد بن يزيد الشهير بابن ماجه، سنن أبين ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، ط٢، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- المنذري، الإمام زكي الدين عبد العظيم، التهذيب والترغيب من الحديث الشريف، بيروت، دار الكتاب، ١٤٢٤هـ.
- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، سنن النسائي، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، د:ت.
- ٣ المعاجم:**
- أحمد، نزار سيد ومحمد، مصطفى، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- أنيس، إبراهيم، ومنتصر، عبد الحليم، المعجم الوسيط، ط٢، ج١، القاهرة، مجمع اللغة العربية، د:ت.
- ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، ط٣، ج١١، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ١٩٩٣م.
- ابن منظور، العلامة، لسان العرب، ج٧، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- اسكندر، نجيب، معجم المعاني، القاهرة، دارالأفاق، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- بن عبدربه الأندلسي، احمد بن محمد، العقد الفريد، ج٢، القاهرة، مكتبة مصر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١، بيروت، دار صادر، د:ت.
- تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د:ت.
- الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج١، جدة، دار المدني للطباعة، د:ت.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٨م.
- الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل، كتاب العين، تحقيق مهدي الخزمي - إبراهيم السامرائي، ج٢، دار مكتبة الهلال، د:ت.
- القالي، أبو علي إسماعيل، الأمالي، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٢٤هـ.
- القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج١-٢، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ.
- مصطفى، إبراهيم والزيات، احمد حسن وعبد القادر، حامد والنجار، محمد، المعجم الوسيط، ج١-٢، د:ت.
- محمد، غريد الشيخ، المعجم في اللغة والنحو والصرف والإعراب والمصطلحات، ج٥، بيروت، النخبة للنشر والتأليف، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- المعري، شوقي، معجم التنقيف اللغوي، دمشق، دار الحارث، ٢٠٠٧م.

ثانياً- المراجع:

١ - الكتب:

- إبراهيم، نجيب أسكندر وعماد الدين، محمد و منصور، رشدي، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م.
- الأبيشي، شهاب الدين محمد، المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ابن رجب، عبد الرحمن أحمد، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، القاهرة، دار الحديث، ١٤٠٠هـ.
- أبو جادو، صالح محمد علي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، الأردن - عمان، دار المسيرة للنشر، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- أبو داهش، عبدالله محمد، شعراء حول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إصدار نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ١٤١٧هـ.
- أبو رزق، حليلة علي، توجيهات تربوية من القرآن والسنة في تربية الطفل، ط٢، جدة، الدار السعودية للنشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- أبو الرضا، سعاد، النص الأدبي للأطفال أهدافه، مصادره، رؤية إسلامية، عمان، دار البشير، ١٤١٤هـ.
- أبو عراد، صالح بن عواد، دروس تربوية نبوية، ط٣، المدينة المنورة، دار الزمان للنشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- أبو العينين، علي خليل مصطفى، أهداف التربية الإسلامية مصادر اشتقاقها ومعايير صياغتها للمجتمع الإسلامي المعاصر، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حلي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- أبو العينين، علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حلي، ١٩٨٨م.
- أبو العينين، علي خليل مصطفى، البحث التاريخي في التربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٠هـ.
- أحمد، زكريا، الفنان والإنسان، القاهرة، مكتبة الغريب، ١٩٧٢م.
- أحمد، محمد عبد القادر، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، ط٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠١م.

- الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام - انتماء وارتقاء، الأردن - عمان، دار الفرقان، ١٤١٧ هـ.
- الأهواني، أحمد فؤاد، التربية في الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠ م.
- آل عمرو، محمد عبدالله، و الشيخ، محمود يوسف، أصول التربية الإسلامية، ط٤، السعودية، مطابع الحميضي، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- بن عثيمين، محمد صالح، الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، الرياض، دار المسلم، ١٤١٧ هـ
- بن عزوز، العلامة محمد المكي، العقيدة الإسلامية، جدة، دار نور المكتبات، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- بكار، عبد الكريم، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ط٤، دمشق، دار القلم، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- البيهقي، احمد بن الحسين، مناقب الشافعي، تحقيق السيد أحمد صقر، ج٢، القاهرة، دار التراث، ١٣٩١ - ١٩٧١ م.
- توفيق، محمد عز الدين، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ط٢، القاهرة، دار السلام، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج ٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٣ م.
- الجاحظ، أبي عثمان بن عمرو بن بحر، البخلاء للجاحظ، تحقيق فؤاد بركات، القاهرة، مطبعة المدني، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
- الجبوري، يحيى، الإسلام والشعر، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٤ م.
- الجبوري، يحيى، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ط٨، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م،
- الجبوري، يحيى، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ط٥، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، لبنان، دار المعرفة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
- جعفر، قدامة، نقد الشعر، ط٣، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، (د. د. ن)، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
- الجقندي، عبد السلام عبد الله، التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة، دمشق، دار قتيبة، ١٢٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- جلاد، ماجد زكي، تعلم القيم وتعليمها، ط٣، عمان - الأردن، دار المسيرة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠١٠ م.
- الجوزية، ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج١، القاهرة، مكتب الكليات بالأزهر، ١٣٨٨ هـ.

- الجوزية، ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٦، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣ هـ
- جوهرى، محمد ربيع، أخلاقنا، ط ٨، المدينة المنورة، دار الفجر الإسلامية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
- الحاجي، محمد عمر، واحة الصالحين، تقديم محمد النابلسي، ط ٣، سوريا، دار المكتبي، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- حجاب، محمد منير، أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٢ م
- حجاب، محمد نبيه، روائع الأدب في العصور العربية الزاهرة، ط ٢، ج ١، مصر، دار المعارف، ١٩٧٣ م.
- الحدري، خليل عبد الله، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، مكة المكرمة، مطابع جامعة أم القرى، ١٤١٨ هـ.
- حسن، سمير محمد، تحليل المضمون، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣ م
- الحقييل، سليمان عبد الرحمن، نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، ط ١٥، الرياض، د: ١٤٢٤ هـ.
- الحلواني، فتحية عمر، دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، جدة، تامة للنشر، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- الحمد، أحمد، التربية الإسلامية، السعودية، دار أشبيليا، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الحمد، محمد إبراهيم، معالم في الصحابة والآل، الرياض، دار ابن خزيمة للنشر، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- الحمش، عذاب محمود، الشعر في الإسلام، الرياض، دار الأمانى، ١٤٠٧ هـ.
- حميد، صالح بن عبد الله، ملوح، عبد الرحمن بن محمد، موسوعة نظرية التعميم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ط ٣، ج ١، جدة، دار الوسيلة، ١٤٢٥ هـ.
- حوي، سعيد، المستخلص في تركية الأنفس، ط ٩، القاهرة، دار السلام، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- حويجي، نعمة عبد الله إسماعيل، تحليل محتوى أدب الأطفال في ضوء معايير الأدب وفق التصور الإسلامي، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤١٦ هـ.
- خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، القاهرة، مكتبة الدعوة الإسلامية، د: ت.
- خلف الله، سلمان، الحوار وبناء شخصية الطفل، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٩ هـ.
- خليفة، محمود دسوقي و فهمي، عصام عيد، الأدب في صدر الإسلام، الرياض، دار اشبيليا للنشر، ٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ.
- خوجة، فاطمة يعقوب، تنمية القيم لدى الشباب، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

- خياط، محمد جميل، المبادئ والقيم التربوية الإسلامية، مكة المكرمة، معهد البحوث - جامعة أم القرى، ١٤١٦هـ.
- خياط، محمد جميل، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، مكة المكرمة، الفيصلية، ٢٠٠٤م.
- دسوقي، كمال، ذخيرة علوم النفس، ج ٢، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.
- الراغب، الحسين بن محمد، الذريعة في أحكام الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م.
- الرديني، فاطمة حمد، التربية الإسلامية من المفهوم إلى التطبيق "ضرورة إنسانية"، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
- رسلان، صلاح الدين بسيوني، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، القاهرة، دار الثقافة للنشر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الرشدان، عبد الله، وجعيني، نعيم، المدخل إلى التربية والتعليم، الأردن، دار الشروق للنشر، ١٩٩٤م.
- الرشيد، أحمد كامل و الرديني، فاطمة محمد، التربية الإسلامية من المفهوم إلى التطبيق، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- زكي، صديقة أحمد، الإدارة التعليمية والتخطيط التربوي التعليمي، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، ط ٨، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- زيني، محمود حسن، قصيدة البردة لكعب بن زهير رضي الله عنه، جدة، تهامة للنشر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- زيتون، كمال عبد الحميد، منهجية البحث التربوي والنفسي من المنظور الكمي والكيفي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٤هـ
- الزبود، ماجد، الشباب والقيم في عالم متغير، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦م.
- السيوفي، مصطفى، تاريخ الأدب في صدر الإسلام، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٨م.
- سابق، سيد، عناصر القوة في الإسلام، ط ٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- الساسي، عمر الطيب، دراسات في الأدب العربي على مرّ العصور، ط ٢، جدة، دار الشروق، ١٩٩٣م - ١٤١٣هـ.
- السقّا، محمد عدنان، القيم الروحية وأثرها في العمل الخيري، نحو القمة للطباعة، ١٤٢٥هـ.
- السكري، أبي سعيد بن الحسن بن الحسين، شرح ديوان كعب بن زهير، ط ٣، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.

- السنديوني، وفاء فهمي، شعراء صدر الإسلام وتمثيلهم للقيم الاجتماعية، مطابع كمبيوجرافيكارت سنتر، القاهرة، ١٩٩٥م.
- سوار، مروان نور الدين، القرآن الكريم مذيلا بالترميز الموضوعي، دمشق، دار الفجر الإسلامي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- السويدي، وضحة، تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر، الدوحة، دار الثقافة، ١٤٠٩هـ.
- شحاتة، زين محمد، المرشد في تعليم التربية الإسلامية، الرياض، مكتبة الشباب للعلم والثقافة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- شديد، محمد، منهج القرآن في التربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- شديد، محمد، قيم الحياة في القرآن الكريم، القاهرة، دار الشعب، د.ت.
- الشرفاوي، حسن، نحو ثقافة إسلامية، ج ١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م.
- الشعبي، علي شواخ، ملامح تربوية في الشعر الجاهلي والإسلامي، الرياض، دار الرفاعي، ١٤٠٦هـ.
- صابر، فاطمة عوض، خفاجة، مرفت علي، أسس ومبادئ البحث العلمي، الاسكندرية، مطبعة الإشعاع الفنية، ٢٠٠٢م.
- صبح، محمد احمد جاد، التربية الإسلامية - دراسة مقارنة، مجلد ١ بيروت، دار الجيل، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ضيف، شوقي، الشعر وطابعه الشعبية على مرّ العصور، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م.
- ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، ٧، مصر، دار المعارف، د: ت.
- الطريفي، يوسف عطا، عصر صدر الإسلام، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
- طعيمة، رشدي، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه، أسسه، استخداماته، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- طهطاوي، سيد أحمد، القيم التربوية في القصص القرآني، القاهرة، دار الفكر التربوي، ١٤١٣هـ.
- العاني، زياد محمد، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، عمان، دار عمار، ١٤٢٠هـ.
- العبادي، حامد محمد، خطب ومواعظ مختارة، ج ١، مكة المكرمة، (د. د. ن)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- العبادي، عبد الله عبد الكريم، شاعرية زهير بن أبي سلمى في ميزان النقد، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٤١١هـ.
- عباس، إحسان، فن الشعر، بيروت، دار الأمانة، ١٩٩٧م.
- عبد الحميد، جابر، وآخرون، الطرق الخاصة بتدريس اللغة العربية وأدب الأطفال، القاهرة، الجهاز

- المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، ١٩٧٧م.
- عبد الحميد، محمد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، دار الشروق، جدة، ١٤٠٤هـ.
- عبد الخالق، عبد الرحمن، الشورى في ظل الحكم الإسلامي، الكويت، الدار السلفية، ١٩٧٥م.
- عبدالله، عبد الرحمن صالح، وعبدالله، محمد، مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، الأردن، دار الفرقان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- عبدالله، عبد الرحمن صالح، البحث التربوي وكتابه الرسائل الجامعية، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٣٢٦هـ.
- عبد الهادي، محمد احمد، المربي والتربية الإسلامية، جدة، دار البيان العربي، د:ت.
- عبود، عبد الغني، الأحكام القيمية الإسلامية لدى الشباب الجامعي "رؤية تربوية"، المدينة المنورة، أحياء التراث الإسلامي، د:ت.
- عبيدات، ذوقان، وعبد الحق، كايد وعدس، عبد الرحمن، البحث العلمي، مفهومه، أدواته، أساليبه، الرياض، دار أسامة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- عثمان، احمد، القيم الحضارية في رسالة الإسلام، السعودية، الدار السعودية، ١٤٠٢هـ.
- العثيمين، محمد بن صالح، الضيء اللامع من الخطب الجوامع، ج ١، القاهرة، مكتبة الصفا، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- العجمي، محمد عبد السلام، و خضر، صلاح حسن و بنجر، أمنة أرشد و الحلوة، مشرفة إبراهيم، تربية الطفل في الإسلام (النظرية والتطبيق)، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- العربي، محمد عبد الله، أحكام القرآن، ج ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
- عزازي، فاتن محمد، أصول التربية الإسلامية، السعودية - حائل، دار الأندلس، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- العساف، صالح حمد، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ط ٤، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- عطية، عماد محمد، التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، ط ٢، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- عطية، محمد عبد الرؤف، تحليل المضمون بين النظرية والتطبيق، مؤسسة طيبة، القاهرة، ٢٠١٠م.
- عفيفي، محمد عبد الله، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- العقيل، عبد الله بن عقيل، التربية الإسلامية مفهومها، خصائصها، مصادرها، أصولها، تطبيقاتها، مريوها، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٦م.

- العمارة، محمد حسن، أصول التربية التاريخية، الاجتماعية، النفسية، الفلسفية، ط ٣، عمان-الأردن، دار المسيرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- العمري، نادية شريف، اجتهاد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ
- العمري، نادية محمد شريف، القياس في التشريع الإسلامي، القاهرة، دار هجر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- العمري، نادية شريف، أضواء على الثقافة الإسلامية، ط ٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- على، سعيد إسماعيل، والحامد، محمد معجب، ومحمد، عبد الراضي إبراهيم، التربية الإسلامية (المفاهيم والتطبيقات)، ط ٢، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- عليان، أحمد، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، الرياض، دار النشر الدولي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- العليان، احمد، تاريخ التشريع والفقہ الإسلامي، الرياض، دار أشبيليا، ١٤٢٢هـ
- علوان، عبد الله، تربية الأولاد في الإسلام، ط ٢، ج ١، حلب، دار السلام للطباعة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- العوضي، عبد الرحمن عبدالله، الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي، الكويت، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦م.
- فاعور، علي، ديوان كعب بن زهير، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الفريخ، مازن عبد الكريم، الرائد دروس في التربية والدعوة، ج ١، الرياض، دار المنطلق، ١٤١٨هـ.
- فودة، عبد الله وآخرون، المرشد في كتابة البحوث التربوية، ط ٢، جدة، دار الشروق، ١٤٠٨هـ.
- الفوزان، صالح بن فوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ .
- القاسم، خالد عبد الله، دور الأسرة في تربية الأولاد ووقايتهم من الانفتاح الإعلامي، الرياض، مكتب التربية لدول الخليج العربي، ١٤٢٦هـ.
- القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨١هـ.
- القرنشواوي، عبد الجليل، و سليم، محمد فرج، والعدوي، محمود شوكت، والشيخ، الحسيني يوسف، و فرج، فرج السيد، الموجز في أصول الفقه، القاهرة، جامعة الأزهر، كلية الشريعة، ١٩٦٣م.
- القطان، مناع، تاريخ التشريع الإسلامي (التشريع والفقہ)، ط ٢، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- قطب، محمد، الإسلام كبديل عن الأفكار والعقائد المستوردة، القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٣هـ -

١٩٩٣م.

- القرني، حسن عبد الله، القيم التربوية المتضمنة في النصوص الشرعية المقررة في أدب المرحلة الثانوية، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية، ٢٠٠٨م.
- قميحه، جابر، المدخل إلى القيم، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٤٠٤هـ.
- القيسي، أيهم عباس، شعر العقيدة في صدر الإسلام، بيروت، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٦هـ.
- الكافي، إسماعيل عبد الفتاح، موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- الكيلاني، ماجد عرسان، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط٢، دمشق، دار ابن كثير/المدينة المنورة، دار التراث، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الكيلاني، ماجد عرسان، أصول التربية الإسلامية "دراسة مقارنة بين أصول التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة"، سلسلة نظرية التربية الإسلامية ١، دبي، دار القلم، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- المناع، مانع محمد، القيم بين الإسلام والغرب "دراسة تأصيلية مقارنة"، الرياض، دار الفيصلية، ١٤٢٦هـ.
- الماوردي، أدب الدين والدنيا، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د:ت.
- الحيا، مساعد بن عبدالله، القيم في المسلسلات التلفازية، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٤هـ.
- مسعود، عبد المجيد، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٩هـ.
- المغامسي، خالد محمد، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ١٤٢٥هـ.
- مناع، هاشم صالح، الأدب الجاهلي، بيروت، دار الفكر العربي، ٢٠٠٥م.
- موسى، منيف، في الشعر والنقد، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.
- المنيوي، محمد عبد الرؤف، التوقيف على مهمات التعريف، بيروت، دار الفكر المعاصر، د:ت.
- الميداني، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط٢، دمشق، دار العلم، ٢٠٠٢م.
- الناصر، محمد، أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، مكة المكرمة، دار الرسالة، ١٤١٣هـ.
- نجم، محمد يوسف، ديوان كعب بن زهير، ط٢، بيروت، دار صادر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- النحلوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط٢، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٥م.
- بالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية، ط٢، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢- الرسائل العلمية والبحوث:

- بادويلان، رهام محمد عمر، القيم التربوية في قصص الصحابة من كتاب البداية والنهاية (دراسة تحليلية)، جامعة أم القرى/ كلية الآداب والعلوم الإدارية، قسم التربية وعلم النفس، ١٤٣١ هـ.
- البلادي، منى بنت سعد حضيض، بعض المشكلات السلوكية لدى طالبات المرحلة الثانوية بالمدينة المنورة ومعالجتها في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٢ هـ.
- الجعيد، مشعل بن سيف عطية، أساليب التربية النبوية للجنود من خلال غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وتطبيقاتها المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤١٨ هـ.
- الحارثي، فايز عبد الله، القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في بعض برامج الشباب بقناة المجد الفضائية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٢٨ هـ.
- السبيعي، فيصل بن بجاد محمد، مجالات وأساليب التربية المستنبطة من حياة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٢٨ هـ.
- السقاف، يوسف محمد عبد الرحمن، القيم الأخلاقية المتضمنة في مقررات العلوم الشرعية للمرحلة المتوسطة بنين في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة، ١٤٣١ هـ.
- الصعدي، فواز بن مبيريك حماد، الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة الثانوية بنين (تصور مقترح)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٠ هـ.
- الصميلي، حمود محمد، مفهوم الصدق في النقد العربي القديم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، فرع الأدب، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- الغامدي، محمد عبد الله، الجانب الخلق في المعلقات العشر - القيم والقضايا الأخلاقية وأثرها في التشكيل، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، مكة المكرمة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- فلمبان، زينب جمال الدين، مبادئ تربوية من ديوان الإمام الشافعي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٠٨ هـ.
- القرشي، عبد الباري بن مبارك، الأساليب التربوية لتنمية خلق الغفة لدى الشباب وتطبيقاتها في ضوء

التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٠هـ.

— القرني، عبد الله بن أحمد غيثان، قيم العمل الواردة في ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم من المنظور الإسلامي وآلية تفعيلها لدى المعلمين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٢٩هـ.

— كلاب، محمد مصطفى، أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف، فلسطين، الجامعة الإسلامية بغزة - كلية الآداب، قسم اللغة العربية، د:ت.

— الزهراني، عادل سعيد، المضامين التربوية المستنبطة من أحاديث كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح أمام البخاري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣١ - ١٣٣٢هـ.

— مقبيل، حديجة حسن، القيم التربوية في الأمثال التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٤١٥هـ.

— هوساوي، بثينة محمد، منهج التربية الإسلامية في تربية النفس على التفاؤل وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٢ - ١٤٣٣هـ.

٣- المجالات و الدوريات:

— وزان، سراج محمد، التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا، دعوة الحق سلسلة شهرية تصدر عن إدارة الصحافة من رابطة مكة المكرمة، السنة العاشرة، العدد ١١٢، عام ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

الملاحق

- ملحق رقم (١) الخطاب الموجه للسادة الأساتذة أعضاء تحكيم صدق المعايير
- ملحق رقم (٢) أسماء السادة الأساتذة محكمي أداة الدراسة
- ملحق رقم (٣) أداة الدراسة في صورتها الأولية
- ملحق (٤) أداة الدراسة في صورتها النهائية

ملحق رقم (١)

الخطاب الموجه للسادة الأساتذة أعضاء
تحكيم صدق المعايير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد :

تقوم الباحثة بإجراء دراسة بعنوان (القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير والأساليب التربوية المقترحة لتنميتها لدى الطلبة) للحصول على درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية - جامعة أم القرى، وقد توصلت الباحثة من خلال دراستها النظرية إلى مجموعة من المجالات للقيم الإسلامية تُعد أداة لبحثها. وتم تقسيم هذه المجالات إلى خمس تصنيفات وهي كالتالي:

أولاً: القيم الإسلامية الإيمانية .

ثانياً: القيم الإسلامية الأخلاقية .

ثالثاً: القيم الإسلامية الوجدانية .

رابعاً: القيم الإسلامية الاجتماعية . خامساً: القيم الإسلامية الثقافية .

وسوف تحلل الباحثة محتوى شعر كعب بن زهير المتمثل في دواوينه الشعرية وفق هذه المجالات للوصول إلى هدف البحث وهو " إبراز القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير" إلا أن تلك المجالات تحتاج قبل تطبيقها إلى تحكيم صدقها. وبصفتكم متخصصين في مجال التربية، فإن الباحثة ترجو التكرم بالاطلاع على هذه المجالات وإبداء رأيكم حول مدى انتمائها ووضوح عبارتها، وأجراء أي تعديلات تجدونها مناسبة شاكرة لكم جهدكم وتعاونكم .

مفتاح التحكيم :

المجال ينتمي : ينتسب إلى المجال الرئيس ويرتبط به .

المجال لا ينتمي: لا ينتسب إلى المجال الرئيس وغير مرتبطاً به .

العبرة واضحة: محددة المعنى تقيس ما تضمنه المجال .

العبرة غير واضحة: غير محددة المعنى ولا تقيس ما تضمنه المجال .

الباحثة: منيرة عايش سعود كليب

ملحق (٢)

أسماء السادة الأساتذة مُحكمي أداة الدراسة
مرتبةً ترتيباً أبجدياً

ملحق (٢) أسماء السادة الأساتذة مُحكمي أداة الدراسة مرتبةً ترتيباً أبجدياً

الرقم	الاسم	التخصص	جهة العمل
١	د - أسماء علي الفضل	أصول التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
٢	د - أماني محمد قلوبوي	التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
٣	د - حازم علي بدرانة	أصول التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
٤	د - حنان صالح حكمي	أصول التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
٥	د - حنان محمد الحازمي	أصول التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
٦	أ.د - حياة عبد العزيز نياز	أصول التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
٧	أ - خالد محمد يوسف التويم	التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
٨	د - صالح سليمان البقاوي	التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
٩	أ.د - صباح إدريس بو عياد	التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
١٠	أ.د - صفية عبد الله بخيت	التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
١١	أ.د - عادل حسن العقاب	أصول التربية الإسلامية (فلسفة التربية)	جامعة أم القرى
١٢	د - عبد الله أحمد الزهراني	التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
١٣	أ.د - محمد عطية السيد	أصول التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
١٤	د - نايف حامد همام الشريف	أصول التربية الإسلامية	جامعة أم القرى
١٥	د - هدى عبد الرحيم ميمني	التربية الإسلامية	جامعة أم القرى

ملحق (٣)

أداة الدراسة في صورتها الأولية



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

مجالات تصنيف القيم الإسلامية في شعر كعب بن زهير

متطلب تكميلي للحصول علي درجة الماجستير في التربية

تخصص: (التربية الإسلامية)

إعداد

منيرة عايش سعود كليب

الرقم الجامعي

٤٢٩٨٠١٦٥

إشراف

ا.د/ خالد محمد يوسف التويم

الفصل الدراسي الأول

١٤٣٤ - ١٤٣٥ هـ

البيانات الشخصية للمحكمن

..... : الاسم

..... : الدرجة العلمية : التخصص :

..... : الكلية : الجامعة :

..... : التوقيع

مجالات تصنيف القيم الإسلامية في شعر كعب بن زهير

التعديل المقترح	وضوح العبارة		انتماؤها للمجال		المجالات
	غير واضحة	واضحة	لا تنتمي	تنتمي	
					أولاً : القيم الإسلامية الإيمانية :
					١ - الإيمان بالله تعالى .
					٢ - الإيمان بالكتب السماوية .
					٣ - الإيمان بالرسول .
					٤ - الإيمان بالقدر خيره وشره .
					٥ - الإيمان بأسماء الله وصفاته .
					٦ - الإيمان بحقيقة الموت .
					٧ - التوكل الذي هو حقيقة التوحيد والإيمان .
					٨ - حفظ الدين بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله
					٩ - تقوى الله .
					ثانياً : القيم الإسلامية الأخلاقية :
					١ - الصبر .
					٢ - الوفاء بالعهد .
					٣ - التسامح .
					٤ - العدل والمساواة .
					٥ - القناعة والزهد .
					٦ - مسؤولية الكلمة .
					٩ - الأخذ بالنصيحة .
					١٠ - الحلم والتروي .
					١١ - الشجاعة والأقدام .
					١٢ - الأمانة .
					١٣ - العزة .

التعديل المقترح	وضوح العبارة		انتمائها للمجال		المجالات
	غير واضحة	واضحة	لا تنتمي	تنتمي	
					١٤ - التفاؤل .
					١٥ - الكرم وذم البخل .
					١٦ - حفظ الجميل .
					١٧ - التثبت والتبئين قبل الحكم .
					١٨ - الجزاء من جنس العمل .
					١٩ - الحكمة .
					٢٠ - التوازن في ردة الفعل .
					٢١ - ثقافة الاعتذار .
					ثالثاً : القيم الإسلامية الوجدانية :
					١ - المحبة .
					٢ - الثقة .
					٣ - لوم النفس والتندم .
					٤ - الخوف والرهيبة والرجاء .
					٥ - الاتعاض من تجارب السابقين .
					٦ - ترويض النفس .
					رابعاً : القيم الإسلامية الاجتماعية :
					١ - التماسك والوحدة القومية .
					٢ - إيتاء ذي القربى وصلة الرحم .
					٣ - الشورى والمشاورة .
					٤ - التعاون .
					٥ - الدعوة إلى توطيد العلاقات الإنسانية .
					٦ - حسن المعاملة .
					٧ - الترابط الأسري .
					٨ - النجدة وإعانة الملهوف .

التعديل المقترح	وضوح العبارة		انتمائها للمجال		المجالات
	غير واضحة	واضحة	لا تنتمي	تنتمي	
					٩ - المناصرة وقضاء حوائج المسلمين وتقريظ كربهم
					١٠ - اختيار الرفقة الحسنة .
					١١ - ترشيد الإنفاق .
					١٢ - إكرام الضيف .
					خامساً : القيم الإسلامية الثقافية :
					١ - الاعتزاز بالهوية العربية .
					٢ - الاعتزاز بالدين الإسلامي .
					٣ - الاعتزاز بنبي الدعوة الإسلامية محمد عليه الصلاة والسلام
					٤ - الاعتزاز بالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم .
					٥ - الاعتزاز بالصحابية الأخيار المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم .
					٦ - الاعتزاز بملامح البيئة البدوية والمناطق العربية .
					٧ - الاعتزاز بقبائل العرب والافتخار بقيمتها الإسلامية العريقة .
					٨ - الاعتزاز بالتاريخ العربي تراثاً وعراقاً .
					٩ - تقدير الذات في اعتزاز الشاعر بملكته الشعرية .
					١٠ - الاعتزاز بالشعر والشعراء العرب .
					١١ - تخليد أمجاد العرب وإحياء التراث
					١٢ - فهم الحياة وزيادة الثقافة وإثراء الفكر .
					١٣ - خدمة القرآن والسنة وأقوال الأئمة والسلف الصالح .

ملحق (٤)

أداة الدراسة في صورتها النهائية



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية التربية

قسم التربية الإسلامية والمقارنة

تصنيف القيم الإسلامية في شعر كعب بن زهير

متطلب تكميلي للحصول علي درجة الماجستير في التربية

تخصص : (التربية الإسلامية)

إعداد

منيرة عايش سعود كليب

الرقم الجامعي : ٤٢٩٨٠١٦٥

إشراف

ا.د/ خالد محمد يوسف التويم

الفصل الدراسي الأول

١٤٣٤ - ١٤٣٥ هـ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

تقوم الباحثة بإجراء دراسة بعنوان (القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير والأساليب التربوية المقترحة لتنميتها لدى الطلبة) للحصول على درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية- جامعة أم القرى، وقد صنفت الباحثة القيم الإسلامية إلى عدة مجالات وأعدت بناءً عليها أداة لاستنباط هذه القيم بحسب مجالاتها من أشعار كعب بن زهير وهي خمس تصنيفات كالتالي :

أولاً: القيم الإيمانية .

ثانياً: القيم الأخلاقية .

ثالثاً: القيم الوجدانية .

رابعاً: القيم الاجتماعية .

خامساً: القيم الثقافية .

وسوف تحلل الباحثة محتوى شعر كعب بن زهير المتمثل في دواوينه الشعرية وفق هذه المجالات للوصول إلى هدف البحث وهو " إبراز القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير" إلا أن تلك المجالات تحتاج قبل تطبيقها إلى تحكيم صدقها. وبصفتكم متخصصين في مجال التربية، فإن الباحثة ترحو التكرم بالإطلاع على هذه المجالات وإبداء رأيكم حول مدى انتمائها ووضوح عبارتها، وأجراء أي تعديلات تجدونها مناسبة شاكرة لكم جهودكم وتعاونكم .

مفتاح التحكيم:-

المجال ينتمي: ينتسب إلى المجال الرئيس ويرتبط به .

المجال لا ينتمي: لا ينتسب إلى المجال الرئيس وغير مرتبط به .

العبرة واضحة: محددة المعنى تقيس ما تضمنه المجال .

العبرة غير واضحة: غير محددة المعنى ولا تقيس ما تضمنه المجال .

الباحثة: منيرة عايش سعود كليب

البيانات الشخصية للمحكمن

..... : الاسم

..... : الدرجة العلمية : التخصص :

..... : الكلية : الجامعة :

..... : التوقيع

مجالات تصنيف القيم الإسلامية في شعر كعب بن زهير

التعديل المقترح	وضوح العبارة		انتمائها للمجال		المجالات
	غير واضحة	واضحة	لا تنتمي	تنتمي	
					أولاً : القيم الإسلامية الإيمانية :
					١ - الإيمان بالله تعالى .
					٢ - الإيمان بأسماء الله وصفاته .
					٣ - الإيمان بالكتب السماوية .
					٤ - الإيمان بالرسول .
					٥ - الإيمان بالقدر خيره وشره .
					٦ - الإيمان بحقيقة الموت .
					٧ - التوكل على الله.
					٨ - تقوى الله .
					٩ - حفظ الدين ونشر العقيدة بالدعوة إلى الله .
					ثانياً : القيم الإسلامية الأخلاقية :
					١- الصبر .
					٢- الوفاء بالعهد .
					٣- العفو والصفح .
					٤- العدل.
					٥- صون اللسان .
					٦- العطاء والبذل .
					٧- الشجاعة والإقدام .
					٨- الأخذ بالنصيحة .
					٩- الأمانة
					١٠- العزة .
					١١- التفاؤل .
					١٢- ذم البخل .

التعديل المقترح	وضوح العبارة		انتمائها للمجال		المجالات
	غير واضحة	واضحة	لا تنتمي	تنتمي	
					أولاً : القيم الإسلامية الإيمانية :
					١٣- حفظ الجميل .
					١٤- التثبت والتبئين قبل الحكم .
					١٥- الجزاء من جنس العمل .
					١٦- التوازن.
					١٧- الحياء والعفة .
					١٨- الحلم والتروي .
					١٩- الزهد .
					٢٠- ثقافة الاعتذار .
					٢١- الحكمة .
					ثالثاً : القيم الإسلامية الوجدانية :
					١ - الثقة .
					٢ - المحبة .
					٣ - لوم النفس والتندم .
					٤ - الخوف والرغبة .
					٥ - الاتعاظ من تجارب السابقين .
					٦ - ضبط النفس .
					رابعاً : القيم الإسلامية الاجتماعية :
					١ - التماسك الاجتماعي .
					٢ - صلة الرحم .
					٣ - الشورى .
					٤ - التعاون .
					٥ - الدعوة إلى توطيد العلاقات الإنسانية .
					٦ - حسن المعاملة .

التعديل المقترح	وضوح العبارة		انتمائها للمجال		المجالات
	غير واضحة	واضحة	لا تنتمي	تنتمي	
					أولاً : القيم الإسلامية الإيمانية :
					٧ - الترابط الأسري .
					٨ - النجدة والمناصرة وإعانة الملهوف .
					٩ - اختيار الرفقة الحسنة .
					١٠- الكرم .
					خامساً : القيم الإسلامية الثقافية :
					١ - الاعتزاز بنبي الدعوة محمد صلى الله عليه وسلم
					٢ - الاعتزاز بالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم .
					٣ - الاعتزاز بالصحابه رضوان الله عليهم .
					٤ - الاعتزاز بملاح البيئه البدوية .
					٥ - الاعتزاز بقبائل العرب والافتخار بقيمها الإسلامية العريقة .
					٦ - تقدير الذات في اعتزاز الشاعر بملكته الشعرية .
					٧ - الاعتزاز بالشعر والشعراء العرب .
					٨ - تخليد أمجاد العرب وإحياء تراثهم .
					٩ - زيادة الثقافة وإثراء الفكر .
					١٠ - خدمة القرآن والسنة وأقوال الأئمة والسلف الصالح .